

جامعة انظرطوم

مطبوعات دار التأليف والترجمة والنشر

الكتب العربية التي صدرت

المؤلف

- الاستاذ معاوية محمد نور
الاستاذ معاوية محمد نور
د . محمد ابراهيم أبو سليم
د . علي أحمد سليمان
د . سعيد محمد أحمد المهدي
د . عثمان حسن سعيد
د . عبد الرحمن الطيب علي طه
الاستاذ موسى الميارك
الاستاذ مصطفى سند
الاستاذ جمال محمد أحمد
الاستاذ علي الملك
لجنة الدراسات الاقتصادية
بنك السودان
د . عون الشريف قاسم
د . ابراهيم الحردلو
د . يوسف بشارة
د . يوسف فضل حسن
الاستاذ ابراهيم اسحق
الاستاذ محبوب محمد صالح
الاستاذان: صلاح أحمد ابراهيم وعمل الملك
د . محمد ابراهيم الشوش
الاستاذ قاسم عثمان نور
د . متوكل أحمد أمين
د . سعيد محمد أحمد المهدي
الاستاذ محمد محمد علي
د . عيد المجيد عابدين
د . محمد سليمان شاهين

الكتاب

- ١٠٠ دراسات في الأدب والنقد
٢٠ قصص وخواطر الجزء الثاني
٣٠ الحركة الفكرية في المهديّة
٤٠ الفرائث في السودان
٥٠ معجم المصطلحات القانونية
٦٠ اجراءات تحرير الاقتصاد السوداني
٧٠ تاريخ دارفور السياسي
٨٠ البحر القديم « شعر »
٩٠ سالي فو حمر « قصص »
١٠٠ نماذج من الأدب الزنجي
١١٠ تأميم المصارف في السودان
١٢٠ دبلوماسية محمد
١٣٠ الصهيونية وعداء السامية
١٤٠ كوبا الجزيرة التي احببت
١٥٠ طبقات ودخيف الله « تحقيق »
١٦٠ أعمال الليل والبلدة
١٧٠ الصحافة السودانية في نصف قرن
١٨٠ الأرض الآثمة « مترجمة »
١٩٠ الشعر الحديث في السودان
٢٠٠ مصادر الدراسات السودانية
٢١٠ يمانخي « مترجمة »
٢٢٠ الجريمة والعقوبات
٢٣٠ ظلال شارده
٢٤٠ دراسات سودانية
٢٥٠ خواطر طيب

٢٦ ، ٢٧ « الفكر الإسلامى والفلسفات د . عبد القادر محمود

المعارضة (جزاء)

٢٨ ، ٢٩ « أفق وشفق » ٤ أجزاء

« تحقيق »

الشاعر توفيق صالح جبريل

د . محمد إبراهيم أبو سليم ومحمد صالح حسن

محمد أحمد محبوب

٣٢ « نحو النقد

الاستاذ مختار عجوبة

٣٣ « القصة الحديثة فى السودان

الاستاذ مختار عجوبة

٣٤ « نماذج من القصة القصيرة فى السودان

الاستاذ الامين محمد احمد كمورة

٣٥ « مبادئ الكونيات

النور عثمان أبكر

٣٦ « صحو الكلمات المنسية

الاستاذ جمال عبد الملك ابن خلدون

٣٧ « مسائل فى الابداع .

دكتور حافظ الشاذلى

٣٨ « اطفالتنا غذاؤهم وصحتهم

ميمونة ميرغنى حمزه

٣٩ « حصار وسقوط الخرطوم

دكتور محمد إبراهيم الشوش

٤٠ « أدب وادباء .

ترجمة الاستاذ على التنصرى حمزه

٤١ « التربية من اجل الاعتماد على النفس

د . السمانى عبد الله يعقوب د . عزيز حنا داؤد

٤٢ « اتجاهات وميول الطلاب

دكتور حسن أحمد إبراهيم

٤٣ « محمد على فى السودان

دكتور إبراهيم الحارذلو

٤٤ « غربة الروح

الفائزون فى مسابقة المجلس القومى للآداب

٤٥ « تصدع وقصص أخرى .

والفنون

٤٦ « نداء المسافة » شعر »

تيراب الشريف

٤٧ « العودة إلى ستر .

محمد عبد الحى

٤٨ « الرحيل فى الليل

الاستاذ عبد الرحيم بو ذكرى

٤٩ « فى المسرحية الأفريقية

الاستاذ جمال محمد أحمد

٥٠ « الشرافة والحجرة

محمد المهدي مجذوب

٥١ « المهديّة والحبة

محمد سعيد القدال

٥٢ « القصيدة المادحة

عبد الله الطيب

٥٣ « حوار مع الصفوة

دكتور منصور خالد

٥٤ « مدينة من تراب

الاستاذ على الملك

٥٥ « رسائل عثمان دقته

محمد إبراهيم أبو سليم

٥٦ « دراسات فى علم الاثروبولوجيا

د . عبد الغفار محمد أحمد

٥٧ « مع ابنى الطبيب (طبعه ثانياه)

البروفيسر عبد الله الطيب

٥٨ « شعراء الوطنية

صلاح الدين المليك

دوريات عربية :-

مجلة كلية الآداب

كتب تصدر قريبا :

الاستاذ جمال محمد أحمد

١ « الدين فى الاطار الاثري

الاستاذ عبد الله صالح حامد .

٢ « مقدمة فى الرياضيات

منحة

٥٧ ١٦ - جبارة الحاج عبد الرحمن ضد عطا منه بله

رقم ٢٤٠ / ١٧ ، ١٩٧٣ / ١ / ١٩٧٤

٦٥ ١٧ - جمعه أحمد عطيه ضد محمد أحمد صديق

رقم ٨٧ / ٢١ ، ١٩٧٢ / ١ / ١٩٧٣

(ح)

١٢٦ ، ٧٤ ١٨ - حياتي عماش وآخرين ضد عثمان أحمد المصطفى

رقم ١٦٢ / ١٣ ، ١٩٧٣ / ٣ / ١٩٧٣

(خ)

١٢٧ ١٩ - خديجة عمر ضد (ورثة المرحوم) عبد الله الماحي

رقم ٢٠٥ / ١١ ، ١٩٧٢ / ٣ / ١٩٧٣

(د)

٢٠ - دار الصحافة للطباعة والنشر ضد حموده العركي .

١٢٧ ، ٧٤ ، ٤٥ عثمان

رقم ٧٧ / ١٠ ، ١٩٧٤ / ٦ / ١٩٧٣

٣٨ ٢١ - دنيق مادوس ضد شركة الخرطوم لصناعة الطلبي

رقم ١٣١ / ٨ ، ١٩٧٢ / ٤ / ١٩٧٣

(ز)

١٠٢ ، ٦٦ ٢٢ - (ورثة) زينب عكاشة ضد أحمد ابراهيم حسن

رقم ١١٠ / ٢٩ ، ١٩٧٢ / ١١ / ١٩٧٢

الصفحة

(ش)

- ٢٣ - شاكر اندراوس ضد محمد أحمد عبد القادر
رقم ٨٠٠ / ١٩٧٣ ، ١٧ / ٣ / ١٩٧٤
- ٢٤ - شركة اتحاد المهندسين ضد عمر محمد علي
رقم ١١٨ / ١٩٧٢ ، ١٤ / ٢ / ١٩٧٣

(ص)

- ٢٥ - صبحي عبد المسيح ضد شركة الخطوط الشرقية
رقم ٨٤ / ١٩٧٢ ، ٢٧ / ١٢ / ١٩٧٢
- ٢٦ - صديق عمر بقادى ضد محمود عمر بقادى
رقم ٢٣٧ / ١٩٧٣ ، ٣١ / ٥ / ١٩٧٣

(ع)

- ٢٧ - عائشة عبد الرحمن ضد عبد الله مالك عبد الرحمن
رقم ١٧١ / ١٩٧٣ ، ٢١ / ٤ / ١٩٧٣
- ٢٨ - (ورثة) عبد الرحمن محمد عشا ضد علي عبد الرحمن عشا
رقم ٢٨ / ١٩٧٤ ، ١٩ / ٣ / ١٩٧٤
- ٢٩ - عبد العزيز محمد ابراهيم رشوان ضد أحمد
محمد البرير وشركة التأمينات العامة
رقم ٤٤٧ / ١٩٧٤ ، ١٨ / ٩ / ١٩٧٣

الصفحة

٥٩ . . . ٣٠ - عبد الكريم على ضد مصطفى أحمد

رقم ١٦٠ / ١٩٧٣ / ٢ / ٧ / ١٩٧٣

٩٢ ، ٨٦ ، ٥٨ ، ٤٩ . . . ٣١ - عبد الله الطيب ضد محمد الباشا

رقم ٧٤ / ١٩٧٣ / ١٤ / ١١ / ١٩٧٣

٦٤ . . . ٣٢ - عدلان طه عدلان ضد تاج الدين محمد عبد الرزاق

رقم ٢٨ / ١٩٧٣ / ١٥ / ٣ / ١٩٧٣

١٠١ . . . ٣٣ - علي أكلون قونج ضد أصابا كون

رقم ٣٠٢ / ١٩٧٣ / ١٣ / ١٢ / ١٩٧٣

١٢٦ ، ٥٢ . . . ٣٤ - عمر ملال ضد عبد المطلب الشايب

رقم ٤٥٤ / ١٩٧٣ / ٦ / ٨ / ١٩٧٣

(م)

١٠١ ، ٥٣ . . . ٣٥ - محبوب على الأمين ضد (ورثة) أ. لولاص

رقم ٤٦١ / ١٩٧٣ / ٤ / ١٠ / ١٩٧٣

٦٨ ، ٦٠ . . . ٣٦ - محمد أبو العزائم مدني ضد مدني أبو الحسن محمد

رقم ٢٩٥ / ١٩٧٣ / ٣١ / ١٢ / ١٩٧٣

٣٧ - محمد اسماعيل على ضد الشركة السودانية

٨٠ . . . لآ وراء البحار

رقم ٥٠٦ / ١٩٧٣ / ١٦ / ٩ / ١٩٧٣

الصفحة

- ٣٨ - محمد البلولة ابراهيم ضد مرحوم بابكر
رقم ١٩٧٢ / ٤ / ٣٠ ، ١٩٧٢ / ٩ / ١٩٧٢
٩٠ ، ٥٠٠ ، ٢٣
- ٣٩ - محمد الحسن عبد الرحمن وآخرين ضد ورثة
الطيب مجذوب
رقم ١٩٧٤ / ٣ / ١٣ ، ١٩٧٢ / ٦٠٢
١٢٥ ، ١٠١
- ٤٠ - محمد جبر الله الأحيمر ضد السيد عيسى الفكي
رقم ١٩٧٣ / ٦٧٥ / ١١ ، ١٩٧٣ / ١٢ / ١٩٧٣
١٠٢
- ٤١ - محمد زين عبد الرحمن ضد بابكر صالح
رقم ١٩٧٣ / ٣٥٦ / ١٧ ، ١٩٧٣ / ١٠ / ١٩٧٣
١٢٥
- ٤٢ - محمد علي أبو كوع وآخرين ضد (ورثة) محمد
عبد القادر أبو ريذة
رقم ١٩٧٣ / ٩٥ / ١٢ ، ١٩٧٢ / ٣ / ١٩٧٣
٥٢ ، ٣٢
- ٤٣ - محمد محمود عبيد ضد عواطف محمود حسن
رقم ١٩٧٤ / ١٠٣ / ٩ ، ١٩٧٤ / ٦ / ١٩٧٤
١٠١ ، ١٠٠
- ٤٤ - محمد نبيل فهمي ضد دانيال شحاته
رقم ١٩٧٢ / ٦٧ / ٢٢ ، ١٩٧٢ / ١١ / ١٩٧٢
٨٤ ، ٥٨
- ٤٥ - محمد بن بابكر محمد ضد (ورثة) عدلان سعيد
رقم ١٩٧٣ / ١٣٢ / ١٨ ، ١٩٧٢ / ٣ / ١٩٧٣
٩٢ ، ٨٨ ، ٨٦ ، ٧٢

الصفحة

٤٦ - مدثر القراى ضد يحيى ابراهيم الحسين ١٠٩
رقم ٤٩٥ / ١٩٧٣ ، ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٣

٤٧ - مؤسسة كريكاب ضد اخوان كيب وتيودور ١٠٦
رقم ٧٣٩ / ١٩٧٣ ، ١٣ / ٣ / ١٩٧٤

(و)

٤٨ - وزارة التربية والتعليم ضد أحمد فضيل حسن

عبد النعم ١٠٧
رقم ٦٦٤ / ١٩٧٣ ، ٧ / ٢ / ١٩٧٤

(ى)

٤٩ - يوسف عبد المال ضد البادى طه فضل ١٠٠ ، ٢٦
رقم ١٨١ / ١٩٧٢ ، ٣١ / ١١ / ١٩٧٣

وكرّاث عربي اسلامي نعتده لحاضرنا ومستقبلنا . اما الهدف الثالث الذي لا
ولا يعد هو ان يكون مرجعا للدارسي الادب السوداني وحافزا للنظر في ما
به البيئة السودانية من موضوعات تستحق ان ينفق الوقت والجهد في الكتابة عنها .
وللنظر في ما يملأ المجتمع السوداني من ثروات تحتاج إلى بحث الباحثين وتنقيب
المنقبين ونقد الناقدين .

انني اذ اسأل الله التوفيق فيما قصدت لاحمده الحمد كل الحمد واشكر كل
من أعان على اخراج هذا المؤلف ثم اعتذر للقارئ عما قد يجد او يلاحظ من تقصير
أو سهو ، والكمال لله أولا وآخرا .

صلاح الدين المليك

نوفمبر ١٩٧٣

المقدمة

السودان قبل محمد على

المنام الفكرى :

للسودان من بين البلاد الأفريقية وضع فريد فى سجل الحضارة الأفريقية القديمة لا يشركه فيه بلد من بلدانها المختلفة ، وان كان بعضها يفوقه لظروف خاصة . شهد السودان مدينة مسيحية انتشرت فى بعض ربوعه ردحا من الزمن ، و « كان يسكن فى بلاد النوبة السفلى قوم يقال لهم المقررة ، وأول أرض المقررة قرية تعرف بنافة على مرحلة من أسوان ومدينة ملكهم يقال لها نجراش على أقل من عشر مراحل من اسوان ويقال ان موسى صلوات الله عليه غزاها قبل مبعثه فى أيام فرعون فأخرب نافة . فالنوبة والمقررة جنسان بلسانين كلاهما على النيل فالنوبة هم المجاورون لأرض الاسلام وبين أول بلدهم وبين اسوان خمسة أميال ويقال ان سلها جد النوبة ومقرى جد المقررة من اليمن وقيل النوبة والمقررة من حمير وأكثر أهل الانساب على أنهم جميعا من ولد حام بن نوح . وكان بين النوبة والمقررة حروب قبل النصرانية وكانوا صابئة يعبدون الكواكب وينصبون التماثيل لها ثم تنصروا جميعا - النوبة والمقررة ومدينة دنقلة هى عاصمة ملكهم » (١) قامت هذه المملكة فى شمال السودان ، ومن العاصمة دنقلا انتشرت تعاليم المسيحية بين الناس وسادت أوساطهم وتغلغلت فى النفوس والرؤوس .

وفى بقعة أخرى من السودان ، وفى وسطه بنى فريق من النوبة « يقال لهم علوة (٢) مدينة عظيمة سموها سوبا وبسطوا سلطانهم على ما جاورها من البقاع واتسعت رقعة دولتهم ، حتى أن من « سار فيها يريد أقصاها لم يأت عليه بعد سنين (٣) وفى سوبا « أبنية حسان ودور واسعة وكنائس كثيرة الذهب وبساتين (٤)

١ - الخطط - المقرئى - ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣

٢ - تاريخ السودان - نعم شقير . بيروت ١٩٤٣

٣ - نفس المصدر ٣٤٤

٤ - الخطط . المقرئى ١ ، ١٩٣

المطمئن الواثق لمكانه شيخه الدينية . فالذى مكنته الظروف من أن يدرس في مدرسة ما مبادئ القراءة والكتابة وتحصيل القرآن أو جزء منه يهيمن على حياة القرية الدينية والثقافية والاجتماعية أحيانا « (١) .. وهذا يعنى ان التعمق فى أمور الدين وفى غيرها لم يكن غاية الكثيرين لذلك انصرفوا إلى المتصوفة وأخذوا يترددون على حلقاتهم ويروون اخبارهم وكراماتهم أكثر مما يروون أخبار الملوك والسلاطين » (٢) وهذا يعنى أيضا سيطرة نوع معين من الأفكار ينشرها أولئك الذين يفدون على الشيوخ ويدعمونها بما يسمعون منهم ومن تلاميذهم من حوادث وخوارق تحدث على أيدي الشيوخ فى حياتهم أو بعد مماتهم أو كوارث تصيب مخالفيهم أو منافسيهم . لم تلتفت عامة الناس إلى شيء فى الحياة ، ولم تكن هنالك حروب متصلة (الامنازعات قبلية) تشغلهم ، والزراعة يسيرة موسمية ، والتجارة محدودة فى مداها وفى اصنافها لذلك اصاب المجتمع السودانى بشيء من الفراغ ألبأ الناس إلى تلك الحلقات وأفكار ونجم عن هذا « شعور دينى مسرف فى الولاء للشيخ وتعلق بالغيب » (٣) وقبل المسيحية والاسلام عرف السودان حضارة الفراعنة وهى حضارة بثت فيه تقاليد وافكارا بقى اثرها زمنا طويلا - فمملكة مروي الشهيرة تدل آثارها القائمة إلى الآن قرب مدينة شندى على حضارة نستشف منها ما كان عليه المجتمع من رقى فكري ونظام اجتماعى ، وقد نالت تلك المملكة « شهرة فى التاريخ . وذكرها المؤرخ اليوناني هيرودتس » (٤) . وقامت فى شمال السودان مملكة أخرى هى نبتة ، تركت هذه المملكة أيضا آثارا تكشف عن مدى ما وصل اليه المجتمع فى عصرها .

مع هاته الحضارات العريقة التى ازدهرت فى شمال السودان وخلفت آثارا اجتماعية وعمرانية شملت الجنوب حضارة أفريقيا السوداء وتجلت فى فنون شعبية متعددة كموسيقى الطبول وصناعة التماثيل وفى بعض الافكار والعادات ، وقد امتدت جذور هذه الحضارة من الجنوب إلى اواسط السودان وتفرعت من هنالك إلى الشرق والغرب والتقت مع مثيلاتها وامتزجت بهن ، ولعلها طغت عليهن أو على

١ - السودان فى قرن - ٥

٢ - السودان فى قرن - ٤

٣ - الشعر السودانى فى الممارك السياسية م. م. ع. ٤٤

٤ - تاريخ السودان ، نوم شقير (بيروت) ٢٢١

بعضهن في بعض المناطق في جانب من جوانب الحياة الاجتماعية . وهذا يدل على قوتها . الا أنها تم تقو على مبادئ العقيدة الإسلامية وعلى تعاليم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

نخلص مما قدمنا إلى أن هذا المريح الدسم هو الذي كون العقلية السودانية وعداها أو بعبارة أخرى هو المنح الذي تمت فيه وعاشت قبل الفتح وقد أثمر هذا المناخ ثمرات متعددة منها :

المحور الرابع من محاور

١ - الدينى : وهو عبارة عن شروح لبعض كتب الاقدمين ومؤلفات منها : -
ألف ارباب بن على بن عون كتابا في اركان الايمان وسماه الجواهر (١)
وشرح « محمد بن محمد كداوى أم اليراهين » . (٢)

٢ - الأدبي : وهو قصائد من الشعر فى المدح فقد مدحوا رجال الدولة ومن ذلك قصيدة (٣) الشيخ عمر المغربي فى مدح الملك نادر أبو دقن . ومدحوا أيضا شيوخهم كمدح « على ود الشافعى » شيخه عمار بن عبد الحفيظ (٤) . وقصائد أخرى رثي بها بعض التلاميذ الاوفياء ساداتهم الذين غدوهم علمهم وعظمتهم كقصيدة الفقيه ابراهيم عبد الدفع التى رثي بها الفقيه احمد بن عيسى . وغير هؤلاء الذين ذكرنا كثيرين . نظم بعضهم مدائح ومراني . وكان لبعضهم اشعر فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم مثل مضوى بن مدني .

لا يتوينا أن نذكر فى هذا المقام أن احدى حكومات ما قبل انغزو المصرى التركى . وهى حكومة القونج حفظت للعلماء والمتصوفين مكانتهم . وقدرت علمهم واجتهادهم فى سبيل حفظ التراث كما استعان بهم بعض ملوكها كالمملك محمد ابو لكيل . الذى اعتقد فى الفقيه داود بن محمد واخذ يشاوره فى جميع أموره . كما أن « الملك بادى أبو شلوخ طرب من جميع المراتب الدعاء » لما كادت

١ - الطبقات صديق ٣١

٢ - الطبقات صديق ٣٢

٣ - مخطوطة كتاب الشونة

٤ - الطبقات صديق ١١٨

حيوشه تهره أمام بعض العزرة . وهذه الحكومة قدم راسخة في ميدان
نشر العلم والمعرفة . فقد اشتهر في عهدهما اوراق السارى وهو مكان
سكن السودانين الذين هاجروا إلى مصر للدراسة في الارهر .

ونجيب العربية التي نشرها لمونج انتشرت الطرق الصوفية . وقامت تلك
الطرق بنور خرمي عيسى يستغل ميل الناس إلى لعظفة (١)

الوحدة الادارية ودورها في خلق الوطن السوداني : **والله الركني**
نعلم أن جيوش محمد على دخلت السودان وتوعلت في اقليمه شرقا وغربا
وحوبا . ولذلك امتد النفوذ المصرى اثر كى من مصب النيل إلى المناطق الاستوائية
حتى كاد يبيغ مابعه حوبا وذلك أيضا . اختتمت حقبة من الزمن اتسمت بسمات
خاصة أهمها :-

- ١ . الانقسام والتفكك . لأن البلاد كلها كانت دويلات لارابط بينها .
- ٢ . سيطرة القبلية . لان كل دولة من تلك الدويلات حكمتها قبيلة واحدة
وتعلت عليها حتى صار احكم محصورا في تلك القبيلة أو في بيت أو عائلة
منها يرثه أحد رجالها عن ابيه او جده أو أخيه .

ودخلت البلاد مرحلة جديدة من مراحل تاريخها الطويل . وشهدت هذه
المرحلة الجديدة تغييرا في كثير من أوجه الحياة . فقد جاء البلاد حاكم ذو فكرة
معينة وغرض محدد وله جيش قوى يسنده واعوان مخلصون مطيعون كثيرون .
ولتنفيذ الفكرة اتى جاء بها . ولتحقيق الغرض المحدد الذى من أجله زحفت الجيوش
وارهقت بعض الارواح كن ذلك التعبير . وبذلك كله دخلت حياة الاهلين طورا
حديدا انتقلت فيه من الانكماش داخل حدود الاقليم أو القطار إلى الانطلاق إلى
الاقايم الأخرى وإلى الاقطار المجاورة لاسيما مصر . فقد انفتحت الابواب بعد
الفتح و وجدت القبائل نفسها حرة بحيث تستطيع التنقل في المكان الذى يطيب
لها فيه المرعى . وممرسة الحياة فالمواصلات أصبحت سهلة والأمن صار مستتباً . (٢)
استمر التنقل وكثر الاتصاف بين الناس من مختلف القبائل والبقاع . وبما أن الدويلات

١ الشعر الحديث في السودان ع. بدوى ٢٦٩

٢ الشعر الحديث في السودان ع. بدوى ٢١٥

القبيلة قد رالت وحلت محلها حكومة واحدة لان محمد علي ١ أعطى السودان ادارة موحدة ، (١) وجعل (٢) من أقاليم السودان المنفصلة وحدة سياسية اذ قسمه إلى مناطق سمي الواحدة منها مديرية بحكمها « مدير » . وكل المديرين يرأسهم حاكم مقره الخرطوم - العاصمة . زالت الفوارق والأحواجز ، وخفت حدة العصبية و « ضعف الاحساس » (٣) بالحياة القبلية فقد أحس الناس أنهم تحت نظم موحد . وأن السلطة لم تعد لنقبيلة « . وقد أدى كل هذا إلى توحيد ولاء الأهلين للحكومة . وهذا بدوره أدى إلى انتراع ولأنهم من القبيلة أى إلى جمعهم كلهم فى طاعة هيئة واحدة بسطت نفوذها على بلادهم . ووضعت لهم قانونا واحدا يسرى عليهم كلهم دون استثناء . ووضعت كذلك أنظمة أخرى متعددة تنطبق عليهم كلهم لا يشذ فرد ولا تخرج عنها جماعة

مع كل ما تقدم نجد ان السفر داخل المناطق او من اقليم إلى آخر قد سهل . وأخذ الناس يرحلون فى طمأنينة لأنهم لا يخافون الغارات ، ولا مخاطر الطريق الآخر ولا يشغلون عن السفر بحروب قبلية . وقد ترتب على هذا أن اختلطت الدماء والانساب وبخاصة الدماء العربية التى كانت تمتزج بالسكان فى سرعة مذهلة كما ترتب عليه تهيئة السودان لموحد لاداء دورة كاملا فى المحيط الاسلامى الكبير مستعينا فى ذلك بحركة التجميع السياسى إلى جانب حركة التجميع الصوفى وازدهار البعث العلمى فى البلاد . »

ومضى الزمن والناس على هذا الحال تحكمهم حكومة واحدة وينطبق عليهم قانون واحد وتعتبر الحكومة ببلادهم قطرا واحدا . وهم ينتقلون داخله كيفما يشاءون ويقيمون حيث تطيب لهم الإقامة دون قيود او حدود . ولهذا يمكننا القول بأن الحكومة بتوحيدها الادارة مهدت السبيل إلى خلق وطن سوداني .

١ - السودان فى قرن

٢ - تقرير لجنة الخدمة ٢٨

٣ - الشعر الحديث فى السودان ع . بدوى ٢١٢

الفصل الاول شعراء ما قبل المهدية

لم يكن السودان لدى مقدم الأتراك له واستيلائهم على أُلُحجة الحكم فيه خاليا من نظام تعليمي أو خلوا من أية حركة تنقيفية توجيهية ، بل كان فيه تعليم ديني يتلقاه المتعلمون في المسجد على شيوخ عماء ، وفي الخلاوى حيث يتلقون مبادئ الدين ويتلقون القرآن ثم يحفظونه عن ظهر قلب . هذا النوع من التعليم هو أساس ثقافة كثيرين من الشعراء الذي ستحدث عنهم في الفصول القادمة من هذا البحث . لم تكن هذه الخلاوى وتمك المساجد محصورة في بقعة واحدة أو منطقة معينة وانما تناثرت هنا وهناك . وطبقت شهرة بعضها الآفاق واشتهر معها الرجال الذين قاموا بالتدريس فيها . كما شهرت القرى التي قامت فيها ، فقرية « كترانج » مثلا مكان المسجد المعروف الذي درس فيه العالم الفقيه احمد ولد عيسى ، وقرية « ابي حراز » مسكن العالم المتصوف دفع الله ابن الشيخ محمد العركي فيها مسجد وعدد من الخلاوى ودرس فيها اعداد من الطلاب ، والشيخ حسن ولد حسونة أقام في قرية عرفت باسمه واصبحت ملتقى لطلاب الفقه ولراغبين في حفظ القرآن . على ايدي هؤلاء الرجال ومن تلك البقاع شع نور المعارف الدينية وانتشر حتى عم أرجاء القطر .

لما قامت حكومة العهد المصري التركي شجعت هذا التعليم لانها رأت فيه دعما « للثقافة العربية الاسلامية » . وكان الولاية أيضا يرون في هذا النوع من التعليم نفعا يعود على الدولة وعلى الرعايا - فهو معين على تثبيت دعائم الحكم . وها هم اولاء يعيدون الازهرين (١) انسودانيين من مصر إلى السودان ، وهو يكفل للرعايا قدرا من المعرفة يستعينون به على أمور الدين والدنيا ، لذلك اعان اسماعيل مدارس القرآن والعلوم الشرعية (٢) . الا انهم لم يكتفوا بهذا النوع من التعليم

١ الشعر الحديث في السودان ع . بدوى ١١٦

٢ السودان في قرن ٧٤

لأنه ون وفي بنحاجات لبلاد الروحية م ينف ببعض حاجاتها الأخرى . فالنظام
لحديد يحتاج إلى موظفين يساعدون في إدارة دولاب الدولة . وللقيام
بأعمال كثيرة كتابية وحسابية لذلك بدأ التعليم المدني في العهد التركي لسد حاجات
لبلاد وتمشيا مع التطور (١) وفتحت المدارس في بعض المدن . أو أخذت الحكومة في
إرسال وفود من السودانيين ليتلقوا في مصر تعليمًا يؤدي إلى سير الإدارة الحكومية
سير مرضيا محققا لأغراض القائمين بالأمر في السودان وفي مصر . ولم يكن
الغرض من التعليم المدني ، تكوين المواطنين اصالح — كما هو الحال في مصر تقريبا —
ولم يربط بيئة البلاد واحتياجاتها وقدراتها من قريب أو بعيد ومن هنا فلم يأت
بالثمرة المرجوة . (٢)

ومهما يكن أمر التعليم المدني ونشأؤه وأهدافه وثمراته . فإن الذي يعنينا في
المرتبة الأولى في هذا المقام هو التعليم الديني لأنه أخرج للسودان ولعالمين العربي
والاسلامي الرعيل الأول من شعراء هم نتاج ثقافات متعددة ومتنوعة .

المسلمون والخلافة التركية :-

بعد أن غزت جيوش محمد علي السودان و ستوات عليه بجميع أقاليمه أصبح
جزءا من الامبراطورية العثمانية ومعنى هذا أن سكانه كانوا يدينون بالولاء والطاعة
للمتربع على عرش الامبراطورية المتولى خلافة المسلمين . وهو صاحب السلطة
الزمنية والروحية . أمره مطع . وكلمته لا ترد . وخرج عليه خروج من الدين
فمصر التي فكر واليها محمد علي في فتح السودان . وفتحها فعلا . جزء من تلك
الامبراطورية . وقد عين الخليفة المتربع على عرش تلك الامبراطورية ذلك التولى .
فكيف لا يكون السودان جزءا من هذا الكيان وقد صار السودان تابعا لمصر سياسيا
وإداريا . واصبح أهله رعيا لصاحب الشأن في مصر . وهو وشعب مصر من
رعيا الخليفة . وأهل السودان في لبنان والشرق والوسط والغرب مسلمون من
قديم الزمان . رسخت فيهم العقيدة . ونشأت أجيالهم المتعاقبة في بيئات سلامية
خالصة واشربت نفوسهم تعاليم الاسلام وتقاليدِه وهذا سرت فيهم الروح الاسلامية

١ الشعر الحديث في السودان ج. بدوي ١٧٤

٢ المرجع السابق .

وتغلغت ولهذا أيضا هم يعرفون قدر الخليفة . ومعنى الخلافة . ويربطون طاعة الخليفة وتقدير الخلافة بالماضي - دلبى صلى الله عليه وسلم وجهاده وإخلاصه لربه ولأتباعه . وبلاشدين وسيرهم في الحكم وسيرتهم بين المسلمين ، ويربطونها أيضا بخاضرهم وما يصيهم فيه من توفيق أو اخفاق ، أو ما يعرض لهم من خير وشر . ويربطونها أيضا بمستقبلهم في الحياة وفي ما بعد الحياة أحيانا

فالخليفة وإن لم يصل درجة النبى . وإن لم يبلغ مبلغه في اقرب من الحق عز وجل وفي أمور أخرى كثيرة إلا أنه يحل محله في تصريف شؤون المسلمين - شؤون الحكم والدفاع والقضاء . وفي القيادة والزعامة الروحية . وفي كل ما يتصل برعايتهم وحمايتهم . ان الخليفة يكفل لهم كل ذلك . وهم بدورهم يطيعونه ولا يقفون عند حد الطاعة بل يحجمون عن الدخول في أى أمر لا يقره الخليفة . والسودانيون وهم مسلمون ، كانوا يتعلقون ببركيا أيام كانت الخلافة فيها . وكانوا ينظرون إلى الأتراك نظرة اكبر . فالشيخ ادريس ود الأرباب أفنى في مسألة فقهية استنادا على أمر من أوامر سلطان تركيا - وقد رفض فريق من سودانيين الدخول في أمر المهدية محتجين بأنها خروج على السلطان وطاعة السلطان مما يوجب الدين (١) .

ان المسلمين في كل زمان ومكان تعلقوا بخليفتهم . ولم يمتنعهم من ذلك مانع مهما كان . وكل يعرف قصة المرأة العربية التي استغاثت حين وقع عليها الضيم في عمورية قائلة : وامعتصمه . وكلنا يعرف ، حدث بعد ذلك . وفي عصرنا هذا ظل الشعراء المسلمون يمجدون الخليفة والخلافة في شعرهم . ويسجلون أحداثها الكبيرة اجتماعية كانت وسياسية في شعرهم . وفي كل من شوقي وحافظ خير دليل لذلك ففي ديون كل منهما عدد من القصائد التي نظمت في موضوعات تتصل بخليفة المسلمين وحكومته من قريب أو من بعيد . ان الشاعرين بما نظما يعبران عن مشاعر المسلمين في مصر . ويمكننا القول بأنهما ايضا يفصحان عما يجيش في نفوس مسلمي اقطار أخرى لما لكل منهما من مكانة في تلك الاقطار

ان امير الشعراء شوقي استقبل الطائرة التركية ادرميد التي اقلعت من تركيا يقودها طياران تركيان ونزلت في مصر بقصيدة منها :

الدول ذات الصلة بالمسلمين ، أو تلك التي سيطرت عليهم سيطرة مباشرة أو غير مباشرة . وكانت تلك الدول المسيطرة تحسب حساب هذا التعلق في معاملاتها الرسمية والخاصة ، وتحسب حسابه كذلك في رسم سياستها في حكم المسلمين . فلما قامت الحرب الكبرى الأولى في عام ١٩١٤ . ودخلتها تركيا إلى جانب ألمانيا . صارت بدخولها هذا عدوا لبريطانيا التي تحكم اقطارا سكانها مسلمون ، والمسلمون لا يعارضون خليفتهم ولا يخرجون عن طاعته ناهيك بمعاداته أو محاربتة . أو معاونة أعدائه من غير المسلمين . لقد اختلف المسلمون في الماصى وانقسموا وخرجوا على الخليفة وحملوا السلاح وقاتلوا جنود الخليفة . الا أن الخلاف في ذلك الزمن كان داخليا سياسيا ولم تدخل فيه عناصر أجنبية غير اسلامية . ومهما يكن من شيء فإن البريطانيين في السودان اترعجوا وبدأوا يعدون تريبا لما قد ينجم عن ولاء المسلمين لسلطان تركيا وعن تعلقهم به لانه خليفتهم . وقد صار عدوا لحكامهم . فكان ان استكتسوا زعماء السودان عبارات التأييد وجمعت في كتاب فكان سفر الولاة و كان الزعماء محمولين على ذلك حملا ليهذا الشعب «(١)» .

الشعور الوطني والشعور الديني :

كان الشعور الديني يطفئ احيانا كثيرة ويسيطر على المجتمع الاسلامي سيطرة تامة ودليل ذلك أنهم تقلدوا حكم العثمانيين ، وهم غير عرب ، وكان بعض الزعماء والمفكرين امتثال حمل الدين الافغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي يهتمون الوصية على أسس ديني . وقد دفع هذا الشعور بالامام محمد عبده إلى أن يقول « ان المحافظة على الدولة العبية العثمانية ثلاثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله فانها وحدها المحافظة لسلطان الدين »(٢) .

تبع هؤلاء المفكرين عدد من ذوي الرأي في مصر وغيرها . متعلقوا باختلافة زعماء عن مضامير الاتراك وعجمتهم فبكى الشعراء الخلافة لما الغيت . وانكروا على دعاة القومية دعوتهم — كل هذا يدل على سيطرة الشعور الديني وتغلبه على الشعور الوطني في أقاليم المجموعة الاسلامية المختلفة .

١ - مصر سوداني في المعترك السياسية م م عن ٣٦٢

٢ - الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ٣٦

وهي السودان قامت ثورة محمد أحمد المهدي باسم الدين . فقد أعلنها ثورة على مظالم حقت بمسلمين هم أهل السودان . ثورة على مناسد حدثت على مسمع ومرأى من حكام كانوا يمثلون إلى حد ما أعلى وأكبر سلطة دينية في العالم الاسلامي . وستجيب اساس المهدي وتعود وحالته مصر مرة بعد أخرى . وكله انتصر رداد عدد اتباعه . وسرى الخمس في جنوده وظواياة اتلون وينتصرون في أن تم لهم مددوا من اجلاء الاتراك والاستيلاء على زمام الامور في البلاد فبو ان محمد أحمد المهدي أعلنها ثورة وطنية . ودعا الناس إلى محاربة الحكام المذبحين . وحرير ارض الوطن من سيطرته . أفكن يجد نفس التأييد والاستحابة أن يجد أي قدر من المساندة والعصيدة أو أي نوع من القبول بين الناس .

مكان السودان في نظر هؤلاء الشعراء من مصر ومن العالم الاسلامي :

لقد كان لدولة الفونج فضل كبير في نشر الثقافة العربية الاسلامية . ففي عهدهم انتشرت الخلاوى في بقاع السودان المختلفة . ومن أكثر ملوكهم أهم عنوا بالاسلام والنعمة العربية ومن مظاهر تلك العناية أن قربوا اليهم كثيرا من العلماء والمتصوفة وغروهم في سائر . فتجمع حولهم طلاب العلم والمتصوف من نوحى السودان المختلفة ومن خارجه . كذلك أقطعوهم الكثير من الضياع الواسعة في أمكن متفرقة من البلاد وأجزلوا لهم اعدايا و كانوا لا يردون لهم شناعة بل جعلوهم أهل مشورتهم ومحل اعتقادهم (١) . ولم يقف جهن الفونج عند هذا الحد . بل نه في رهنهم بدأت دراسة العربية الفصحى تجد آذانا صاغية . وعرفت صالات أدبية بين ملوك الفونج وبين أدباء مصر (٢) . ولكن هذه العناية التي أولاهها ملوك الفونج ل لغة العربية لم تنضح لنا . ولم يقل أحد شيئا عن مداها وكيفيتها ، ولم يقل أحد شيئا عن دراستها . أو عن وسائل تلك الدراسة . ولعل الدين قانوا بالعناية أو تحدثوا عن الدراسة ردوا العناية والدراسة غير المباشرين والمتدئين عن طريق دراسة كتب الصوفية . والمؤلفات الدينية الأخرى . ومهما يكن من شيء فإن الملك نادى كان حريصا على النصبة العلمية بمصر وكان معززا

١ رث سعد اسوداني ع . ١٢ من ١٢

٢ تاريخ الثقافة العربية في السودان . ١٨٩

فذه الصدة يهديه . وهو . بادی أبو دقن « من ملوك الفونج الذين طار ذكرهم
وعبر حدود السودان إلى المنطق المجاورة و « من مآثره التي رويت عنه ان كان
يكرم العلماء في بلاده ، ويرسل الهدايا لعلماء الارهر ، منهم من مدحه بقصائد (١)
فالشيخ عمر المغربي احد علماء الازهر الشريف مدحه بقصيدتين اولاهما من ستة
وستين بيتا ومطلعها :

أيا راكبا يسرى على متن ضامر إلى الغرب يهدي نحوه طيب الذكر (٢)
وفيهما يقول :-

إلى حضرة السلطان والملك الذي	حمى بيضة الاسلام بالبيض والسمر
هو الملك المنصور بادی الذي له	مناقب قد جلّت عن العد والحصر
حمى حوزة الدين الحنيفي بالقنا	واصبح صدرا للعلا حائز الصدر
وجرد للاسلام والملك صارما	أباد به جمع الطواغيت والكفر
وجاهدهم في الله حق جهاده	وفاز بأنواع المثوبة والأجر
وهدم اركان المظالم عدله	فما كان زيد النحو يسطو على عمرو

ثم يقول :

بدولته « سنار » قد زاد أنسبه	وتاهت وباهت بالمسرات والبشر
وأصبح أهلوها بخير ونعمة	يقابل كل نعمة الله بالشكر
واضحت به «سنار» في الانس والصفاء	وتاهت على البلدان حتى على مصر
صفا وقتها واخضر عيش لأهلها	وقد ليست تاجا بأيامه الخضر

هذه القصيدة - صحت نسبتها للشيخ عمر المغربي ألّا لم تصح - تكشف عن رأي
الشيخ وهو عالم تخرج في أكبر جامعة اسلامية في الملك نادی الخالس على عرش
ملوك الفونج . فان كان قائلها فالرأى رأيه ، وان لم يكن هو القائل فلعله اختار
من كلام غيره وغير وبدل منه لأنه وجد فيه ما يناسب المقام - مقام حاكم لغته

١ - السودان في قرن ٣٠

٢ - مخطوطة كاتب الشوفة ١١ ، ويقول المحقق : « انها منقولة من كتاب الاعلام بأعلام بيت الله
الحرام مباشرة أو بطريق غير مباشر مع كثير من التحريف التعمي والحذف لتصبح مسبة
للكل بادی » .

إذا كان من لم يسمع به كذا في كتابه
صراحا لا يبارى

العربية ودينه الاسلام وهذان ربضان يربطان الخاكم وقومه بالشاعر وقومه أوثق الربط وأبقاه على مر الزمن . ولعل الشاعر وجد في كلام غيره ما يقوم بواجب الشكر للملك سبق بالفضل واهدى اليه هدية . ولنتأمل بعد هذا الايات التى أخذناها من القصيدة الاولى - ففى المجموعة الأولى يقرر الشاعر ان الملك حمى الاسلام ودافع عنه بالسلاح . وجاهد فى سبيل الله الجهاد الحق فقيض الله له النصر وزاد اجره وحفل سجل اعماله بالمآثر الحميدة حتى صار صدرا للعلا « ويقرر فى نفس لمجموعة انه نشر عدله بين الناس ففضى على المظالم . وعاش الناس كلهم متحابين متآخين ولم يكن لاحد ان يعتدى على آخر .

أما المجموعة الثانية فتحدثنا عما أصاب البلاد فى عهد الملك بادى الممدوح اذ يقرر الشاعر ان الاهلين عمهم الخير والأمن . وأن حياتهم خلت بالمسرات حتى صار فى مكتبتهم ان يتيهوا على جميع البلدان وعلى مصر ايضا . هذه هى حال الملك وعمله لدينه وديناه - يحمل السلاح فى سبيل الله مجاهدا مدافعا ويسط العدل وينشر الرخاء بين رعياءه . بل هذه هى أيضا حال بلاد مسلمة أو مجموعة من المسلمين تعلو فيها كلمة الحق وينصر فيها الدين ويسعد الاهلون فكيف ينظر اليها عالم « شاعر « مثل الشيخ عمر المغربي . الا يجد فيها حصنا للاسلام وسندا لبلائه الاسلامية الأخرى . ألا يرى فيها على الأقل مثالا تحتذيه البلدان أو المجموعات الاسلامية .

القصيدة الثانية من سبعة وخمسين بيتا ومطلعها :

أيا راكبا قد جد فى السير قاصداً مواضع أحباب هناك أعزة (١)
وهى تشبه الاولى شبيها يكاد يكون تاما ولا تخرج عنها فى مبنائها ومعناها بصمة عامة.
ومن أبياتها :

ويطوى اليها شقة البعد قاصداً ديارا بها أحباب قلبى وبغيتى
لك الخير ان وافيت سنار قف به وقوف محب ذى وفاء وذمة
والق عصا التسيار فى سوح ارضها تجد راحة فيها واوفر حرمة

١ وهذه القصيدة « حسب سدى منقولة من مرجع لا علاقه له بتاريخ سر ولكنهم سمعوا للاشادة بملكة سنار وملكها السلطان بادى « مخطوطة كاتب الشونة

ويأوى إليها الآن كل مسافر
يلقى بها أمنا وحرمة وراحة
ويجئ إليها من بلاد بعيدة
وحظا عظيما دافعا للمشقة
ومنها أيضا :

وعرج على قصر العزيز مليكها
وعول عليه في أمورك كلها
تجد عزة عظمى وتظفر بالمنى
إذا ما دهاك الخطب يوما فلذ به
جميل المحيازين كل قبيلة
بود واخلاص وصدق طوية
وتصبح في عز منيع ورفعة
وعرج عليه فهو حامى الحقيقة

ولنقف قليلا الآن عند هاتين المجموعتين اللتين اخترناهما من القصيدة . في المجموعة الأولى وصف لسار في عهد الملك بادى ابو دق . وليس هو بالوصف السطحي الذى يبين المواضع والمناظر وغير ذلك . إنما هو وصف عميق ينم عن عاطفة قوية ويكشف عن حب -- فهى ديار الاحبة . وهى ايضا البغية . لعله كان يبتغى ان يعيش فيها لينعم بما كان ينعم به أهلوه . فقيهم الراحة والامن واليمن . ويكفيها أنها أصبحت فى نظره مأوى كل مسافر آت من بلاد بعيدة . لقد كشفت هذه الايات عن حب يكنه الشاعر لتلك البقعة . ألا ترى أنه يطلب للراكب القاصد إليها ان يقف بها « وقوف محب ذى وفاء وذمة » وأنه ليس حبا عاديا وإنما هو حب يمازجه وفاء ويشوبه احترام .

أما المجموعة الثانية فتنمىها تمجيد للملك . يصفه ويكاد يبلغ به درجة الكمال عن طريق المبالغة التى يميل إليها الشعراء عادة فى التعبير عن آرائهم ومشاعرهم اذا ما خاطبوا الملوك أو مدحواهم -- فالملك ههنا حامى الحقيقة . وهو أيضا من يعول عليه . وفى كنفه العزة والمعة . وقد آتاه الله وجهه جميلا . وآتاه صفات أخرى كثيرة حميدة غدت زينا لاهله وعشيرته .

ان ما نجده فى هاتين المجموعتين من وصف لسار وما بلغته فى عهد الملك الممدوح . ومن تمجيد ومدح للملك لا يمثل فى نظرنا ذكرا للحقائق أو ردا للجميل فحسب إنما هو أيضا اعجاب بذلك الملك وهو حاكم مسلم هيا لرعينه حياة طيبة ، وهو أيضا ايمان بمقدرته وشخصه وهو مجاهد متفان فى سبيل الله . وهو اغتباط

بما صار اليه حل بند مسلم انان حكم ذلك الحاكم العادل لمجاهد . ان ه
 القصيدة ان نظمهما الشيخ عمر المغربي أو اختارهما وعدن فيهما وبدل أو
 عليه دسا تثبتان فيما نرى تعلق بعض الشعراء في ذلك الزمن بهذه البقاع لآتهم .
 مأوى مجموعات من الناس يربطهم بهم رباط لا ينقصه هو الدين . ولذلك يمكننا
 القول بأنهم اعتبروا هذه البقاع جزءا من عالمهم الكبير وهو العالم الاسلامي

وثمت شاعر آخر هو الشيخ يحيى السلاوي (١) - لم يكده هذا الشيخ يسمع
 بقيام الثورة العربية حتى هاجر إلى مصر وهناك اندمج في الثورة اندماج ماضرة
 وانخلاص وعمل (٢) ونظم قصيدة بائية حث بها مواطني مصر على مسندة الثورة
 ودعائها بالتوفيق ، يقول في قصيدته تلك :

شغل العدا بنشئت الاحزاب	والله ناصرنا بسيف عربي
والقطر فيه من الرجال كفاءة	للحادثات فهم أولو ألباب
وحمية الاسلام تقضى بالوفاء	حتما على كل امرئ أواب
وحبة الوطن العزيز تحبهم	والفتح اذن باتباع صواب
والمشركون خواسر في سعيهم	هزموا وقد نكصوا على الأعقاب

بعد هذه الايات أخذ الشاعر يذكرهم بالماضي المجيد . ويشيد بهم ليحرك فيهم
 الغيرة الدينية والحمية الاسلامية . فلم يقول الشاعر الشيخ يحيى السلاوي ذلك -
 هاجر إلى مصر ثم اتصل بزعم الثورة ونظم هذه القصيدة ؟ لا شك أن الشاعر كان
 يرى ان ما حدث في مصر يحسه ويمثل رأيه وهو الذي ولد في السودان وتربى
 فيه . ومعنى هذا أنه يحس المجموعة التي ولد فيها وتربى وكذلك يمثل رأيه . وعليه
 يكون سفر الشاعر إلى القاهرة واتصاله بقائد الثورة ثم نظم هذه القصيدة « التي
 طبعت بمء الذهب ، وبيعت في شوارع القاهرة كل نسخة منها بخمسة ذهبا » (٣)
 صدق للثورة العربية في السودان أو مشاركة السودان في تلك الحركة . وهذه
 القصيدة « تمثل الاتجاه العام للشعب السوداني ذلك الاتجاه الذي كان يفتقد من

١ - هو ابن الشيخ عبد النبي السلاوي اعدم بفضل الذي تورق نقضاء أمم الحكم لتركه في السودان

ولد يحيى في الخرطوم ١٨٤٦ م . نفثات اليراع ٨٣

٢ - المصدر السابق

٣ - المصدر السابق

يا آل عثمان ابدء العمومة هل
 تشكون جرحا ولا نشكو له (١)
 اذا حزنتم حونا في القلوب لكم
 كالآثم تحمل من هم ابنها سقما
 وكم نظرنا بكم نعمى فجسمها
 بنا السرور فكنت عبدنا نعما

كان لهذا الاستقبال صدى في السودان فقد أعلنت إحدى الصحف عن جائزة تمنحها لمن يشطر بيتي احد الشعراء في استقبال الطائفة وملاحيتها وهما :

يا ادرميد ألا طيرى مبالغة
 رسائل الشوق من عمرو الى عمر
 الى الذي خفقت في الارض رايته
 فالיום تخفق فوق الشمس والقمر (٢)

واستجوب لاعلان الصحيفة عدد من الشعراء . وجاء شعر محمد عمر البيا في المرتبة الاولى وفيه يقول :

(يا ادرميد ألا طيرى مبالغة)
 وبلغيه عن الاسلام قاطبة
 (رسائل الشوق من عمرو الى عمر)
 (الى الذي خفقت في الأرض رايته)
 وعزتها سيوف الله بالظفر
 مدت على لارض ظلا لانفاد له
 (وايوم تخفق فوق الشمس والقمر)

عم تكشف هذه العناية التي يظهرها شعراء في مصر ورملاء لهم في السودان بقلاع طائفة ونزولها . وهذه الصحيفة علام تحتل بالحادث إلى هذه الدرجة ؟ لو تأملنا الأبيات بيتا بيتا ونعمنا النظر في معانيها لعرفنا السبب . ففيها تقدير عميق لخليفة - سلطان تركيا - يكاد يبلغ درجة التقديس . وهذا قليل من كثير . وهو على قلته يصور لنا مدى تعلق المسلمين بالخليفة والخلافة ، وان . هذا الشعر يكشف عن تعلق رجل ذلك العهد بخلافة (الآسنة) . وان قلوب المسلمين كانوا تهفو إلى المجالس على عرش الخلافة في تركيا . وقد كانوا إلى ما قبل سنة ١٩٢٤ يدعون له في المساجد عقب كل صلاة . »

لم يكن امر هذا التعلق سهوا ولا خوفا على أفراد أو جماعات أو هيئات . ثم كان معيونا وظهرا لكل المتصليين بالمسلمين افرادا أو جماعات أو هيئات لاسيما

١ الشوقيات - أول ، ٢١٦

٢ ملامح من المجتمع السوداني ١٦

يعبر عنه « (١) » .

لما فشت الثورة العراقية . حز فشلها في نفس الشاعر وظهر ذلك في إحدى قصائده حيث أخذ يشكو ويتأسى لآحداث لزمان ويبكي على بعض ما مضى ومن مضى وخلص من كل ذلك إلى الافتخار بحلقه . فكأنه يعزى ويتأسى عما كان يشكو منه — يقول :

بليت وطرفي للمحاسن يقظان	وطرف اللبالي عن ذوى المجد وسان
عفا الدهر بعد الأكرمين وما عفا	كما لي ولكن للسعادة إبان
رعى الله دهرا كان بالخط مسعدا	وسامر ليلي العامرية عمران
وللنفس مرعى في التصابي ومرتع	بربع مريع للصبا فيه أفنان
ليال تقضت بالأماني وانسى	على العهد باق بالصباة نشوان
صبرت على خطب سبرت به الوري	فلم يخف عن علمي من الناس انسان
وهبت له نفسا غدت مطمئنة	بحزم عظيم عنه يضعف ثمـلان

هذا هو شعر الشيخ يحيى السلاوي بل هذا هو شعوره . وهو بلا شك قد « وضع اللبنة الأولى للكفاح المشترك » ودلل على وحدة المشاعر وانفق الآمال والآلام . ونظر إلى السودان ومصر نظرتة إلى بلد واحد ومجموعة كبيرة في الأمة الإسلامية الكبرى .

وشاعر ثالث هو الشيخ الأمين محمد لضرير العلم السوداني . نظم هذا العلم قصيدة في مدح الخديوى توفيق والحاكم المصرى جعفر مظهر . عدد فيها مآثر الخديوى واسلافه وأشاد بأحسانهم . اتجه بعد ذلك إلى العلماء مذكرا وداعيا — قال :

فيا أولى الفضل اهل العلم انكم	فى نشر ما يرضيه الله اخوان (٢)
فاخلصوا حبكم فى الله وازدعوا	بذر الخيور فهذا الوقت إبان
أما حوتكم بتوفيق العزيز حمى	أبعد توفيق رب العز خـلان
أليس عارفكم يبدى معارفكم	كما يرى وله للنصح ديوان
ألم توزع عليكم كلكم كتب	فى العلم نافعة بالطبع

١ - تراث الشعر السوداني ٥٨

٢ - نفقات اليراع ٧٩

ألم يكن جمعكم ادعى لصحتها ألم تيسر على التدرّج أنْمان
ألم يبح لكم فيها تناوبكم اذ ليس يمنع مما رام أنْسان
فحاصل القول أن العلم قد سهلت أسيا به اذ بدت للخير أعوان

أعلن لزملائه العلماء رضاه عن الحكومة القائمة ودعاهم إلى التحاب وبذر بذور
الخير لان ذلك الوقت أو ذلك العهد هو وقت بذرها فالتأمّن بالامر سهلاً هم
سبل العلم فهم أعوان للخير .

وقال ايضا :

ومصر كم مصر والتوفيق حافظكم والمعتنى عازف والوقت ابان
وهنا صرح برأيه - كان يعتقد ان مصر بلدهم . بلد أولئك العلماء المتأخين في نشر
ما يرتضيه الله - انهم مسلمون ومصر بلد مسلم رعاهم حكمها وبدلوا هم الكثير
مما عدده هذا الشاعر وغيره كالشيخ محمد أحمد هاشم^(١) في قصيدته التي نظمها
مهتتا الخديوى محمد توفيق بعيد جلوسه قال فيها :

اليمن اقبل بالاحسان طائره والكون نار وقد زادت بشائره
والبشر أبدى سرورا من عجائبه لما بدا طالع الاسعاد نائره
والكون قد رقصت فيه محاسنه والغصن اعلن بالتغريد طائره

إلى أن قال :

قد ضياء سوداننا من حسن رأفته وصيب في بربر منها جواهره
والسعد خادمه في كل آونة لم لا وذا منبع الاحسان ماطره
ذاك المليك الذى اتوار طلعتة عمت جميع الورى منه ستائره

واستمر هكذا يعدد المآثر ويشيد ويدعو - لم كان يفعل ذلك ؟ ولم يفعل الشيخ
الضربير ذلك ويزيد « ان مصر كم مصر » ؟ لم كانا يفعلان ذلك ؟ لأنهما موظفان
فى الدولة . يشغل كل منهما منصبا مرموقا ويتقاضى حجلا من خزينة الدولة ؟
أم لانهما كانا يريان رأيا معيناً فى صلة بلدهما بمصر وبالعالم الاسلامى .

اننا نرى أن هؤلاء الشعراء الذين تحدثت عنهم واوردنا قدرا من أشعارهم
هم ، السودان . ، مكانا خاصا من مصر ومن العالم الاسلامى

بالتاريخ كان ناظرا للمدرسة بربر فى العهد التركى المصدر السابق .

وان اختلفوا فى التعبير عن ذلك الاعتقاد . وان تفاوت تعبيرهم قوة وضعفا . ولم يكن ليغيب عن أى منهم ما يجب عليهم للخليفة الذى تحكم مصر باسمه .

المستوى الأدبى للشعر فى هذه الفترة من ناحيتى الشكل والمضمون :

ان الفترة التى تناول شعرها ههنا - فترة ما قبل المهديّة - تشمل عهدين مختلفين تمام الاختلاف من حيث «نظم السياسى والادارى فى كل منهما ومن حيث ما يترتب على ذلك من نتائج اجتماعية واقتصادية . والعهدان هما - حكم القونج والحكم المصرى التركى . لقد قلنا فى ما تقدم ان القونج « ظلوا ثلاثة قرون ينشرون الثقافة العربية فى أنحاء السودان(١) » ولما جاء الحكم المصرى لتركى أخذ بيد ذلك المجهود وزاد عليه ، وبذلك يمكن القول بأن نشأة الشعر العربى الفصيح فى السودان اعتمدت إلى حد كبير على ما بذله ذانكم العهدان . ويمكننا أن نقول أيضا ان اختلاف الدولتين أو العهدين سياسيا واداريا لم يعق نشأة الشعر العربى الفصيح ولم يعطل نموه .

لقد كان فى دولة القونج شعراء . وها نحن اولاء نعرض نماذج من شعرهم ثم نتاوله بالنقد بعد ذلك . وصل الشعر أيام القونج درجة مكنت أحد اولئك الشعراء من رثاء تلك الدولة لما شاء الله أن تنتضى أيامها . ونظم ذلك الشاعر الذى لم تذكر الكتب اسمه . مرثية من ثلاثين بيتا بكاهم فيها فى شيء من الحرقه والاسى اذ قال :

أرى لدهرىّ أقبالا وادبارا	فكل حين يرى للمرء اخبارا
يوما يويه من الافراح اكملها	يوما يريه من الاحزان اكدارا
وكل شيء اذا ما تم غايته	ابصرت نقصا به فى الحال اجهارا

آه على زمن قد كان فى طرب	كنا يجمع مع الاحباب سمارا
آه على بلدة الخيرات منشئا	اعنى بذلك دار الفنج سنارا
آه عليها وآه من مصيبتها	لم نسلها اينما حللنا أقطارا

تبكى محاكمهم تبكى مدارسهم	تبكى مفاخرهم تنبىك أخبارا
---------------------------	---------------------------

تبكى مدائنهم تبكى مواطنهم
على كرام يزين الدهر مجدهم
تبكى القبائل بدوانا وحضارا
على ديار عليها الدهر قد جارا

عرفت دولة الفونج شعراء آخرين أوردت بعض الكتب اسماءهم واشعارهم ،
الا أن الشعر الوارد في تلك الكتب قليل . ولم يتضح في تلك الكتب ان كانوا قد
نظموا غير الذي روته عنهم أو لم ينظموا . وقد ورد في أحد تلك الكتب أن
« حجيرى بن أبي زيد بن الشيخ عبدالقادر (وقد عاش أيام لفونج) كان شاعرا
حاذقا كأنه كعب بن زهير » ولم يأت الكتاب بشيء من شعره . كما جاء في
نفس الكتاب عن الشيخ مضوى بن مدني بن عبد الدائم (من علماء الفونج وفقهاءهم)
أنه كان شاعرا وله في النبي صلى الله عليه وسلم قصائد واشعار مطربة للفسوس
ولم يتحفظنا المؤلف بقصيدة من تلك القصائد أو أبيات من تلك الاشعار .

من اولئك الشعراء الذين عرفوا في عهد الفونج ووصلنا شعرهم :

١ - مكي الدقلاشى (١) . يروى انه قال حين أراد الخروج إلى البادية :

تموتي بغتة والقبر ممكنك
الا التراب والدود ينهشك
تتمزق الاعضاء وتدرس عظامك
وعمرك محسوب ولم تدر أجلك
اعلمى يانفس ان الموت يفجعك
وتنزلين بديار لا بقاع لها
محاسنك تبلى ويذهب جمالك
ر ورغبتك في الفاني نقص وحسرة

كما يروى انه قال في الحكمة :

الله لي علة في كل نائبة
يا فارحا بالمعاصي عند خلوته
ان الذنوب التي قدمتها كتبت
إلى متى انت في هو وفي لعب
فما مقالك والاسرار ظاهرة
تب يا بني آدم فانت اليوم في مهل
أقول في كل حال حسبي الله
أما علمت بأن الشاهد الله
ان كنت ناسيها لم ينسها الله
فما مقالك في ما يعلم الله
والنار بارزة والمحاسن
واستغفر الله ان الغافر الله

١ - تتلمذ على شيخ دفعه انه امركي في أبي حرار . وبعد ان تصوب وتفقه عاد إلى بيده حيث
أخذ يدرس ويدخل الناس في الطريق . الطبقات - صديق ١٥٧

ولم نحصل من شعره على غير هاتين المقطوعتين - الأولى من عشرة أبيات اخترنا منها أربعة . والثانية ستة أبيات . وقد أوردناها كلها .

٢ - على ولد الشافعي (١) . قال في مدح شيخه عمار بن عبد الحفيظ وهي عشرة أبيات . ولم يذكر له غيرها :

يا طالبين لكل فن تبتغسوا	شدوا الرحال ونوخوا سنارا (٢)
قد حصل بها امام فاضل	زين النوافل عالي المقادير
ورع تقى صابر متواضع	وجل عليه سكينه ووقار
وله العلوم تأهلت طوع المنى	من غير اشكال ولا اعسار
في كل فن تطلبوه ترونه	ويدي الزيد كزائر الابحار
فقه وتفسير الحديث ومنطق	وبديع علم والمعاني لدار
لغة ونحو والبيان وصرفه	علم الكلام به جلا لغبار
علم التصوف طال فيه يا فتى	وقتا به للسادة الابرار
تلك المناقب حازها وحوى لها	سمح الحصايل شيخنا عمار
وكان مجلسه المسمى أزهى	على المدارس في كلا الامصار

٣ - ابراهيم بن بقاء على بن حمودة الكاهلي (٣) . قال في رثاء والده الفقيه بقاء على حمودة ، وهي مراثية من خمسة وثلاثين بيتا ، اخترنا منها :

الحكم لله كل غيره فاني	وفي المنايا عظات كل ولهان
يا تأثها غافلا والموت يطلبه	أقصر عنك فللمنون عينان
وهذه الدار لا شبه يقاربها الا	سراب بدا في ظهر قيعان
سحارة الطرف ترمى في لواحظها	سمية الصل لا راق ولا دان
كم اظهرت فرحا في طيه حزن	وما استحت واحدا في العصر رباني

١ - قرأ كتب العربية على عمار بن عبد الحفيظ وسلك الطريق على الشيخ دفع - اعركي . كان شعرا ماهر وله قصائد في مدح سبي ، وكان من جمع بين العلم والعمل . لطبقات - ١٢٦ .

٢ - المصدر نفسه ١١٨ - ١١٩ .

٣ - ابن الفقيه العالم بقاء على بن حمودة ، صالح فاضل ، ب صديق ٤٣ . مخطوطة كاتب الشوكة ٥٣ - ٥٥ .

في ناسع العشر من ذى حجة وسط
وضجعت الناس عند موته فرعا
لاحبذا فقد أحباب فجعت بهم
فكم أحسن لاصوات مرثمة
فاز على بوعد خير ايمان
لما بدت ثلثة الاسلام في الآن
شم الانوف طوال الباع غران
حنين ثكلى شجهاها فقد فردان

٤ - موسى بن يعقوب (١). قال يذكر ٥ نعمة ربه عليه مع أبيات اطل فيها :

سلام على قوم اذا ذكر اسمهم
تلاآت الانوار من نحو خالقي
نظرت إلى المحفوظ في كل ساعة
أمر على الآفاق انظر ما بدا
وارجلنا تسعى في الارض جملة
مقال عباد الله شرقا ومغربا
وعيني حقا قد ترى كل ما يرى
نظرت إلى الجبل الذي كان نوره
فناجيت حقا فوقه متضرعا
انا ابن يعقوب الذي شاع ذكره
فاسمى موسى بالكليم مسميا
تهتك استارى اليهم برجفسة
بوقت قيامي أو جلوسى بخلوة
تناهيت عن اظهار حكم الذهبية
فاخبر عن ذكر النواحي الغربية
وفي مرة طيرا نظير بسرعة
بأذني اسمع سمعا بشهيرة
وادعى في النواحي لفتية
يلوح على الاكوان كحلا لمقلتي
فعاضت له منى اليه اشارتي
ولكني اكثي في الانام بقصة
ونور جلال الحق فوقى بمنة

٥ - أحمد ابن الحاج الطيب (٢) - نظم قصيدة من واحد وعشرين بيتا يرثي بها
الشيخ يوسف بن الطريفي (٣) :

بدأت بحمد الله ثم صلاته
وبعد فقصدى ذكر مثقال ذرة
أيا رمس قد نلت المكارم والاعلا
وحزت به فضلا وفخرا ومترلا
على خير مبعوث واكرم من هدى
من اوصاف من نالت به الأرض سؤدا
لكونك باشرت الامام الممجدا
وصرت به بين المقابر اوحدا

١ تنسب وتصوف على أبيه الشيخ يعقوب واشتهر بالصلاح . نطبقات صديق ١٥٢ - ١٥٤
الحج الطيب - قتل مع محمد وند عدلان سنة ١٢٣٥ هـ وهو صاحب علم وبلاغة
مخطوطة كاتب الشوكة ٧٦

هو الخبر عند العضلات اذا أتت
فان نظر الانسان نظرة رحمة
اذا ما رأته العين في غابة الدجى
هو الكهف للآوى اليه جميعه
وكم من عراة عالة يقصدونه

يحل ويكشف كل ما كان معقدا
بها ينجلي ما كان في القلب من صدا
تراه مضيا مشرقا متوقدا
هو الباذل الفياض ان تمدد اليدا
فتغشاهمو أمواج آلاه سرسدا

٦ - الفقيه الصديق (١). قال يرثي شيخه العالم الفقيه أحمد بن عيسى من قصيدة طويلة :

أهالنا حدث أهى به البصر
لنا مصاب عظيم كان يعظمه
فشيخنا احمد قد ضاء جوهره
تنعیه كل علوم الدين ناشدة
من قام بالشرع والتدريس مجتهدا
له أياد بتصرف العلوم اذا
ابان في محكم التتريل مشتبها
محقق كامل التحقيق ذو أدب
طويل باع لفقه لامراء له
وآلة العلم يديها محققة

وعمنا وجل يهيم به المطر (٢)
اجلة ما لقلب منه مصطبر
اذ أمه ملأ الافلاك والقدر
نداؤهم هكذا يا أيها القمر
وقام بالعلم فردا كان لا وزر
ضاققت مذاهبتنا أو حارت الفكر
وقد نحا لأصول الدين ياتمر
وفي الحديث له التقديم والنظر
سليم قلب له العلياء والظفر
صرفا ونحوا بيانا زانه نظـر

(١) - مخرج ولد تكتوك (٣). قال في الحكمة من قصيدة فيها ثلاثة وعشرون بيتا :

يا واقفا عند ابواب السلاطين
تأتي بنفسك في ذل ومسكنة
من يطلب الخلق في جلب مصلحة
وكم يحاكي لمسجون يدوم له

ارفق بنفسك من هم وتخزين (٤)
وكسر نفس وتخفيض وتهوين
أو دفع ضرر فهذا في المجانين
وكم من السجن في ايدي المساجين

١ - كان امام مسجد سنار . تراث الشعر السوداني ، ١٤

٢ - مخطوطة كاتب الشوكة ١٠٤ - ١٠٥

٣ - كان شاعر ماهرا وكلامه متروك جذاب مقبول ، وعنده كلام في الذهد والتوحيد والأدب

وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة - الطبقات صديق ١٤٦

٤ - شعراء السودان ٢٦٠

ان كنت تطلب عزا لافء له
ولا تصاحب غميا تستعز به
فالطمع يرميك فى ذل ومهلكة
والقنع نام قريبا لا كصاحبه كما
فتق بربك لا تبغى سواه بخا
وكم جرى طامع فى البئد مغتربا
فلا تقف عند ابواب السلاطين
وكن غنيا وراخ حرمسة الدين
وم ينادك الا كل تهوين
تمام غصون فى البساتين
والورق مترله فى ختم ياسين
ولم يجد قصده فى اشمه والصين

عرضنا فى ما تقدم نماذج من شعر شعراء العهد الفونجى، ولم نغفل الا واحدا هو ابراهيم عبد الدافع . وقد اغفلناه لانه من محصرمى العهدين التركى والفونجى ولأن أكثر شعره المروى عنه نظم فى العهد التركى وهو عبارة عن أربع قصائد . واحدة نظمت أيام الفونج وفيها احد عشر بيتا فقط . والثلاث الباقيات نظمت ابان الحكم التركى المصرى . ويتراوح طول الثلاث بين ثلاثة وعشرين وتسعة وثلاثين بيتا . واند نرى فى كل ذلك مسوغا لاعتباره شعرا فى مجموعة شعراء العهد التركى المصرى . وسننظر فى شعره مع شعر تلك المجموعة .

سنبأمل تلك النماذج التى وردناها نرى انها لا تكاد تسلم من الاخطاء نحوية كانت أو عروضية أو صرفية . فمن الخطأ النحوى قول احدهم (واسمه لم يذكر فى الكتب) فى رثائه دولة الفونج :

أرى لدهرى اقبلا وادبرا فكل حين يرى للمرء اخبارا

فالفعل « يرى » تعدى فى هذا البيت لمفعوله الاول بحرف الجر اللام . ولا نعرف مبررا لهذا الا اقامة الوزن . اذ يمكن ان يقال فى سهولة ويسر تامين « يرى المرء اخبارا » على ما فى المعنى من ضعف وعامية لان الخبر لا يرى . قد لا يكون هذا خطأ بالمعنى المفهوم اذ ليس هو مثل النحن . لكنه على أية حال استعمال مخالف للعرف النحوى (١) . اما اذا قرىء الفعل « يرى » بصيغة الساء للمجهول فلا بد من نائب فاعل . ولا يوجد اوف من اخبارا « وهى كما نرى منصوبة . هنالك فعل لازم آخر عداه الشاعر فنصب المفعول . وهم « تم » فى البيت :

وكل شيء اذا ما تم عاينه أنصرت نقصا به فى الحال اجهارا

ف قول ابن مالك - وعد لازما بحرف جر

ولعله يريد « أتم » .

من الاخطاء النحوية قول « على ولد الشافعي » :

يا طالبين لكل فن تبغوا شدي الرجال ونوخوا سنارا

حيث حذف نون الفعل المضارع ولم يسبقه ناصب أو جازم ، وقد تكرر هذا في قوله في نفس القصيدة :

في كل فن تطلبوه ترونه يبدى المزيد كزائر البحار

كما جاء فيها خطأ آخر في البيت :

علم التصوف طال فيه يا فتى وقتا به للسادة الابرار

حيث نصب « وقتا » وحققا ان تكون مرفوعة على الفاعلية . كذلك حذف مكى الدقلاشى النون من الفعل المضارع دون أن يسبقه ناصب أو جازم في قوله :

اعلمى يا نفس ان الموت يفجعك تموتى بعته والقبر مسكنك

أما الاخطاء الصرفية فمنها هذه المجموعة :

تبكى مدائنهم تبكى مواطنهم تبكى القبائل بدوانا وحضارا

و « بدوان » و « حضار » ليست قياسية ولا سماعية في ما نعلم . كذلك : البحار

في قول على ولد الشافعي :

يبدى المزيد كزائر البحار

ومنها ايضا بقاء ياء فعيله في الجمع « الحصايل » من قول الشاعر نفسه :

سمح الحصايل شيخنا عمار

ثم ان مكى الدقلاشى جاء بزنة « فاعل » من « فعل » الثلاثي الملازم فقال :

يا فارحا بالمعاصى عند خلوته

وهذا يخالف القعدة الصرفية ومنها قلب الالف ياء في قول موسى بن يعقوب

واسمى موسى بالكليم مسميا فقلب الف « مسمى » ياء دون مبرر . في بعض

الاحيان يلجأ الشاعر إلى اللغة العامية فيأخذ منها بعض العبارات كقول الفقيه "

« طويل باع لفقته لامراء له . وكقول ابراهيم بقادى على بن حموده الكاهلى -
 « شم الانوف طوال الباع غران » و « طويل باع » تعبير شائع فى لغامية . كذلك
 كلمة « تهوين » بمعنى اهدئه أو تخفّر لى جاءت فى قصيدة الشيخ فرح ولد تكتوك :
 تأتي بنفسك فى ذل ومسكنة وكسر نفس وتخفيض وتهوين

لا تحمل هذا المعنى فى اللغة المتصحى ولا فى عامية عصرنا هذا . ومن الكلمات
 العامية « ضوء » بمعنى اضاء . و « غنى » بمعنى أغنى وقد جاءت فى قول احدهم
 وهو :

فكم غنى سائلا كم ضوء بلدان

ومنها أيضا الكلمة « فردان أو فرداني » بمعنى أوجد . وهى فى احد أبيات ابراهيم
 بن بقادى الذى يقول فيه :

فكم أحن لاصوت مرثمة حنين ثكلى شجها فقد فردن
 لقد كثر اختلال الوزن والقافية فى أكثر شعر فنونج . فلم تخل قصيدة
 من القصائد التى أوردنا من وزن مختل أو قواء . فهى المرثية التى ذكرت من قبل
 ولم تنسب إلى شاعر معروف تجدد هذا البيت :
 آه عليها وآه من مصيبتها لم نسلها اينما حللنا اقطار
 وهو غير موزون .

✓ أما أبيات مكسى الدقلاشى التى يبدأها بقوله :

أعلمنى يا نفس ان الموت يفجعك تموتى بغتة والقبر مسكنك
 فتكاد تكون سجعاً . ومن خلل الوزن قوله فى قصيدة أخرى :
 تب يا بنى آدم فانت اليوم فى مهل
 واستغفر الله ان الغافر الله

وقول على ولد الشافعى :

قد حل بها امام فاضل زين النوافل على المقطار
 الابيات وهى من نظم موسى بن يعقوب :

مقال عباد الله شرق ومغربا بأذني اسمع سمعا بشهرة
وعيني حقا قد ترى كل ما يرى وادعى في النواحي لفتية
انا ابن يعقوب الذي شاع ذكره ولكني اكنت في الانام بقصة

غير سليمة الوزن ، وفي قول احمد ابن الحاج الطيب :

وبعد فقصدى ذكر مثقال ذرة من اوصاف من نالت به الأرض سؤدا

لا بد من قطع همزة ، اوصاف « ليستقيم الوزن . وفي قوله من نفس القصيدة :

هو الحبر عند المعضلات ذا أثت يحل ويكشف كل ما كان معقدا

يتحتم جزم « يكشف » كما يلزم ان تكون « معقده » بزنة « مُفْعَل » ليسلم الوزن
ويبدو اختلال الوزن في بيتي فرح ولد تكتوك وهما :

فالطمع يرميك في ذل ومهلكة وم يفيدك الا كل يهوين

والقنع نام قرير لا كصاحبه كما تمام غصون في اليساين

ولتقف قليلا عند هذه الايات وهي من نظم ابراهيم بن بقادى وقد وردت مع
النماذج التي قدمناها :

الحكم لله كل غـيرـه فاني وفي المتايا عطات كل ولهان

يا تأنها غفلا والموت يطبه أقصر عنك فللمنون عينان

.....

كم أظهرت فرحا في طيه حزن وما استحت وحدا في العصر رباني

لندرك مدى حيرة القارئ في وزنها . فلا بد أن يتوقف ويغير حركات بعض
الكلمات ليستقيم له الوزن .

بدأ على ولد الشافعي قصيدته بهذا البيت :

يا طالبين لكل فن تبتغوا شدوا الرجال ونوخها

بقافية قوية واضحة تأسر الأذن الا أنه لم يستطع الاستمرار ،
هكذا :

قد حل بها امام فاضل زين

براء مكسورة فى القافية . ولكنه عجز عن الاستمرار فيها فأقوى وجاء البيت
التالى براء مضمومة اذ قال :

ورع تقى صابر متواضع وجل عليه سكينه ووقار
وعاد مرة ثانية إلى الكسر فقال :

وله العلوم تأهلت طوع المنى من غير اشكال ولا اعسار
واتبع هذا البيت أربعة أخرى قافيتها راء مكسورة ثم عاد مرة أخرى إلى الراء
المضمومة حيث قال :

تلك المناقب حازها وحوى لها سمح الخصال شيخنا عمار
ونجد الاقواء فى ابيات أخرى لشاعر لم نقف على اسمه . وهى :

سلام رب العلا اهديته الآن	إلى أمير بدار الفنج سسلطان
هو الرشيد عزيز الاسم نذكره	محمد البيث نجل الشيخ عسلدان
له خصال على الانداد زائدة	شجاعة القلب صدق تم احسان

لم نجد فى ما بين ايدينا من شعر الفونج تشبيهات أو استعارات كثيرة . فما
هى كلها قليلة وسبب ذلك بالطبع قلة الشعر نفسه . فمن تشبياهم :

بيدى المزيد كزائر الاجار

.....

وكأن مجلسه المسمى أزهر

.....

فكم أحن لأصوات مرثمة حنين شكلى شجاها فقد فردان

هو الكهف للآوى اليه جريعه

نام قريبا لا كصاحبه كما تنام غصون فى البساتين

أحبة لأرواح فيها . أما الاستعارات وان كانت قليلة فإنها أكثر

• اولاء فذكر نماذج منها :

ادبارا فكل حين يرى للمرء اخبارا

لها يوما يريه من الاحزان اكدارا

وتتجرد من سمات المجتمع السوداني على غناه بالمعاني السامية والمثل العليا . ان هؤلاء الشعراء جميعهم من العلماء ، وكل منهم تتلمذ على علم فقيه متصوف مشهور . وبعضهم كما رأينا قدم شيخه شيئا من نتاجه أو مدحا وهذا يفسر لنا الظاهرة الواضحة في شعر القونج وهي شيوع الروح السنية الصوفية في معظم قصائده . فاحمد ابن الحاج الطيب يبدأ قصيدته في رثاء الشيخ يوسف بن الطريفي « بحمد الله » ويختمها بالدعاء (١) والفقير الصديق يحتتم رثاءه لفقير احمد بن عيسى بالدعاء والصلاة على النبي (٢) . كما أننا نجد بعض الالفاظ القرآنية في بعض القصائد كقول أحمد ابن الحاج الطيب « وبعد فقصدى ذكر مثقال ذرة » في البيت الثاني من المراثية التي تقدم ذكرها . ومثل هذا ما جاء في مراثية براهيم بن علي بقادى لايه حيث قال :

على المرتضى في أمه وسط مخاطبين بكنتم خير ذى شأن (٣)

وقد بدأ مراثيته هذى بقوله : احكم الله . ثم ختمها بالصلاة على سيدنا محمد .

تظهر الروح الاندنية في قصيدة الشيخ فرح ولد تكتوك :

يا واقفا عند أبواب السلاطين ارفق بنفسك من هم وتحزين

وهي دعوة للزهد والابتعاد عن الحكماء وتعويل على الحق . إنها موعظة أو سلسلة من الحكم منظومة . وقد نجد في غير هذه القصيدة من قصائد شعر القونج حكما ومواعظ تتخلل ابيات الرثاء أو ابيات المدح الا أنها كلها لا تدعو « دعوة ايجابية إلى الاقبال على الحياة والعمل على محاللة الزمن والانسجام في الجماعة » (٤) . وأبيات مكى الدقلاشى :

يا فارحا بالمعاصي عند خنوته
ان الذنوب التي قدمتها كتبت
لما مستى انت في هو وفي لعب
أما علمت بأن لشهاد الله
ان كنت ناسيها لم ينسها الله
فما مقالك في ما يعلم الله

١ - مخطوطة كاتب الشوكة ٤٦ - ٤٧

٢ - مخطوطة كاتب الشوكة ١٠٦

٣ - مخطوط كاتب الشوكة ٥٤

٤ - تاريخ الثقافة العربية في السودان - عابدين - ١٩٧٠ .

تدعو إلى الكف عن المعاصي وتذكر بالله وبالكرام الكائنين . وهي - مع غيرها مما قدمنا - يثبت ما قلناه في شيوع الروح الصوفية وورود الحكم والمواعظ في شعر الفونج . ومما يثبت الاثر الصوفي ويبرزه وضحا جليلا آيات موسى بن يعقوب التي قال فيها محكما الشعر الصوفي المعروف ابن الفارض :

سلام على قوم ذا ذكر اسمهم تهتك استارى اليهم برجفة
تلاأت الانوار من نحو خاتمي بوقت قيامي أو جلوسى بخلوة
نظرت إلى المحفوظ فى كل ساعة تاهيت عن اظهار حكم الذهبية

انه يتحدث عن « تهتك الاستار » ويسلم على « قوم » وكذلك عن « تلاؤ الانوار » من عند الخالق و النظر إلى المحفوظ : و « سماع مقال عباد الله شرقا ومغربا » وهكذا حتى يشعر القارئ بانه تدثه فى عالم آخر ، وبأنه يتيه بمكانته فى ذلك العالم الآخر .

يتسم هذا الشعر فى جملته بضعف الخيال فلا نكاد نجد شيئا من خطرات الخيال أو سبحاته . وانه ليخلو تماما من الصور الشعرية الجميلة التى تأسرك فتقف عندها تتأملها وتتملأ بها . أن معاني المدح والثناء التى جاءت فى قصائد شعراء الفونج ميدان فسيح للخيال يحوب اطرافه ليخرج منه صورا شعرية أخاذة ، وقد أمكن لبعضهم ان يحى ببعض الصور لكنها مفردة باهته تفتقر إلى الوضوح ناهيك بالاثارة والاسر . جاء شعر هذه الفترة هكذا لأن الحركة الادبية قامت على يدى هذه الصفوة القليلة من علماء العصر (عصر الفونج) وكانت تسعى إلى النظم بالعربية الفصحى . ولكنهم لم يتجاوزوا دائرة التصوف الذى سيطر على الحياة فى ذلك الزمن (١) . ان لغة شعر العهد الفونجى ركيكة ، وبعض القصائد يكون مزيجا من العامية والفصحى . والاسلوب بصفة عامة « مضطرب » كثيرا ولم تكن الفصحى بمهمة لديهم بقدر اهتمامهم بالانشاد والانحراف فى نشوة الترويم (٢) . ومهما يكن من شئ فان شعر الفونج نشأ ونما فى مجتمع بسيط تسيطر عليه الصوفية بل انه ولد وترعرع فى احضان الحركة الصوفية . فجاء معبرا عن ذلك المجتمع

١ تاريخ الثقافة العربية فى السودان ، عابدين ، ١٩٠

٢ المصدر نفسه ١٩٨ - ١٩٩

وليس لأحد أن يتوقع غير ذلك . بقى أن نقول إن ما وصلنا من شعر الفونج يبلغ
مائة وثمانية وخمسين بيتا فقط .

(١) في العهد التركي اشتهر خمسة شعراء . وسنعرض نماذج من شعر كل
منهم ثم نتناولها بالنقد فيما بعد .

والشعراء هم :

١ - ابراهيم عبد الدافع (١) وقد تعرضنا له في سياق حديثنا عن شعر عهد
الفونج وشعرائه . وقلنا آنذاك انه ستحدث عنه في معرض حديثنا عن شعر العهد
التركي وشعرائه لأن الشعر الذى نظمته فيه هو الكثرة من انتاحه . اذ نظم في العهد
الفونجى أحد عشر بيتا يروى به الفقيه محمد ولد ضيف الله تختار منها الايات :

أظمان علم يطلب الرشيد والهدى	لعمرك اضحى شملة متبدا (٢)
دع العين تبكى دهرها يتوجد	على غيض بحر كان بالعلم مزبدا
هو الخير نجل الخير ضيف الهنا	لقد حاز فخرا فى الانام وسؤددا
هو العالم المشهور والعلم الذى	به يرشد الهادى إلى سبل الهدى
وانك اذا ما تأته لقضية	تجده مبيتا للثواب ومرشدا

إلى أن يقول فى ختامها :

فحاشا وكلا ان يظن به علا سوى	الجود والافضال والخير والندى
وصل الهى ثم سلم على الذى	ختمت به رسلا وآتيته هدى

وفى رثاء الشيخ احمد بن الطيب شيخ الطريقة الجامع بين الشريعة والحقيقة ،
مرشد الطالبين ، ذى الكرامات العديدة . والارشادات المفيدة (٣) . وفى العهد
التركي ، قال :

عرج بركبك حادى الا ظعان	واحطط رحالك مبتغى العرفان (٤)
عند الفقيه مكمل السر الذى	قطع الزمان مراقب الديان

١ - أديب وشاعر سوداني صار تافيا فى العهد التركي المصرى - قاموس تراجم

٢ - مخطوطة كاتب الشبهة ٦٧

هو بدر تم ضاء في البلدان
هو لا يرى نفسا على انسان
هو مرشد الغاوى الجهول الفاني
هو روح جسم عالم السودان

هو بحر علم بالغيوب مكاشف
هو بالتواضع والخضوع مميز
هو للمريد مهذب اخلاقه
هو زاهد الدنيا وحاسم حبه

ثم يختتمها بقوله :

منه الرضا والخم بالايمن
ما غرد القمرى فوق البان

وعساه يغفر زلتى وينيلنى
ثم الصلاة على النبى وآله

ولما توفي نفر من العلماء الابرار العاملين « رثاهم نقصيدة من تسعة وثلاثين بيتا ،
قال فيها (١) :

بموت اخواننا في الله والعلم
نار الكتاب وضاع العلم وانعدما
امام محرابنا الحبر الرضى شيما
زهر النجوم وصرنا في شديد عمى
امامهم لينالوا الأجر مغتتما
في مسجد مثل ما الافلاك فوق سما
مد الزمان وصار الوصل منصرما
من معهد الخوجلى القطب وانحسما
من بهجة الدين والدنيا وقد عدما
منهم غدت مسكن الطاغين والظلما
إلى العلوم وللقرآن والحكما
تعافه أعين الرأي ومن طعما

اليوم اصبح ركن الدين منهما
واظلمت ارضنا حقا وقد خمدت
والذهر افجعنا في الشيخ قدوتنا
والنيران معا غابا وقد أفلت
كانوا على ظهورها في الصف يقدمهم
والآن في بطنها صاروا كحالتهم
وزال وقت صلاة الخمس في ملا
وانبت ما كان موصلا بمسجدنا
وانحل ما كان معقودا بقببنا
ديارنا بعد ما كانت معمورة
كنا زمانا يجينا الركب من بعد
صرنا طعاما بلا ملح يلذ به

وفي ختامها قال :

نبينا من إلى الارسال قد ختما
شمس النهار وما برق قد ابتسما

ثم الصلاة على المختار سيدنا
والآل والصحب والاتباع ماطلعت

كذلك رثي شيخه الفقيه أحمد بن عيسى بقصيدة من اثنين وثلاثين بيتا نورد منها :

بكى السماء وعم الأرض بالمطر
والدمع سال على الخدين متحدرا
وحل بالناس خطيب لا نظير له
شيخ السلوك وقطب الوقت مفردة
علامة العصر بمجد الدين ناصره
روح الحياة حياة الروح صحبته
من منه فاضت عيون العلم وانبعثت
ختام مسك لمن ارث العلوم حوى
مكمل السر من كان الزمان به
والوقت كان ربيعاً والبلاد به
ومجلس العلم فى سنار كان به كالرو
والآن سين سمو البدر قد حذفت

ثم ينهى الشاعر مراثيته بالبيتين :

ثم الصلاة وتسليم الاله على
والآل والصحب والاتباع ما ذكرت
بكى السماء وعم الأرض بالمطر
خير الورى احمد المختار من مضر

(٢) ومن شعراء العهد التركي الشيخ الامين محمد الضربير (٢) قال يمدح الخديوى
توفيقا :

الود مآدبة والصدق اخوان
والصادقون لدى الآداب اخوان (٣)

وقد أوردنا آياتا فى ماتقدم .

ونظم قصيدة يمدح بها النبى صلى الله عليه وسلم وضمنها سور القرآن وفق ترتيب
المصحف - قال :

١ - مخطوطة كاتب الشوفة - ١٠٣ .
٢ - اعلم لسوداني المعروف ، كان سدا مطاعا فى عشيرته ، مهد دود لكلمة عدد احكام ، شجاعا
منتصرا للحق توفي ١٣٠٢ هـ - شعراء السودان ١٩ .
٣ - المصدر السابق ٢٠ - ٢١

يارب صلى على من كان فاتحة بكر الوجود به عمرنا انصلا(١)
واختتمها بقوله :

وبالصلاة صل التسليم ما وصلت
والآل والصحب والازواج كلهم
ومراد الشاعر من قوله «نوره اصلا» غير واضح .

ونظم قصيدة أخرى في مدح النبي . ويمكن أن تقرأ على وجهين ، قال :
حمدا لمن أبدى لنا سبحانه
نسبا صريحا عن خسنى ومكانه
من امنا يهداه اذ قد صباه(٢)
في القرب لم يدرك رسول ذو ثنا
لعله يريد نسبا مبرا .

اذ خلقه متقدم قبل الورى
لسواه فهو اساسنا ولذا جرى
فالنا ابداه نورا مظهرا
بظهور من بظهوره حازوا المنى
واختتمها بالبيتين :

صلى عليك الله يا مختار ما
لجنا بكم يا ذخرن مترحما
ظهرت لنا شمس الهدى ومن انما
ما انشدت حمدا لمسن أبدى لنا
(٣) ومنهم كذلك الشيخ محمد أحمد هاشم(٣) . وقد قال في تهنئة الخديوى توفيق
بعيد جلوسه قصيدة : اوردنا بعض أبياتها فى ما تقدم .

✓ (٤) والشيخ أحمد الأزهرى(٤) كان من شعراء العهد التركى . ومن شعره قصيدة
طويلة (من سبعة وخمسين بيتا) نظمها فى مدح أبيه لما أحرز نصرا على بعض
القبائل أنضجها . قال :

كر اسماعيل بين المحافل ولو هازلوا طرب به قلب غافل(٥)

له هـ نفسه ٢٢ - ٢٥

أ- هـ السودان - ٢٥

حاشية ١ صفحة ٤٣

بمذبة الأبيض . وحفظ القرآن فيها . وتلقى علومه على أحد علماء الأزهرين ، ثم هاجر

الأزهر . عمل دكتريسي ، وعين قاضيا بكرديس ودر فور . قتر ١٨٨٣ هـ - نفثات ايراع ١٠٤

المصدر نفسه ١٠٤

ليعلم من ذكره من نحو قلبه طلاوة ما يبدو لأهل القوايل

ألم تر أن الله مـيز خلقه بتأخير مفضول وتقديم فاضل
فقال «رفعنا بعضكم فوق» فاذا ترى رفع بعض فوق بعض المقابل

(٥) ومن شعراء العهد التركي الشيخ يحيى السلاوي^(١) صاحب البائية المشهور التي نظمت تأييدا للثورة العرابية ، وقد أوردنا شيئا منها في ما سبق وقال في مدح السيد محمد سر الختم :

بليت وطرفي للمحاسن يقظان وطرف الليالي عن ذوى المجد وسنان^(٢)

فسيان عندي أحسن الدهر أم أسا متى صح لي بالله عقل وإيمان
وهل بعد تهذيبي على المجد اتقى من الدهر بأسا ان دنا الناس أوبانوا
ولي جيش عزم ثابت متألف عظيم له في الخطب بالحرب آذان^(٣)
وقال يمدحه ايضا :

بمثل فخرك هذا الدهر يفتخر والمجد يؤمر أو ينهى فيأتمر^(٤)

دم للندى يابن سر الختم مبتهجا وقرعينا بذكر نشره عطر
لك العلا والحلا حالا ن لم يحلا فيهن للمدح اسواق ومتجر

تلكم نماذج من شعر العهد التركي عرضناها لكي ندرسها ونقف بعرضها ودراستها على ما بلغه الشعر في ذلك العهد في شكله ومضمونه ولنعرف كذلك مدى ما قدمه شعراء العهد التركي للشعر السوداني بصفة خاصة وللشعر 'ربي بصفة عامة . وسنورد النصوص كاملة في الملحق في آخر البحث .

٧ ان اول ما نلاحظه على شعر العهد التركي انه انحصر في موضوعين

١ - أنظر حاشية ١ ص ٣٩

٢ - نفثات اليراع - ٨٥ .

٣ - يقصد اذان

٤ - نفثات اليراع ٨٧

الرثاء والمدح . ولم يخرج عنهما الا قصيدة واحدة من نظم الشيخ يحيى السلاوى التى قال فيها :

شغل العدا بتشتت الأحزاب والله ناصرنا بسيف عرابى

حاول الشاعر فى هذه القصيدة ثارة الحمية الاسلامية واشعان نار الحماس فى المواطنين المصريين ليؤيدوا الثورة العرابية . وليشدوا من أزر قائدها . ومع هذا لم تخل القصيدة من المدح لانه مدح ولئك الذين وقفوا مع الثورة وبذلوا من أجلها وسماهم بأسمائهم ليثير فى الآخرين شعورهم الوطنى وحميتهم الدينية .

نلاحظ أيضا أن الاخطاء فى هذا الشعر . شعر العهد التركى بصفة عامة — قليلة . ونعنى بذلك اخطاء النحو والصرف والمغة . ولم نجد شيئا منها الا فى بعض ابيات ابراهيم عبد الدافع مثلا قوله فى احد ابيات قصيدته التى يربئ بها العلماء :

والدهر أفجعنا فى الشيخ قلدوتنا

حيث استعمل « افجعنا » وهذا خطأ صرفى فالصواب « فجعنا » . وفى نفس القصيدة قال :

ديارنا بعد ما كانت معمرة منهم غدت مسكن الطاغين والظلماء (١)

والجمع الصحيح هو « الظلمة » .

ومع أن الوزن فى جميع قصائد هذا الشاعر يكاد يكون مستقيما . الا أن نظمه ضعيف فى بعض الاحيان . ونجد ذلك فى قوله فى القصيدة نفسها :

ثم الصلاة على المختار سيدنا نبينا من إلى الارسال قد ختما

فهو يعدى « ختم » بحرف الجر « إلى » ولا داعى لهذا لان الفعل متعد اصلا . ولا نرى داعيا لحرف التحقيق « قد » لأن المعنى لا يحتاج إليها ، والمقام بصفة عامة لا يقتضيهما لكن ربما تقتضيها اقامة الوزن . كما تقتضى تعدية الفعل المتعدى . وفى قوله من مراثية للشيخ احمد بن عيسى :

بكى السماء وعم الارض بالمطر بعد الكسوف لشمس العجم والقمر

حيث جاء بلام الجر . ولا نرى ما يدعوا لها غير اقامة الوزن . لأننا نقول كسوف الشمس ، وخسوف القمر بالاضافة الصريحة .

واننا لنجد في هذه النماذج بعض الإخطاء في النحو كقول ابراهيم عبد الدافع

كنا زمانا ينجينا الركب من بعد إلى العلوم وللقرآن والحكما

في « الحكم » معطوفة على مجرور وحقها ان تكون مجرورة . لكن الشاعر لا يأبه للقاعدة النحوية في سبيل اقامة الوزن .

مر وكقول محمد أحمد هاشم :

محمد من بتوفيق الاله سما فوافق الاسم معنى طاب ذاكره

حيث قطع همزة الوصل اضطرارا في « الاسم »

وقد حدث عكس هذا في قول الشيخ احمد الازهر :

ادر ذكر اسماعيل بين المحافل ولو هازلا واطرب به قلب غافل

حيث وصل القطع اضطرارا في « اطرب »

وفي قوله :

صلاقي وتسليمي على اشرف الوري محمد من لي اليوم اعظم كافل

حيث منع الصرف اضطرارا في « محمد »

كما نجد بعض التحريف وذلك في قول الشيخ الامين محمد الضير :

الود مأدبة والصدق اخوان والصادقون لدى الآداب اخوان

حيث حرف كلمة « خيوان » في الشطر الاول بغية الجناس والتحريف امر مشهور في الرجز القديم ولكنه معيب على أي حال .

درج هؤلاء الشعراء على اختتام قصائدهم بأحدى طرق ثلاث : وقد يجمع

واحد منهم بين طريقتين في قصيدة واحدة ، والطرق الثلاث هي :

١ - الصلاة على النبي

٢ - اعادة الشطر الاول من البيت

٣ - التاريخ بحروف الهجاء

فالشـيخ ابراهيم عبد الدافع اختتم قصائده الثلاث بالصلاة على النبي كما رأينا في النماذج ، والضرير اختتم واحدة (وهى مدح الخديوى توفيق) بالتاريخ وأخرى بالصلاة على النبي أما الثالثة فقد جمع فيها بين الصلاة واعادة الشطر الاول من البيت الاول . نلاحظ ان لغة هذا الشعر بصفة عامة خير من لغة شعر القونج . فالأخطاء أقل والتعابير والالفاظ سليمة فصيحة الا فى القليل النادر الذى جاء فى قصيدة الشيخ محمد أحمد هاشم حيث قال :

تباشرت بربر فى يوم جمعها بمولد فيه نال الخير ناشره^(١)

وكلمة « تباشر » بالمعنى المراد هنا عامية سودانية . ثمة ظاهرة أخرى تجلت فى هذا الشعر وهى التلاعب بالانفاظ . وقد برزت لنا فى شعر الشيخ الضرير فكثيرا ما يجانس بين الالفاظ كقوله فى مطلع قصيدته التى مدح بها خديوى مصر :

الود مأدبة والصدق اخوان والصادقون لدى الآداب اخوان
أشعارهم ذات اشعار بحالهم فهى الشعار حظوا بلوصل أوبانوا

وفىها أيضا :

أليس عارفكم بيدى معارفكم

وكذلك فى قوله من نفس القصيدة :

بحور فضل بلا من ولا علل نعم لهم علل بالمن مـزدان
فالجد جدّ عليا فى محامده وسيفه الشهم ابراهيم معـوان
مخايل الخير فى توفيقه ظهرت اكرم بشهم له التوفيق عنـوان
ر عين الافاضل لا تحصى فواضله لانه فاضل الاعيان محسـان

واحيانا يطابق بين الالفاظ كقوله :

فالعسر يغلبه يسران اوضح ذا مافى الحديث وما اخفاه برهان

اننا نجد مثل هذا التلاعب فى شعر الشيخ يحيى السلاوى . ففى نونيته التى مدح بها السيد محمد سر الحتم الميرغنى . وقد عرضنا مجموعة من أبياتها فى نماذجنا - قال :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر القم طعم الماء من سقم
ان المصطلحات العلمية وجدت طريقها إلى شعر العهد التركي ، ونجد النحوية
منها في شعر الشيخ الضرير حيث قال في مدح الخديوى توفيق فى النونية التى عرضنا
بعض ابياتها فى ماتقدم :

سلا غدا رافعا اعلام نصرته مع نصبه انخفضت لفتح بلدان
فصار يكسر بالتقديم شوكتها فلم يعد اهلها للحرب بل دانوا
كما نجد المصطلحات العروضية فى قول الشيخ أحمد الازهرى وذلك فى قصيدته
التي نظمها فى مدح ابيه ، قال :

فبحرى طويل حيث صرعت وزنه بثاني ضروب من فحول مفاعل
ونلمح فى قصيدة الشيخ أحمد هذى بعض الالفاظ والمعاني القرآنية ومثل ذلك
قوله :

ألم تر أن الله ميز خلقه — بتأخير مفضول وتقسيم فاضل
فقال رفعنا بعضكم فوق^(١) فادكر ترى رفع بعض فوق بعض المقابل
نعم درجات خصها الله بالذى تقرب بالمفروض ثم النوافل

ونلمح مثل ذلك فى قوله :

ويونس لم يأت إلى الفلك^(٢) عابثا أتى نبيه بعد التقام لساحل

. والآن يمكننا القول بأن شعر العهد التركي مع قلة عدد شعرائه يفضل شعر
العهد الفونجى فى لغته وفى أسلوبه بصفة عامة — فقصائده تكاد تخلو من اختلال الوزن
ومن الأخطاء نحوية كانت أو صرفية أو لغوية . الا أن الخيال ظل ضعيفا فى
العهد التركي كما كان أيام الفونج . اما المعاني فى الموضوعين اللذين اقتصر عليهما
الشعر — المدح والثناء — فلم ترد عن المعروف المألوف — ففى مدح المنبى مثلا
لا يجد الشاعر ما يخلعه على سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه الا أنه « أم الناس
بالهدى » وأنه « نور أظهره الله » و « هو عدتنا وذخيرتنا » وأنه « صريح السب
منزه مطهر عن الخنى » وأن « النساء لم يلدن مثله ولن يلدن » ثم يعقب هذه المعاني

١ — سورة الأنعام الآية ١٦٥ .

٢ — سورة الصافات الآية ١٤٠ .

بدعاء واستغاثة بالنبي - وعندما يمدح شاعر شخصا من ذوى المكانة فانه يخلع عليه ايضا عددا من الصفات ويحاول الوصول به إلى درجة الكمال فى تلك الصفات . فالكرم والعلا والإشجاعة والتقوى والمقدرة على قهر الخصوم واخضاعهم ثم الفضل الواسع وطيب الأصل وبيان الطريق كلها ترحس رصا ولا تبين شيئا كثيرا أو قليلا فى شخص الممدوح وهى كلها لاتعدو أن تكون من المعاني الانسانية المعروفة التى يشترك فيها كثير من عبادة الله فى كل بلد وفى كل زمان ومكان . وفى خضم هذه المعاني العادية نجد احيانا قليلة مغنى عاميا كقول ابراهيم عبد الدافع فى قصيدته التى رثي بها العلماء :

صرنا طعاما بلا ملح يلذ به

ان هذا المعنى كثير الورد فى كلام العامة . لكنه يرد فى الفاظ مختلفة . واحيانا فى كلمة واحدة تقال عن الشيء أو الشخص أو الحياة أو العمل .

كل هذه المعاني تورد بشكل تقريرى لاحظ للخيال فيه . ولا يكاد القارئ يعثر فيها على أثر لشخصية الشاعر أو للشخص الذى تقال فيه .

وفى الرثاء حدثنا احد شعراء هذا العهد عن « انهدام ركن الدين » و « بكاء السماء » وعما حل بالارض والناس . وما اصاب الشمس والقمر : وما آلت اليه حلقات الدرس بعلومها المختلفة . إلى غير ذلك مما يراد به تصوير الخطب العظيم والمصاب الأليم . بعد هذا التصوير عمد الشاعر إلى ذكر محاسن المتوفى وتعداد مآثره ومفاخره بطريقة الممدح ذاتها - ذلك السرد التقريرى الجاف الذى لا يوحى بعاطفة ولا يعبر أو يكشف عن حسرة . ولا يرسم صورة ناطقة للمرثى . بدت لنا معاني الرثاء ونحن نتأملها جافة لا حياة فيها ، عادية لا تحوى جديدا مبتكرا . أما الصور فاننا لا نكد نجد الا صوراً مفردة متمثلة فى التشبيهات التى جاءت فى شعرهم . وأكثر انواع التشبيه ورودا هو « البليغ » ومن ذلك قول الشيخ الضرير فى النونية :

الود مأدبة والصدق اخوان

بحور فضل بلا من ولا علل

وفي الامة التي مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم :

« سبحان جاعله كهفا لنا » . ثم « فكان في طيبة الغراء شمس هدى »
« أعرافه المسك والاندل وافرة » . كالنمل في قصص بل حطمهم حصلا »
ومنه أيضا قول الشيخ محمد أحمد هاشم في قصيدته التي نظمها مهنا الحديوي
بعيد جلوسه حيث قال :

« والسعد خادمه في كل آونه »

« وذا منع الاحسان ما طره »

« ملك حسن واحسان والهة »

وفي قصائد الشيخ يحيى السلاوي نجد هذه الامثلة : في البائية -

جبلان مرتفعان دونهما الوري	كالشمس في زحل بلا اطناب
.....	وارسل عليهم منك سوط عذاب (١)
جرد لهم سيف اليقين فانهم	خسروا وسيف الحق ليس بناب
والسيد البكرى تاج نقابه ا	أشراف اهل المجد والأنساب
وجناب قاضي مصر سيف شريعة	يسطو على كل امرىء متغابي

وفي احدى مدحيته للسيد محمد سر الختم الميرغني -

ولي جيش عزم ثابت متألف

وفي الأخرى :

ونور علمك لا تحفاه خافية (يقصد لا تخفى عليه)

والمجد عقد نفيس انت جوهره

لازلت ركنا لنا في ظله متع كالشمس تمتد منها الانجم الزهر

وفي قصيدة الشيخ أحمد الازهرى نجد التشبيهات :

ولا سيما من بعض أهل زماننا	شياطين انس عصبوا كل خامل
ظواهرهم مصلوحة (٢) باحتياهم	يراهم غير القوم مثل الامائل

١ - تقرا « وآرسل » بهزة وصل الوزن

٢ - هذا الوزن غير معروف في هذه المادة .

عندى سيف نص موضح أجز به رأس الجهول المجادل

وقل لزنيم كان يجهل أمره أذاك أذاك الخزي اتيان وابل

ومن مراثيات الشيخ ابراهيم عبد الدافع تأخذ الامثلة :

من الأولى :-

هو بحر علم بالغيوب مكاشف هو بدر تم ضياء فى البلدان

هو روح جسم عالم السودان

ومن الثانية :-

والآن فى بطنها صاروا كحالتهم فى مسجد مثل ما الأفلاك فوق سما

صرنا طعاما بلا ملح يلد به

ومن الثالثة :-

والدمع سال على الخدين منحدرًا كالسبب فى الديمة الهطلاء والنهر

كثر الهداية مصباح الولاية فى حضائر القدس من أهل الولا الخير (أ)

سراج أمة خير الخلق عمدتها وتاج عز ذوى العليا بلا فكر

روح الحياة حياة الروح صحبتته جيوش اسراره فى البدو والحضر

من منه فاضت عيون العلم وانبعثت

كذلك نجد الصورة المفردة فى بعض استعارات وردت فى شعر هؤلاء الشعراء

نذكر منها على سبيل المثال :

فى شعر ابراهيم عبد الدافع ، وفى مراثيته للعلماء نجد :-

اليوم اصبحت ركن الدين منهما نار الكتاب وضع العلم وانعدما

واظلمت أرضنا حقًا وقد خمدت

وقد بكينا دما والموت فرقنا

واشقوني بعد سادات تغولهم

شكوت زماني بالاسى وشكرته
فسيان عندى أحسن الدهر أم أسا
وهل بعد تهذيبى على المجد اتقى
وفيهما أيضا :

وللرفد وفد فى حماه معزز
ضيوف توالياها على الحظ ضيفان

امام همام واحد العصر لم يكن
على فضله المأثور فى الدهر رجحان
وقد نظر بعض هؤلاء الشعراء إلى بعض الشعراء الاقدمين فى أبيات من
قصائدهم فمثلا قول الشيخ ابراهيم عبد الدافع فى رثائه العلماء :

وانبت ماكان موصولا بمسجدنا
من معهد الخوجلى القطب وانحسما
وانحل ما كان معقودا بقبتنا
من بهجة الدين والدنيا وقد عدما
ينظر إلى بعض أبيات ابن زيدون فى ثوبيته .

والشيخ الضرير فى قوله :

حتى نقول على عكس الذى زعموا « من ساءه زمن سرتة ازمان »
تصرف فى نصف البيت المشهور لابي البقاء الرئدى :

من سره زمن ساعته ازمان

والشيخ احمد الازهرى حين مدح أباه بقوله :

فلم تحصر الخيرات فيمن تقدمو فرب أخير جاز بحر الاوائل
نظرا إلى قول ابى العلاء :

واني وان كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل

وبقوله :

وأعشى الورى لم تبصر الشمس عينه ولم يدر ذو الاسقام طيب المأكلا
نظرا إلى القول القائل :

وفى مرثيته احمد بن عيسى -

بكى السماء وعم الأرض بالمطر

وفى شعر الشيخ الضرير ومن نوبته : الود مأدبة والصدق اخوان « نجد -

فى ظل والده الممسود فى عمر له مع الطول بالخيرات عمران
من معشر م زهت مصر بمثلهم من الملوك وللتحقيق برهبان

أما قصيدة الشيخ محمد احمد هاشم فنورد من استعاراتها :

اليمن أقبل بالاحسان طائره

الكون قد رقصت فيه محاسنه

الغصن اعلن بالتغريد طائره

ضياء سوداننا من حسن رأفته

حيث الفاخر مضروب سرادقها

هذا الخديوى الذى سحت فضائله .

ومن شعر الشيخ أحمد الازهرى نختار الامثلة :

أدر ذكر اسماعيل بين المحافل

رضاء الاله قد يحف جنابه

أتاك أتاك الخزى

ومن بائية الشيخ يحيى السلاوى نختار هذه الأمثلة :

وبمثلهم فى الناس تفتخر العلا والمجد يرفل فى رفيع ثياب

واشدد عراهم بالخليفة انه متكفل بالنصر للأحزاب

ومن التوفية :

وللمجد ركن منه لازال ثابتا توطد منه بالولاية أركان

ومن الرائية :

بمثل فخرك هذا الدهر يفتخر والمجد يؤمر أو ينهى فيأتمر

خذها أميرى رعاك الله سالمة من كل عيب عروسا زانها الخفر

زفت لعليك والاجلال يقدمها والعز والبشر والتكريم والفا

تلك نماذج من استعارات شعر العهد التركي اخترناها من قصائد شعراء ذلك العهد أمثلة للصور المفردة التي جاءت في شعرهم ، وهي في رأينا بحالتها هذى — وبما يحيط بها من مأخذ واردة في تلك القصائد لا تشير إلى موهبة مصقولة أو خيال واسع أو براعة في الاخراج . وهؤلاء الشعراء الخمسة كلهم علماء . شغلوا في مطلع حياتهم بدراسة الدين ، وفيما بعد بالعمل في التدريس أو القضاء ولم يتفرغوا للأدب عامة أو الشعر خاصة ، ولما نظموا الشعر وجهوه إلى رجال الدين يمدحونهم ويرثونهم تقديرا للسلطان الروحي . كما اتجه به بعضهم إلى الحكومة طلبا لارضاء السلطان الزمنى أو اعترافا ببعض فضله . وهذا يعنى أن التجربة الشخصية والاثارة النفسية (أو الانفعال العاطفى) لم تتوفر لهم . ان توفرت فلعلها لم تجد قوة تعبر عنها تعبيراً يجعل منها قطعة أدبية رائعة .

— ان شعر العهد التركي انحصر في دائرة ضيقة — دائرة المدح والثناء وفي هذه الدائرة الضيقة قيده شعراؤه فوقفوه على رجال الدين ورجال الدولة . أما الحياة الاجتماعية فلم يتعرضوا لها في شعرهم وقد كان الناس يعانون من بطش الترك وعسف وكلاهم ، لم يثر الظلم المتفشى احدهم ، ولم يجد ما كان يلقاه المواطنون من قسوة الحياة وسوء الادارة صدى في نفس احدهم . ولو حدث شيء من هذا لكان لشعر العهد التركي وقع آخر في نفوس الناس . وموقع خطير في تاريخ البلاد الاجتماعى والأدبى .

ومهما يكن من شيء فان الذى وصلنا من شعر العهد التركي هو اربعمائة وسبعة عشر بيتا ، ونحن اذا حكمنا انما نحكم على هذا القدر الذى حفظته لنا الكتب التى تيسر لنا النظر فيها .

الفصل الثاني

ثورة المهدي

ثورة المهدي أسبابها وغاياتها :

ان الحكم المصرى التركى الذى دان له السودان قرابة سبعين عاما بدأ إثر قتال دموى فى دار الشايقية انهارت بعده مقاومتهم وسلموا للحكام الجدد وخضعوا لقوتهم التى لم يكن لهم بها قبل ، وبعد حرب معنوية فى البقاع الأخرى كدار الجعليين وسنار وغيرهما . ففى بربر « سلم لهم البلاد الملك نصر الدين ، ووافاهم هناك ايضا ابو حجل ملك الرباطاب مطيعا مواليا » (١) أما سنار فقد ظهرت فيها الخصومات الشخصية . وبرزت الاحسن والاحقاد ، ولم يكن فى وسع بلاط الفونج العتيد الذى ظل ثلاثة قرون مهيمنا على البلاد فى قوة وعزة ومنعة ان يتحد ويصمد ويقاوم بسبب الفتن والاضطراب « ولم يجد الملك بادى صاحب المظهر والاسم بدأ من الاذعان والطاعة » (٢) للغزاة . انهزم السودانيون اذن امام هذه القوة الطاغية الغازية لأنها كانت أكبر من قوتهم ، ولم يكن لهم قبل بما فيها من سلاح وعتاد وخيل ورجل . وانهزموا كذلك لان بعضهم تيبب اللقاء ونحارت عزائمهم ولان الشقاق دب بين بعضهم وآثر بعضهم السلامة فالتقى السلاح واعلن الاستسلام للجيش الغازى والولاء والطاعة للحكم الجديد . لكن يمكن ان ينسى السودانيون تلك الهزيمة العسكرية فى ديار الشايقية وذلك الاندحار المعنوى فى البقاع الأخرى ؟ لا شك انهم ظلوا يذكرونه سنين طوالا ، ويتناقلون اخباره طوال مدة حكم الاتراك ، ولعل تلك الذكرى بقيت مصدر اسى وحسرة لكثيرين ، وربما كانت هذه الأخبار مبعث ألم وموجدة فى نفوس مجموعات منهم . واذا سلمنا بوجود هذه المشاعر — مشاعر الأسى والحسرة ، والالم والموجدة فى نفوس الاهلين — يمكننا القول ايضا بأنها لابد آخذة فى النمو والتفاقم إلى ان تصل درجة الانفجار ، ولا بد

١ - السودان فى قرن ٢٢

٢ - المصدر نفسه ٢٥ .

انها بقية على هذى الحال فى ننتظر من يشعل الفتية فيدوى الانفجار ويذهب بمن يذهب به ، ويقوض اركان هذا النظام الجديد .

لقد ترك الغزو التركي المصرى جراحا فى نفوس الالدين . وكان المفروض أو المتوقع ان يأسو الحكم الذى اعقب الغزو تلك الجراح ويوليها بالعناية والرعاية حتى تندمل تماما . ثم يبذل قصارى جهده حتى تزول آثارها . ويحتاط كل الحيلة ويحذر كل الحذر حتى لا تسكن الجراح لكنه لم يفعل . بل على العكس سار فى الناس سيرة لم تحمد فى حينها فقد اتسمت بالعنف وخير شاهد على ذلك معاملة الدفتردار للجعيلين انتقاما لصهره اسماعيل باشا . ثم الطريقة التى تبعوها فى فرض الضرائب وجمعها ، وفى ايقاف تجارة الرقيق . وبنت الشيخ محمد شريف التى جاءت فى قصيدته المنظومة فى هجاء المهدي توضح الحالة العامة فى البلاد - قال :

وما أبت السودان حكم حكومة إلى ان اتي ضعف المطالب من مصر (١)
فكالثلاث والثلاثين للمير وحده وللشيخ والنظار اضعافه فادر
بضرب شديد ثم كتف مؤلم ومن بعده اللقاء فى الشمس والحر
واوتاد ذى الاوتاد من بعض فعلهم واشنع من ذا كله عمل الهر

اتسمت سيرة الحكومة أيضا بالمحاباة اذ اخذت تقرب بعض القبائل وتتخذ منها الجنود ثم تعفيها من الضرائب . ولا تعمل القبائل الاخرى نفس المعاملة . كذلك قربت احدى الطرق الصوفية المعروفة - اى المرغنية - حتى كثر أتباعهم وعظم جاههم (٢) مما احفظ الالدين عامة ورجال الطرق الصوفية الاخرى بصفة خاصة .

تضافرت كل تلك العوامل مع ما كان يحدث ويتناقله الناس من احداث فردية فى خلق شعور قوى مناوئ للحكومة . ولم يكن هذا الشعور منبعثا عن الأحداث الادارية ، أو بعض الاعمال السياسية انما اضيف إلى كل هذه بعض ما ينكره الدين ويرفضه العرف . وبذلك صار الجو العام فى البلاد ، وهى بيئة اسلامية ، جو ظلم وفساد . ضاق الاهلون بهذا الجو . واشربت نفوسهم كراهية نظام الحكم القائم حتى قال قائلهم ، عشرة فى تربة ولا ريال فى طلبة . هذه القولة

١ - تاريخ السودان - نوم شقير ١٩٢٣ .

٢ - المصدر نفسه ١٩٣٤

تصور مدى ما وصل اليه ضيقهم بالحكومة وبأساليبها وتوضح ضعف ثقتهم في رجلها . وتوضح كذلك فقدان الامل في حياة وادعة آمنة في ظل تلك الحكومة او في كنف اولئك الحكام . وهم والحالة كما وصفنا لابد تواقون إلى مخرج مما احاط بهم . أو إلى منقذ ينشلهم من وهدة الظلم التي تردوا فيها .

في مثل هذا الجو انذى وصفنا عاش محمد أحمد بن عبد الله . وفيه ايضا تنقل بين حلقات بعض العلماء الاجلاء فتبصر في امور دينه وتفقه ودرس اللغة والنحو ثم مال إلى الزهد ، وفي هذا الجو ايضا تنقل بين بقاع السودان المختلفة معلما مرشدا في كثير من التقشف والورع حتى أحبه الناس ، والتفت حوله جماعة كبيرة من المحبين والمعجبين ، وانتشر خبره . وذاع صيت تقواه وورعه بين ارجاء البلاد المختلفة حتى أخذ الناس يقدمون عليه متبركين طالبين الخلاص على يديه لما رأوه فيه من تمسك باهداب الدين وغيره على تعاليمه . وقد احس محمد أحمد بحالة الناس لانه واحد منهم . وادرك حاجتهم إلى منقذ . إلى رجل قوى مؤمن بالله وبنفسه . رجل منقذ يأخذ بيد المواطنين ويقف امامهم وضمهم ومعهم في وجه الحكام الطغاة ، كما احس انه هو المنقذ لانه « عمت البدع في البلاد وتطابقت عليها العلماء والعباد ، وانطوى بذلك نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ العباد . وما وجدنا من أهل من يعاوننا على احياء الاسلام في هذه المصا »

في ذلك متحيرين حتى أتى الاذن لنا انشاء الله : //

كثيرة ، ان رسوا

ث لا

قبو

فيه

ع

م

.

.

ومن هنا شاع بين الناس انه . المهدي المنتظر ، فأيدوه وآمنوا به ليعيد العدل والحق ويحيى ما اندثر من تعاليم الدين . وهكذا بدأت ثورة المهدي . واخذ اشتعالها يشتد شيئاً فشيئاً ، واوراه يضطرم قليلاً قليلاً إلى ان استفحل امرها واثت على الحكم التركي . قامت ثورة المهدي لأن :

(١) المجتمع السوداني كان مهياً للخروج على حكومة الاتراك . وكان يبحث عن يقوده للخروج عليها .

(٢) محمد أحمد بن عبد الله كان مهياً للثورة بشخصيته وثقافته الدينية الصوفية .

قامت هذه الثورة تعبيراً عن ارادة الامة السودانية . فلم يكن السودانيون يريدون البقاء تحت سيطرة اجنبية تظلمهم ولا ترعى حقوقهم الوطنية ، تنهكهم ولا تحفظ فيهم كرامة الانسان . لقد قدمت تلك الادارة التي سيطرت على البلاد أكثر من نصف قرن شيئاً من الاعمال الجليلة - كفتح المدارس وتحسين المواصلات وايقاد المواطنين للدراسة في مصر وغير ذلك الا أنها قصرت وأساءت في جوانب عديدة لذلك رفض السودانيون سيطرتها وهبوا مع محمد أحمد بن عبد الله الذي اعلن لهم انه « المهدي المنتظر » ، فأمنوا به . هبوا معه لتخليص بلادهم من يد الحكم التركي ولانهاء بعض الافعال المنكرة التي كان يقترفها بعض الحكام ونقر من تلك الافعال التي تأبها لشرعية السماوية والشرعية العرفية . تلك الافعال

التي عانتها

كون

من

هم

عه

ان

ي

لذلك وسيلة فيها حزم وصرامة وغرابة « اد مر نحررق الكتب او . . . »
 كالقرآن والصحيحين واحياء علوم الدين (١) واعلن نلدس ان مذهبه « هو الكتاب
 والسنة والتوكل على الله » (٢) واذه قد « طرح العمل بالمذاهب ورأى المشائخ » (٣)
 وهذا يدل على انه اراد ان يوحد مصدر الدراسة للمسلمين ويوجه انظارهم وعقولهم
 إلى مراجع معينة حتى لا تشتت جهودهم وأفكارهم . كما أنه أبطل « العمل
 بجميع الاوراد وألف لانصاره راتبا يقرأونه يوميا وهو مجموعة من الآيات
 والاحاديث والادعية » (٤). أما التعليم فقد وقفه « على حفظ القرآن والراتب » (٥)
 ولعله اراد بكل ذلك ان يجمع الناس في فكرة دينية واحدة ثم يسعى بعد ذلك
 لغاية أكبر واسمى .

كان محمد أحمد المهدي قد كتب إلى محمد المهدي لسنوسى زعيم الطائفة
 السنوسية في ليبيا ينثنه بأمره ويقول له : « . . . انك من الوزراء لى . ثم لازننا
 ننتظرك حتى اعلمنا الخضر عليه السلام باحوالكم وما انتم عليه ، ثم حصلت حضرة
 عظيمة عين النبي صلى الله عليه وسلم فيها خلفا اصحابه من اصحابي ، فاجلس
 احد اصحابي على كرسى أبى بكر الصديق ، واحدهم على كرسى عمر ووقف
 كرسى عثمان فقال . هذا الكرسى لابن السنوسى لى ان يأتىكم بقرب او طول
 واجلس احد اصحابي على كرسى على رضوان الله عليهم اجمعين » (٦) وقد اختتم
 رسالته هذى بقوله فاذا بلغك جوابي هذا اما ان تجاهد في جهاتك إلى مصر
 ونواحها ان لم يسلموا . واما ان تهاجر الينا . ولكن الهجرة احب الينا كما علمت
 فضل الهجرة من زيادة الثواب والمقابلة ان تيسرت . وعلى كل حال ترد الينا منك
 الافادة بما يصير اليه عزمك من جهاد أو هجرة ومثلك تكفيه الاشارة والسلام » (٧).
 ونحن نرى في هذا الخطاب :

- ١ - السودان في قرن ٣٣٧
- ٢ - المصدر نفسه - نفس الصفحة
- ٤ - السودان في قرن
- ٥ - تاريخ الثقافة العربية في السودان - عابدين ١٢٦
- ٦ - منشورات المهدي ، أبو سليم ٧٣
- ٧ - المصدر نفسه ص ٧٥

١ - دعوة صرخة السنوسي للدخول في المهديّة وخضوع إلى السودان
وقد صيغت الدعوة في شيء من الإغراء وشيء من التهديد في ختامها .

ثانياً عزّم المهدي على اقتراح زعماء الطوائف المسيحية الكبيرة في خراج السودان
بقبول مهديته .

ثالثاً - ثقة المهدي بنفسه وإيمانه العميق برسالته

رابعاً - عزّمه على غزو مصر وادخالها في دعوته .

وقد كتب فعلاً إلى حسين باشا خليفة لدى كان مديراً لبربر ابن الحكم
التركي وكلفه الدعوة له دين العبدة وجيرانهم من القبائل الأخرى : ولما كان
موضوع امرنا القيام بأمر الدين وجهاد أعداء الله الكافرين . وقد انتهى امرهم
بالسودان وعزّمنا بإرادة الله على التمرغ لغيرها من البلدان فقد اخترنا الله تعالى
ووجهناك اماماً عملاً على كافة قبائل جماعتك العبادة .. وعلى كافة من
يرغب الانضمام عليك من القبائل الأخرى بطوعه واحتياجه لتبليغهم دعوتنا وتعطيهم
باعتنا وتستغفرهم لأحياء الدين « (١) » وكتب لخدوي مصر ايضاً يدعو إلى الدخول
في طاعته والاعتراف بمهديته وينذره ويحذره من عواقب الرفض - قال . وقد
حررت اليك هذا الكتاب وان بالخرطوء شفقة عليك وحرصاً على هدايتك فارجو
الله أن يشرح صدرك بقبوله ويدلك على صلاحك ورشادك في الدين وها أنا قادم
على جهتك بخود الله وعن قريب أن شاء الله . فإن امر السودان قد أنتهى فان
بادرتني بالتسليم لأمر المهديّة والانابة إلى الله رب البرية فقد حزت السعادة الأبدية
وأمنت على نفسك ومالك وعرضك أنت وكافة من يحجب دعوتنا معك . وان
أبيت بعد هذا إلا الاعراض عن طريق الفلاح والرشاد فانما عليك أثمك وأثم من
معك . ولا بد من وقوعك في قبضتنا ولو كنت في بروج مشيدة . وهذا النذر
منى اليك وفيه الكفاية لمن ادر كنه العناية والسلام على من اتبع الهدى « (٢) » .

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل عين المهدي ولادة له في بعض البلدان الإسلامية
كسوري ومراكش . وهذا التعيين وما قدمناه من ارسال نكتب إلى كل من السنوسي

١ - السودان في قرن ٢٣١

٢ - السودان في قرن ٢٣٢

الزعيم مهدي . وإلى حسين باشا خليفة أحد موظفي الدولة التي دهرتها جيوش المهدي وأبنت حكمها . تم إلى خديو مصر . وهـ تضمته تلك الكتب من روح ديمية عميقة وإيمان بهدف معين وغاية محددة - كل ذلك يحمل على القول أن الثورة المهدية كانت ترمي إلى توحيد المسلمين في فكرة واحدة وتحت مرة رجل واحد أو أمام واحد هو «محمد أحمد المهدي» .

الشعر الوطني ومظاهره في الانتاج الشعري

جاءت دعوة المهدي في وقت استشرى فيه الفساد . وعم الظلم . وأصب الناس كرب عظيم وأحسوا الغبن والخصيم . فاستجابوا لبثت الدعوة . وانخرط معظم القادريين منهم جموداً في صفوف جيشها . وخاضوا المعارك واحدة بعد الأخرى في حماس دافق . مترابطة . يتجدد بعد كل معركة وثر كل انتصار . أما الشعر فقد أخرجته شعراؤه من القمم التي جرس فيها أبان العهد التركي «وساروا به في موكب الخماس اداق» . واخذ الشعراء يمدحون المهدي ويصفون شجاعة الانتصار وصبرهم على القتال ويحثون الناس على الجهاد (١) لقد أثرت المهدية حميتهم الدينية لأن قائدها عرف بالقوى والورع والزهد وأعلن الخروج على الحكم التركي في سبيل لإصلاح ورأية المظالم . كما أن المهدي واحد منهم أيدته جموع غفيرة من أهل البلاد وحالفه التوفيق فانتصر على جيوش الحكومة التركية التي قصرت في حقهم وهم رعاياها وهم مسمون . لذلك اندفع الشعراء يعنون ابتهاجهم بظهوره . ويمجدون انتصاره . لأن ظهوره بشري بالاحلاص كما أن انتصاره تأكيد للخلاص .

فمن الابتهاج قول الشيخ الحسين الزهراء في همزيته المشهورة (٢).

برج الحفا ما الحق فيه خفاء (٣) وتوالت الآيات والانباء
فالامر جسد والقلوب مريضة والداء داء والدواء دواء

١ - الشعر الحديث - الشوش - ٢٢

٢ - الشيخ الحسن عبد سوداني تعلم في الزهر . وشعره يسري في مدرسة فتحه في قريته . نزل بقضاء في مهية وكان كاتب ورع . سجد حقة عبد الله خلاص . وقع بينهما في

في فتوى وبقي في السجن إلى أن مات - شعراء السودان ٦ .

٣ - شعراء السودان ٧

ان الشيخ العالم ، يتهج بظهور الحق . وتوالى الآيات والانباء بهذا الظهور . فقد قامت الشواهد على ظهور الحق . ويبدو لنا ابتهاجه فيما قل عن الشمس الباهرة وما عليها من ، هبة وبهاء ، وكذلك البدر وقد تم كماله وغير ذلك من الاوصاف والمعاني التي تنبئ عن الاشراق والتعابير التي تفصح عن المسرة والبهجة بعد ذلك - أى بعد ان عبر عن بهجته اخذ في مدح المهدي . قال :

مهدى رب العرش منتظر الورى وإني الولى والاكرمون وراءه (١)
السائق ابن السابقين إلى المهدي من معشر نتجت بهم رهراء

يبدأ الشاعر مدحه باثبات مهديّة محمد أحمد بن عبد الله حيث يقول ، مهدى رب العرش منتظر الورى ، ثم يعلن انتماء المهدي إلى القوم الذين سبقوا إلى الهدى وهم رعت الدنيا وعم الخير . بعد ذلك يشير قومه بالمهدي ، وهذا ابتهاج لكون المهدي من بنى وطنه . ويعتد ظهور المهدي مقدمة لنعم كثيرة تأتي فيما بعد - وهو بهذا يعلن أيضا حسن ظنه في حكومة المهدي واعماله المقبلة ويتوقع خيرا ، وفيرا لأن المهدي «مهدى رب العرش ومنتظر الورى» سيرفع الظلم عن المسلمين ويملا الأرض عدلا بعد ان ملئت جورا وهو «مهدى رب العرش منتظر الورى» من ابناء هذا البلد الاتقياء الورعين الزاهدين وقد تحمس له الشاعر اذ قال « جمعت حذافير الولاة بنا ، ويبدو لنا في عبارته هذى ما يتوقعه للمهدي من نجاح ومن التفاف المسلمين حوله يقدمون له فروض الولاء والطاعة ، وهم بذلك يقدمون الولاء والطاعة لقوم المهدي الذين نشأ بينهم وخرج من صفوفهم معلما ثورته بعد هذا المدح الذى يتسم بشيء من الروح الدينية وشيء من الشعور الوطنى يلتفت الشيخ الحسين إلى العلماء فيقول لهم :

علماء امة احمد ناشدتكم ردوا جواي انكم علماء (٢)
ارضى وترضون الضلال بعدما ظهر الهدى وانجاس عنه فداء

انه يناشدهم مستعينا في مناشدتهم بعلمهم ، وبما يجب ان يتحلى به العلماء . وما يتصفون بهم في حياتهم وعلاقاتهم ، وقولهم وفعلهم بصفة عامة . انهم القادة .

١ - شعراء السودان

٢ - شعراء السودان

وهم القدوة - يبعدون عن الضلال ويتفرون من كل خست . ويميلون إلى الهدى ويسعون إليه ويحثون الناس للاخذ بأسبابه . وها هو ذا قد ظهر في المجتمع السوداني واضحا أخذا . فكيف يتركونه . وكيف يبعدون عنه . فينتقل زمام الأمور إلى الغرباء ؟! انه يريد منهم ان يتنبهوا لأمر الدين بعد ظهور المهدي حتى لا يفرد الجهلاء بالأمر فيفسدوا في البلاد ويصيب الأذى المواطنين المسلمين المسالمين . انا نعتقد ان الشيخ الحسين أراد للعلماء مكان القيادة لانهم أولى بها لعلمهم الذي يحميهم من الزلل والظلم ويحملهم على نفع المسلمين . وهو ايضا يغار على الاسلام ويحرص على منفعة المسلمين وهذا كله يدلنا على ان حركة المهدي أثارت حمية الشيخ الحسين الدينية كما ثارت شعوره الوطني .

عبر شاعر آخر عن ابتهاجه بظهور المهدي بقصيدة من اثنين وثلاثين بيتا واختار لها بحرا خفيف الموسيقى - سريعها ذلكم الشاعر هو الشيخ عبد الغنى السلاوي (١) ، قال في تلكم القصيدة :

راق الصبوح و رقت الصهباء	مذ كان فيها للعليل شفاء (٢)
ريبة نبوية ملكية	مهدي روحية وسماء
شمسية قمريه ما فض عنها	ختمها في ذها و رقاء
تشدو باعلى صوتها طربا بها	فغدت تناوب شدوها الشعراء

في هذه الأبيات الاربعة التي ابتدأ بها الشاعر الشيخ اعلانه عن تهيئة الجو للشرب - حسب عرف الحمريين - فهنا شراب رقيق ذهبي اللون . والوقت صباح . وفي الصباح الاشرار والدفاء واليقظة . ويتبع هاته السعي للعمل والاتصال بالناس من أهل وزملاء وغيرهم . وكل هذا خير ينفع النفوس ويهيجها . اما الشراب الرقيق ذو اللون الذهبي فهو شراب يذهب بالعلة . ويرىء صاحبها منها فيعود صحيحا قويا . فالزمان طيب والشراب طيب . ولا شيء ادعى للابتهاج منهما عند الحمريين - الا أن الشاعر الشيخ يعنى بل يريد ان يشرب من خمر معينة وصفها

١ - علم داصل ، وتد بالخرطوم عام ١٢٣٧ هـ ، بولي انقص اشعرى في العهد التركي في مصر

مدن السودان - نفثات اليراع ٧١

٢ - المصدر نفسه ٨١

فى البيتين الثانى والثالث . يريد ان يشرب منها لتكتمل له البهجة و يتم هدوه ،
لانها خمر مهذية روحية وسماء . . وهى ايضا خمر محملة تأثي للشاربين من المهدي
وهى افضل واصيب من غيرها لانها خمر الهداية . ألا تراه يقول :

معصومة عما يحرم كاسها فاشربه ثم در هناك هباء (١)
ن كمت من انصار مهديك لما مهدي اوزى من فاض عنه هداء

يبدو من هذين البيتين ان الشاعر تعدى مرحلة الابتهاج الى الاعجاب بتلك الخمر
لاننا نراه يدعو غيره ليشرب ثم يدير كؤس الى آخر أو آخرين أو يرده الى لشاعر
كما انه يغرى غيره بالدخول فى بعة المهدي بقوله : ان كمت من انصار مهديك
لنا .

ان هذه الايات التى وردت على ما فيها من ضعف تصور شعور
الناظم . وهى رأينا ان شعوره يطفو على الابتهاج بصهور المهدي وعلى عجب
بى جاء به المهدي . يأخذ الناظم بعد ذلك فى مدح المهدي وتأييد دعوته حيث
يقول فى القصيدة نفسها :

ما هديه غير الكتاب وسنة وانار كون لك هم كمرء (٢)
جنى الصدا وراح انواع اردى وسجت له فوق السماء علينا

دا تاملت الايات نجد ان فيها مسح لشخص المهدي وهذا المدح فيما نرى يشف
عن رأى الشاعر فى شخص المهدي . يقول عنه انه يتبع كتاب الله (لقرآن)
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهو حبس مسم صحيح الاسلام . وهو ايضا تقى
ورع لانه يهتدى بالقرآن الكريم ويسترشد بسنة محمد النبى العظيم وهذا غاية ما يمتناه
كل مسلم . بل هو غاية ما يلعبه اى مسلم . ويقول ان المهدي " أحلى الصدا وازل
أنواع اردى ويستشف من هذا ان الشاعر يعتقد ان المهدي يظهره ويدعوته
ومسكه ازال كل ما علق بالدين من شوائب . ورحع عن بنى وضه لمظالم وحال
بينهم وبين ألوان العذاب التى كانت تذيبهم طعم موت وهم أحياء مرت ومراب
ويقول " ان رصاص المعنى بيعت ، يظهره ونرى أنه يريد من هذا التعبير المجرد

١ - نفثات اليراع ٨١

٢ - نفثات اليراع ٨١ - ٨٢

ان يصف له أو يبين تلك الروح الحليدة التي دحمت المحتمع السوداني فاستشعر
السودانيون اعزة بدخولهم . وشمخوا بأنوفهم لان المهدي المنتظر ظهر فيهم . هكذا
يخصي الشاعر في امتداح المهدي فيقرر نه حدد آثار النبي صلوات الله وسلامه عليه .
وانه ماجد فصل عادل يسوى بين الناس . وهو خطيب يهوق قسا وسحان .

نجد كذلك في تلك الابيات شيئا عن الدعوة التي جاء بها المهدي . انه يمدحها
ايضا فيصفها بالقوة والاحكام والصدق وناخو من الارتياب . ويذكر انها مقبولة
عقلا لانها تحوى موجبات صدقها . ونجد في الابيات أيضا شيئا عن مؤيدي
الدعوة ومعارضها فال مؤيدون ارتفعوا إلى اوج العلا اما المعارضون فهم اعداء وهم
كفرة . كما بين الشاعر رأيه في شخص المهدي مدحه به . بين كذلك رأيه
في دعوته مدحها . فالمهدي في رأيه رجل الدين المثالي لانه زاب ما علق
بالدين من شوائب ولانه تقى ورع . ورجل الدنيا المثالي لانه سوى بين الناس ورفع
عنهم الظلم .

✓ أما الشاعر محمد عمر البنا (١) فقد بلغ به الخمس للمهدية قصى درجاته .
نظم هذا الشاعر ثابته المشهورة من ربعة وستين بيتا . ومطبعها .
الحرب صبر والبقاء ثبات والموت في شأن لانه حية

وقصرها على الموضوعات الاتية :

- ١ - مدح انصار المهدي
- ٢ - حثهم على القتال أو ترغيبهم في الجهاد .
- ٣ - وصف معاركهم .

وجاءت بداية هذه القصيدة حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وانه تحت مسبب
- قال :

الحرب صبر والبقاء ثبات والموت في شأن الاله حياء (٢)

- ١ - عم سودي وشاعر ولد برهنة ١٢٦٩ هـ بقى حيا بآخر مصر بمهدي وصار من فخرين
به . ومن الطبيعة عند نه من بعد . من مصيب في نفسه اشعرى في عهد حكم اثنائي
توفي سنة ١٩١٩ - شعراء السودان ٢٧٣ .
- ٢ - شعراء السودان ٢٧٣

الحزين عار والشجاعة هيسة لتمرء ما اقترنت بها العرصات

✓ يأخذ الشاعر بعد ذلك في مدح الانصار ، ومجىء المدح بعد ذلك احث المسبب
يثير الحمية بلا شك . ويحرك الصخر . كما أنه يكشف عن رغبة أكيدة في نفس
الشاعر ولعلها كذلك اصيلة . رغبة في انتصار المهدي على خصومه . وفي انفراد
بحكم البلاد . وهذه الرغبة بالطبع لا تنجم الا عن شعور وطني وعن حمية دينية
لان المهدي من بى السودان ولانه اتصف بالتمقي والورع والزهد والغيرة على
الدين ولان الشيخ البنا نفسه عالم سوداني يغار على دينه ولا شك انه - نعلمه وثقافته
الدينية - يحب الخير للمسلمين لاسيما من يشار كونه الموطن وترابطهم به رابطة
الدم . ولا شك أنه توقع الخير في شخص المهدي وفي دعوته ولذلك انضم له وأخذ
ينظم مثل هذه القصيدة ويقول ممتدحا الانصر :

قد حار هذا الافتخار جميعه صحب الامام السادة القادوت (١)
قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم شم الجبار وتلصيف حماسة

بلى هذا المدح وصف لاحدى المعارك التي خاضها الانصار . ويبدو من الوصف
ن الانصار كسبوا تلك المعركة وقتلو الاعداء تقتيلا - يقول الشاعر في ذلك :

فأثرن تقع الموت في عرضاتهم وأغرر صبحا اد علت أصوات
وذباب أسياف المنية فوقها رعت دما وجلأؤها الفمات
والأرض سالت دلدما وما بها غير الجماجم والشعور نبسات

بعد أبيات الوصف هذى يعود الشاعر إلى امتداح الانصار والاشادة بجهادهم

فيقول :

يا أيها الانصر ن صنيعكم شكر الاله له وتلك هبات (٢)
أعليتم دين الاله وما نكم الا اللبث تزينه الوثبات
وشرحتم صدر الرسول محمد بالفتح وانكشفت بكم ظلمات

بلى هذا الثناء الذى زجاه الشاعر لجهده الانصار وجهدهم في اعلاء الدين وشرح
صدر الرسول حث على القتال ومنازلة الاعداء . وقد بدأ هذه القصيدة بالحث

١ - شعراء السودان ٢٧٥

٢ - شعراء السودان ٢٧٦

الخليفة عبد الله إلى القائد عثمان دقه لعسكر بجيشه في هندوب « دالانسحاب
من المدينة ، قال :

هندوب تعرف صبرنا كيف ارتكبنا للمصائب (١)
وهشيم تشهد عزمنا كيف ادرعنا للمصائب

يسو الشاعر في هذه الأبيات معتدا بقوة قومه الذين ينصرهم او يجارب معهم
وهم نصير المهدي . ونحس القدرى في اعتداد الشعر قدر غير قليل من الحماس
وقوة معنوية توحى بها لاعاظ القوية كقولها : ارتكبت للمصائب

و ادرعنا لمصائب ، وفوقه وقع الصواعق في انصار و « يرون سلاحه
كزعد - ويتحلى الاعتداد والاعتزاز بالقوة في البيتين :

ما ان رحلنا عنهمو جزعا ولا خوف النوائب
بل طاعة لولينا فليدر ذا كل الاجانب

وفي الشطر الثاني من البيت الثاني يسو لتحدى للاجانب الذين قد يتقولون ويفسرون
هذا الانسحاب تفسيراً لا يمت إلى دواعيه الحقيقية بصفة . وهذا التحدى يوحي
بأن الشاعر يألف من ان يوصف هو وقومه بالحين وخور العزيمة . وفي هذه الآلة
أيضا اعتداد وأى اعتداد . نلاحظ كذلك ان الشاعر استعمل ضمير جماعة المتكلمين
في ثلاثة عشر بيتاً أكثر من عشر مرات هذا الاستعمال بالاصافة إلى الاعتداد
والتحدى والآلة يتم عن شعور وطنى قوى . كما ان احمية الدينية نادية في البيتين :

نحسبى لدين الله بل فى شأنه تلقى المعاطب
متوسلين اليه بالمهدى وجهة كل راغيب

رني هذا اشاعر . محمد بن الصاهر المخذوب محمد أحمد المهدي عندما توفاه الله
بقصيدة جاء فيها :

دهند دواہ یضر من اقلب د - ويوقد فى الاحشاء ناراً ما بها (٢)
غداة نعى المدعون مهدينا الذى به ملة الاسلام جل مصابها

١ - معانيه المجلد ١٠ ص ٩٣

٢ - معانيه المجلد ٣ ص ٣١١

ورثه شاعر آخر هو الشيخ ابراهيم شريف الدولابي (١) نقصيدة من تسعة وثلاثين بيتا ، جاء فيها :

كيف التثاء فؤدى المقطـور ورقوء دمع محاجرى الممجور (٢)
كيف ينفك الضد عن مهجة حشاؤها تصلى على تنور

ونظم الشيخ اسماعيل عبد القادر المفتي الكردي (٣) ثلاثين بيتا فى وصف قبة المهدي وضمن تلك الابيات شيئا من الرثاء ، قال :

سمت قبة المهدي محمدا وسؤددنا وبيطت بها الحوراء عقدا منضدا (٤)
وصيغ من الاكليل تاج لمامها وساء بها نهر المحيرة مزبدا

ثم قال يتحسر على وفاة المهدي : رجع

به لله احيانا واطهر دينه وأولاده افضلأ ونصراً مؤيدا (٥)

لاحظنا فى ما تقدم ان الشعراء انتهجوا لظهور المهدي وانهم كذلك امتدحوه واشادوا بجهاد انصره فى سبيل الدعوة ووصموا معاركهم وحثوهم على القتال والجهاد فى سبيل اعلاء كلمة الدين . ولاحظنا ايضا ان المدح شمل بعض كبار اصحاب المهدي . ولم يكن وقف عليه . ولاحظنا خيرا ان بعضهم رثاه . كما وصف بعض منهم قتله . ان كل هذا فى رأينا مظهر من مظاهر التأيد . والتأييد يبنى على قبول الفكرة وارصا بنتائجها . وهذا كله فيما نرى يكشف عن شعور وطنى قوى ثارته فى هؤلاء شعراء شخصية المهدي ودعوته .

فكرة الشعراء عن الدولة :

تبين لنا مما ذكر فى فصل سابق ان المهدي جاء بفكرة محددة وهى وضع السودانين فى كيان موحد . وقد اتخذ لتحقيق هذه الفكرة سبلا مختلفة منها :

١ - عم سودى تسمى بعينه فى الأهر . عمل قصب شرعى فى العهد التركى . شعر ، السودان ٢٧

٢ - المصدر نفسه ٢٧ - ٢٨

٣ - ساء سودى حبل شهر . تلقى بعينه ، الأهر . ونوى تسمى المهدية فى مدينة منفدة عم

٤ ١٣١٦

٤ - شعراء السودان ٤١

٥ - المصدر نفسه ٤٢

(١) ابطاله العمل بالمذاهب الفقهية الاربعة المعروفة التي يتبعها المسلمون منذ
مئات السنين في جميع بقاع المعمورة .

(٢) ابتداعه مذهب خاصا وفرضه هذا المذهب على اتباعه .

(٣) رفضه التفاعل الخارجى ومناهضته لكل ما يأتي من الخارج حتى
الاسلحة النارية « (١) » .

كما عرف عنه أنه . تشبه بسبى في جميع أعماله « (٢) » . وأنه اتخذ لإدارة
البلاد حكومة قوامها ثلاثة أقسام . - الجند وقد جعلهم تحت إمرة خفافه لكل
واحد منهم قسم . ويضم كل قسم مجموعة من القبائل من بينها قبيلة الخليفة القائد
أو الأمير . ثم بيت المال وندب للإشراف عليه رجلا « من اصدقائه » (٣)
ثم القضاء وأسند إلى رجل من علماء الأهرار . وجعل له اعوانا يؤدون بعض
الاعمال الصغرى

لقد أراد المهدي خلق كيان موحد للسودانيين ولذلك ربط الناس برباط
اقتبسه من الدين . وبأحز من القبيلة وبتأث من « السلطة التنفيذية » التي كونها .
وبهذا تكونت في السودان والسودانيين « دولة » كونها المهدي بفكره ووسائله
وعمله . فهل ظهرت تلك الدولة في شعر أولئك الشعراء الذين ايدوا المهدي ومدحوا
المهدي وعوانه وانصاره ووصفوا معاركهم ؟ وهل كان لأفكار المهدي صدى
أو أثر في شعر اى منهم ؟ وهل دعا واحد من أولئك الشعراء تصرّحا أو تلميحاً
إلى قيام دولة أو نظام معين ؟ انذ سنحاول الاجابة على هذه الاسئلة بالنظر في
شعرهم . ونقول - لقد تصفحنا شعر شعراء المهدي في مصادرهم التي روتها لنا رواية
يوثق بها ويعول عليها في البحث العلمى . والتقصى التاريخى . وتبعنا أولئك الشعراء
وما نظموا من شعر بيتا بيتا فلم نجد فيه بيتا أو تعبيراً يحمل فكرة واضحة محددة
عن الدولة . أو رأياً صريحاً مفصلاً في الحكم ونظامه . الا أن بعضهم احدى على
الولاية جهلهم . ويطالب بتولية العلماء . ذلك هو الشيخ الحسين الزهراء في أبياته :

١ - تقرير لجنة تنظيم الخامة ٣٠

٢ - تاريخ السودان - نوم شقير (بيروت) ٦٦٧

٣ - تاريخ السودان ، نوم شقير ، بيروت ، ٦٦٩

جهن لولاة أمات دين محمد واهيه ماتوا وهم أحياء (١)
وتراكمت ظلماتهم بين الورى لما اطمأن لهم ودم ولاء

ينقد الشيخ الحسين فى ابياته هذى سياسة المهدي التى يتبعها فى تعيين الولاة —
اولئك الرجال الذين يحكمون نيابة عنه ويتفدون سياسته . ويتخذ لهذا النقد وسيلة
مهدية . فنحن نرى انه لا يوجه نقده أو نومه للمهدي توحياها مباشرا وانما ينتقص
اولئك الولاة اذ يرميهم بالجهل واللؤم ويقرر ان ما نتج عن لؤمهم وجهلهم هو
« إمارة الدين » . ونتجت ايضا اشياء أخرى منها « موت اهل الدين وهم احياء »
ومنها « تراكم الظلمات بين الورى » . ولا نخرج من ذلك الا بتولية العلماء .
الا تراه يقول :

فتناولته من اللثام واعطه صنف انكرام وهذه العلماء

وإلى من يوجه الشاعر هذا الخطاب ؟ انه يوجهه إلى محمد أحمد المهدي . ابن المسمى
محمد ووليه وأمينه كما يسميه أو يصفه فى الاييت ذاتها . انه يطالبه بوضع زمام
السلطة فى ايدي العلماء لانهم اعرف بالدين من سواهم . ولشاعر يريد للدين ان
يحيا . ويريد للمسلمين حكما صالحا يقوم على العلم الصحيح والخلق الكريم والعلماء
هل ذلك . ثم ان المهدي نفسه جاء ليعيد للدين مجده وليزين كل ما علق به من شوائب
وهو الولي الذي ائتمنه النبي على ملته وامته . كما اوضح الشاعر . وهو لهذا
حاكم ديني . . والشاعر يطلب اليه تولية العلماء — وهم بالطبع اولئك الرجال
الذين تفقهوا فى الدين وعرفوا ما ينفع المسلمين . وما يصلح لمجتمعهم . وادا
كان الامر كذلك فما هو نوع الحكم الذي اراده الشاعر لبلاده . وما هى الأسس
التي ارتأى الشاعر قيام « الدولة السودانية » الجديدة عليها ؟ يبدو لنا ان الشاعر اراد
ان يقوم فى بلاده حكم ديني . وبعبارة أخرى ان يؤسس المهدي دولة اسلامية .
أما الشيخ محمد عمر البنا فلم يطالب بتولية العلماء لكنه استحث المهدي
على غزو الخرطوم فى قصيدته الثانية قال :

فأنهض إلى الخرطوم ان سوحه أهل العواية والمفسد بانوا (٢)

١ — شعراء السودان ١٠ ، ٩

٢ — شعراء السودان ٢٧٧

بطرو ورائوا ثم صلوا . معتر
وتكبروا وعتوا فائقا
نبذوا الشريعة من وراء ظهورهم
الله اكبر (١) ان يدوم صنيعهم
في الله لم تعرف ثم رغبست
والله اكبر والسيوف هسدة
عن دينهم شغفتهم الشهوات
هذا وانتم لالانام رعاة

انه يستحثه على الغزو لاسباب حددتها . وهي :

(١) وجود أهل الغواية والمفاسد في الخرطوم .

(٢) بطرهم (أهل الغواية والمفاسد) وعزوفهم عن سبيل الله .

(٣) تكبرهم وعتوهم عتوا فائقا .

(٤) نبذهم الشريعة .

(٥) كون المهدي وصحبه « رعاة لالانام »

اننا بلا شك نستطيع ان نلمح سخط الشاعر على ما آل اليه الحال في الخرطوم .
ونستطيع ان ندمج كذلك ان الشاعر أراد قيام نظام معين تروى به تلك المفاسد
والغواية وتمحى بقيمه أو تطبيقه جميع مظاهر الخروح عن السبيل المؤدية إلى طاعة
الله ورضوانه ويعود الشرع إلى مكانه في المجتمع على ايدي « رعاة الانام » فما
هو ذاك النظام الذي يريده رجل ذو ثقافة دينية وعلم بالشرع وغيره على الدين
كالشيخ محمد عمر البنا . انه لن يكون الا نظاما يحكمه بالشريعة المحمدية ويقم
في السودان « دولة اسلامية »

فتأمل بعد ذلك أبيات من شعر شعر آخر هو الشيخ ابراهيم شريف ادولابي
قال في مرثيته التي نظمها في المهدي :

وأقامه المختار عنه خليفة
ورقي إلى كرسبه متسنا
فدعا إلى الدين الخفيف مجاهدا
خلعت عليه ملايسا من نور (٢)
في مشهد نالولبا معمور
بلسيف ولاندار والتبشير

قرر هذا الشاعر ههنا ان المهدي خليفة من خلفاء الرسولى صلى الله عليه وسلم . ومن

١ - لعل المراد « لن »

٢ - حبذا لو جاءت « ملايس » بالرفع

يخلف الرسول في امور المسلمين لايد ان يسير سيرته فيهم . وقرر الشاعر ايضا ان المهدي جاهد في سبيل الدين باسيف . كما انه انذر المنكرين بحرب منه في الدنيا . وعذاب من الله في الآخرة . وبشر المؤمنين به نجات لقردوس نزالا . ويتوقع لشاعر في خليفة المهدي أن يسير فيهم سير المهدي الرحل . وذلك بقوله في نفس القصيدة التي رثي بها المهدي :

أنقذاه مهدي الاله ورائه خلف يسير بسيرد المشكور (١)
ويسوق للنهج التويم بحانه ومقاله وحسامه المشهور

اننا نحس في مقرر الشاعر عن المهدي اشادة بشخصه وتمجيده لما فعله وهذا يدل على رضا عن حكومة المهدي . وبلاحظ ان هذا الرضا انقل إلى خليفته اذ اعلن الشاعر انه سيسير بسير المهدي المشكور والمهدي كما اعلن الشاعر خليفة الرسول . ومعنى هذا كما قدمنا انه انتهج نهج الرسول صلى الله عليه وسلم في حكومة البلاد وادارة شئون الدولة . واذا توقع الشاعر ان يسير خليفة المهدي في حكومته كما سار المهدي فهو قد توقع ان يسير الخليفة سير الرسول أيضا وبهذا يمكننا القول ان الشاعر نراهم شريف الدولابي كان يفضل ان يحكم السودان حكما دينيا ، وان تقوم فيه « دولة اسلامية » .

وفي شعر الشيخ الشيخ اسماعيل عبد القادر الكردفاني نجد الايات الآتية :

به الله حيانا وظهر دينه وولاه 'فصلا ونصرا' مؤيدا (٢)
وقد احرر الدين الحنيفي بالظبي ودمر جبار طسغي وتمردا
وجاهد من قد حاد عن شرع أحمد وقد فل جيش المعتدين وشرد

واذا انعمنا النظر في هذه الايات نجد ان الشيخ ان الشاعر قد قرر :

(١) ان الله احب اهل السودان بالمهدي . ولعلمهم كانوا في نظر اشاعر امواتا قبل ظهور المهدي . وقد جاء المهدي ليعيد للدين مجده . ولما انتصر واقام حكومته سر الاهلون و كانوا عادت اليهم الحياة باعلاء كلمة الدين .

(٢) ان الله اظهر دينه بالمهدي . وانه سبحانه وتعالى خلع على المهدي من

١ - شعراء السودان ٢٩

٢ - شعراء السودان ٤٢

فضله وتأييده فانتصر وحمى الدين بالسلاح .

٣) ان المهدي جاهد في سبيل شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وقاتل الخارجين عليها وشتت شمل اولئك الذين اعتدوا على حرمتها وشردهم .

اننا نحس من هذا الذى قرره الشاعر ان الناس اطمأنوا وزابت مخاوفهم ويدل على ذلك قول الشاعر « به الله احيانا . والاحياء قد يعنى الانتعاش الروحى الذى سرى فيهم بانتصار رجل منهم يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله . ويعنى ايضا الاستقرار المادى الذى يتم برفع الظلم عن الناس وتوقيعهم . ونحس ايضا ابتهاج الشاعر بالنظام الجديد الذى يرأسه المهدي . ذلك النظام الذى اعقب حكمه الاتراك - حكم البطش والعسف . نحس الابتهاج فى بعض عباراته - كقوله : « وأولاه افضالا ونصرا مؤيدا » ونحسه ايضا فى قوله : « ودمر جارا طغى وتمردا » وغير هاتين من العبارات التى تبين قوة المهدي ومعظم عمله بجانب ضعف خصومه وسؤ عملهم . ويمكننا حينئذ ان نقول ان الشيخ الشاعر كغيره من شعراء تلك الفترة . كان راضيا عن السلطة الجديدة . وهى سلطة دينية . ومعنى هذا انه . كغيره من الشعراء الذين عرضت بعض شعرهم فيما سبق . كان يرى قيام « حكم دينى » أو « دولة اسلامية » فى السودان .

ان هؤلاء الشعراء الاربعة الذين عرضنا بعض شعرهم . لم يذكروا كما قلنا من قبل رأيا صريحا واضحا محددا فى نظام الحكم الا أن رضاهم عن أعمال المهدي الظاهر فى شعرهم . وتمحيدهم تلك الأعمال ثم اشدتهم بما قدم المهدي للدين . كل ذلك يوحى ويشعر برأيهم فى الحكم ، ولذلك فاننا قد استنتجنا انهم كانوا يرون قيم دولة اسلامية فى هذا البلد . الا أنهم لم يقولوا شيئا فى ايام المهدي الاولى عن امتداد ذاك النظام أو تلك الدولة إلى ما بعد حدود السودان .

المهدية ومكانها من الاطار العربى والاسلامى العام :

اجتاحت الثورة المهديّة بجيوشها البلاد من اقصاها إلى اقصاها . واجلت عنها الجيوش المصرية التركية . كما اجتاحت بدعوتها عقول الاهلين وقلوبهم لأنها اعلنت ضرورة طرد المصريين الذين ازدروا باحكام الشريعة . وجروا فى حكومتهم على خلاف ما تقضى هذه به ، كما اعتبرت « طرد المصريين الوسيلة التى يمكن

بها وحدها تقرير العدالة ونشر السلام مرة أخرى . واعلنت وجوب الامتناع عن
 عن دفع اية ضريبة غير العثور او الزكاة فقط التي نص عليها الكتاب الكريم ثم
 دعت إلى شيوع الملكية . فلا يستأثر مؤمن بمال أو عقار دون اخيه المؤمن . بل
 بل يجرى توزيع الثروة على الجميع بالتساوي . وطالبت الا يسرى في السودان
 غير قانون الشرع الاسلامي وحده « (١) . وبذلك كسبت الثورة المهديّة انصارا
 متفانين ومؤيدين مخلصين . كسبتهم لانها منحتهم ما كانوا يريدون ، ولان قائدها
 اعلن (٢) على الملأ انه المهدي المنتظر والمكلف من قبل المولى بتأسيس دولة اسلامية
 مترامية الاطراف تكون عاصمتها مكة المكرمة . ولذلك ايضا بايع اهل السودان
 المهدي وحملوا السلاح لنصرته وقتلوا وقتلوا في سبيل ما اعتقدوه فيه وفي دعوته
 كان هذا ما لقيته المهديّة — الدعوة التي دعاها محمد أحمد بن عبد الله السوداني بين
 المسلمين داخل حدود السودان ؟ فكيف كان صداها بين المسلمين خارج حدود
 السودان . وكيف تلقاها الناس في البلاد العربية والبلاد الاسلامية ؟ .

نعلم مما ذكر من قبل ان محمد أحمد المهدي فكر في نشر دعوته وبالتالي
 في بسط نفوذه — في العالم الاسلامي بدليل انه كتب إلى السنوسي في ليبيا يعلنه
 باختياره خليفة من خلفائه ويكلفه غزو مصر . وكتب كذلك إلى خديو مصر
 يعرض عليه الدخول في دعوة المهديّة . ونعلم كذلك انه كلف احد كبار موظفي
 العهد التركي بالدعوة له بين قبائل صعيد مصر « هذا وقد اهتز للمهدي العالم
 الاسلامي في جميع الاقطار . وهاجر اليه جماعة من مصر والحجاز والهند وبلاد
 المغرب قصد زيارته والوقوف على حاله » (٣) وبالإضافة إلى ما قام به المهدي
 في سبيل السيطرة على مصر وليبيا نجد انه فكر في بلاد أخرى من البلاد العربية
 الاسلامية ، فقد اختار رجلا اسمه عبد الله الكحال ، وعينه عاملا له على بلاد
 الشام « (٤) . كما استجاب لجماعة من « اهل مراکش المستوطنين مصر . كتبوا اليه
 يصرحون له بتصديقهم مهديته ويسألونه تسمية احدهم وهو السيد محمد الغالي اميرا

١ - مصر والسودان - شكرى ٢٦١

٢ - المصدر نفسه ٢٦٢

٣ - تاريخ السودان ، نعم شقير (بيروت) ٩٥١

٤ - نفس المرجع

على مراکش لنشر دعوته في بلادهم » وكتب المهدي لهذا الرجل (السيد محمد الغالي) خطابا بتوليته . كما كتب إلى أولئك الذين طلبوا إليه توليته خطابا قال فيه . وبعد فمن العبد المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبد الله إلى احبابه المكرمين السيد ابراهيم السنوسي الحسنى . ومحمد عبد السلام الحبيبي وعبد السلام البباني ومحمد قاسم اخلو وفقهم الله وسددهم واهمهم الصواب وأرشدهم آمين . أيها الاحباب اهدي لكم جزيل السلام الممزوج بالرضا عنكم وجيل الاكرام واعرفكم بأن خطابكم المؤرخ ٧ ربيع آخر سنة ١٣٠٢ قد وصلني وما احتوى عليه من حسن تسليمكم لامر المهدي ورغبة وصولها اليكم ونشرها بجهاتكم الغربية مع تولية السيد محمد الغالي عبد السلام على فاس وجهاتها إلى آخر ما بخطابكم قد أحطت به علما وجزاكم الله عن دينه وعنا احسن الجزاء وشكر سعيكم . وأدام هديكم وجعلكم مفتاح كل خير وقد سرنا حسن رشادكم زادكم الله رشادا ومحة وها نحن قد اجندكم إلى ما طلبتم وحررنا الاوامر بامسارة السيد محمد الغالي وها هي واصلة اليكم (١)

ان السلطان عبد الحميد صاحب السلطة الزمنية والروحية في ذلك الزمن اهتم بامر المهدي واغتم كذلك لدعوته و « شعر بأنه قد اھين في شخصه كخليفة للمسلمين وذلك نتيجة لتصريحات الامام محمد أحمد علاوة على ان ثورة السودان كانت تهدف - بمحاولتها تغييرا للوضع القائم - رفع كل سيادة لتركيا على السودان وكما علن السلطان أن عراي كان ثائرا وخارجا على النظام فانه لم يتوان عن ان ينعت محمد أحمد بأنه نبي مزيف وانه متمهد ، وانه شقي دنقله « (٢) ولعله نعته بهذه الصفات في « المنشور الرسمي الذي كذب فيه دعواه ونشره في جميع البلاد الاسلامية » (٣). ويبدو ان السلطان الخليفة كان قلقا لظهور المهدي وسرعة انتشار دعوته داخل السودان وهو جزء من الامبراطورية العثمانية التي تدين له بالولاء وكان ايضا مصمما على سحقها أو حصرها داخل الحدود السودانية لذلك « استفتى علماء الازھر في شأن محمد أحمد المهدي فافتوا بتكذيبه . ونشر مجلس النظار

١ - تاريخ السودان ، نعوم شقير (بيروت) ٩٢٦ - ٩٢٧

٢ - الثورة المهديّة ، جلال يحيى

٣ - تاريخ السودان ، نعوم شقير (بيروت) ٩٥٢

منشورا بذلك» (١).

وفي مصر ثارت ثائرة رجال الحكومة الخديوية . وبدأوا يعدون العدة ويرسمون الخطط للقضاء على حركة محمد أحمد المهدي لأنهم « قد رأوا منذ أول انتصار للمهدي أنهم مههدون في ممتلكاتهم السودانية (٢) . ومن بين ما اعدوه لاختتام الحركة ارسال اعداد من الجنود لتعزيز القوات المقاتلة . وكان ان اختاروا تلك الاعداد من جنود جيش عرابي الذي قضى عليه بالتسريح بعد القضاء على ثورته . الا ان معظم اولئك الرجال لم يكن « يرغب في السفر إلى السودان خصوصا وأنهم كانوا يتوقعون ان ترسلهم الحكومة إلى تلك الاقاليم كسجناء لتخلص منهم . كما أنهم - كرجال ثورة وطنية - كانوا لا يؤمنون بضرورة فرض سلطة الخديوى على ثوار السودان » (٣) وهذا يبين لنا مدى عطف اولئك الجنود على حركة محمد أحمد المهدي ناهيك بقائدهم نفسه (احمد عرابي) الذي « لم يخف وهو في منفاه تأييده وميله للمهدي بل اعلن انه كان ينوى تعيينه حاكما عاما على السودان » (٤).

يتضح من كل ما سقنا في الصفحات السابقة ان دعوة المهدي التي بثها في السودان الخاضع لخديوى مصر وخليفة الاسانة . تلك الدعوة التي أيدها بحرب طاحنة انتصر في معاركها واحدة بعد الاخرى حتى اضطرت الحكومة المصرية إلى سحب جنودها ورجالها جميعهم من السودان . تلك الدعوة هزت العالمين الاسلامى والعربي بمضمونها . كما جذبت اليها الانظار بمقدرة صاحبها العسكرية وبما شاع عنه من زهد وورع وتقشف . وقد اعلن الناس انه « المهدي المنتظر » (٥) وانه جاء لازالة الظلم واحلال العدل محله ثم أعلن الجهاد وحمل السلاح وقاتل إلى أن اظهره الله على خصومه .

ان العالم الاسلامى تسود اجزاء كثيرة منه الافكار الشيعة ، ومنها فكرة المهدي المنتظر التي انتشرت في البيئات المسلمة ووجدت قبولا وراجت بين العاطفين

١ - تاريخ السودان ، شقير (بيروت) ٩٥٢

٢ - الثورة المهدية ، جلال يحيى ٤١

٣ - المصدر نفسه ٤٦

٤ - المصدر نفسه

٥ - المهدي والمهدوية ، أحمد أمين ٢٧ - ٢٩

على البيت العلوى لأن اساسها عادة الخلافة إلى احد اعضائه لأنها حقهم انتزعه منهم خصومهم ظلما وغدرا . وكان من نتائج انتشار فكرة « المهدي المنتظر » وتغلغلها في نفوس وعقول كثيرين من المسلمين قيام ثورات وحركات سياسية كثيرة في أنحاء متفرقة من العالم الاسلامى خصوصا في العصر العباسى . وقيام دولة عظيمة كدولة الفاطميين^(١) ودولة الموحدين في الاندلس فليس بغريب والامر كما ذكرنا ان يهتز العالم الاسلامى لظهور « محمد أحمد المهدي » وذويوع امره . بل ان المألوف والطبيعى ان تسفر اليه الوفود من عامة مسلمى البلاد الاخرى كما حدث بالفعل مدفوعين بحب الاستطلاع والرغبة في تأييده طمعا في الثواب الاخرى أو النفع الدنيوى . وطبيعى ايضا ان يتخذ السلطان ما اتخذ . وان تفعل الحكومة الخديوية ما فعلت لان حركة كهدي — وقد حفل تاريخ البلاد الاسلامية بمثيالاتها — تستند إلى افكار دينية واضحة لا بد ان تستشرى وتعرض كيان الدولة إلى خطر جسيم ، ولا سيما وان زعيم هذه الحركة اخذ يكتب لولاة المسلمين في البلدان المجاورة لبلاده . يعرض عليهم دعوته ويتهددهم بالغزو .

نجح المهدي وقامت دولته في السودان . وبسقوط الخرطوم في السادس والعشرين من يناير ١٨٨٥ ثبتت دعائمه واطمأن المهدي وانصاره . وبدأ التفكير في غزو مصر الا ان الاجل لم يمهلها فانتقل إلى رحمة مولاه بعد خمسة اشهر من استيلائه على العاصمة — الخرطوم — وخلفه عبد الله التعايشى خليفته الاول في رئاسة الدولة الجديدة التى قامت في عالم لم يرحب بها . ولم تجد منه التأييد وقد سعت اليه بوسيلتها التى ارتضتها وظنت انها تكفله لها . تلك الوسيلة هى كتابة رسائل تتضمن شرحا للدعوة ثم مطالبة بالدخول فيها وتختتم احيانا بشيء من التهديد . ذهب عدد من تلك الرسائل إلى بعض بلدان العالم الاسلامى كما ذكرنا من قبل . وكان نصيب مصر رسالتين واحدة للخديوى وقد تحدثنا عنها فيما سبق . وثانية لاهل مصر^(٢) عامة انذرهم فيها بالغزو ودعاهم إلى نصرته .

كتب خليفة المهدي عبد الله التعايشى رسالة إلى خديوى مصر واخرى إلى

١ - المصدر نفسه ٣٥ - ٣٩

٢ - تاريخ السودان ، نعم شقير - بيروت - ٩٢٢

حكومة مصر مطالبا بالدخول في المهدية ومهددا بالغزو . وكتب كذنتك إلى السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين ، وجاء في خطابه للسلطان قوله : « فقد حررنا هذا الكتاب انذارا لك من الوقوع في سخط رب الارباب فامعن فيه نظرك . وافدنا بما يوافق رأيك . وليس بعد هذا الانذار إلا الاعذار والسلام على من اتبع الهدى » (١) . ونفذ الخليفة تهديد مصر بالغزو بأن ارسل جيشا بقيادة عبد الرحمن النجومي للاستيلاء على مصر وضمها إلى حكم المهدية الا ان الجيش هزم وقتل قائده .

كان نصيب السنوسى من تلك الرسائل رسالتين . وقد تعرضنا لاحداها وهى التى استحثته فيها على التوجه إلى مصر غازيا وعرض عليه « كرسى عثمان بن عفان » فى خلافته ، وكان تعليق السنوسى عليها قوله للرسول الذى حملها اليه : قل لمحمد أحمد اننا كلانا لا نساوى التراب الذى كان يطأه عثمان بن عفان » (٢) . ذكرنا فيما تقدم ايضا ان محمد أحمد المهدى اختار رجلا اسمه الحاج عبد الله الكحل ليكون واليا له فى الشام ، وكلفه السفر اليها الا ان الرجل « جاء مصر بطريق وداى وعاد إلى تجارته فيها » (٣) . اما عامله على مراکش السيد محمد الغانى . وقد رشحه لهذا المنصب بعض المراكشيين المقيمين فى مصر فقد كتب له المهدى خطاب الولاية وخطابا آخر إلى أهل البلد وارسلهما « صحبة الحبيبين عبد الخالق السبتي والطيب البناني » (٤) الا ان هذه الكتب لم تصل إلى اصحابها لان الطيب البناني الذى عاد بها لم يبلغ بربر حتى كان المهدى قد مات . وعلم الخليفة به فارسل فى طلبه واخذ منه الكتب وحبسه » (٥) .

واصل الخليفة عبد الله كتابة الرسائل إلى جمهرة المسلمين فى البلاد الاسلامية العربية إلى بعض الولاة والوجهاء داعيا ومبشرا . فكتب إلى - قبائل نجد والحجاز وعين حديفة بن سعد عاملا له على الحجاز (٦) . وكتب إلى قريش وإلى أهل المدينة

١ - نفس المرجع ١٠٢١ - ١٠٢٢

٢ - تاريخ السودان ، نعوم شقير ، بيروت ، ٧٠٨

٣ - المصدر نفسه ٩٢٦

٤ - المصدر نفسه ٩٢٧

٥ - المصدر نفسه ٩٢٩

٦ - المصدر نفسه ١٠٢٢

وعين عبد الله بن فيصل بن مسعود عاملا له على نجد^(١) ، واعاد الكتابة إلى السنوسي في ليبيا ، فلم يتحرك السنوسي . كذلك اتجه برائله إلى البلاد الأفريقية الإسلامية فكتب إلى سلطان ودای محمد^(٢) يوسف ابن السلطان محمد شريف . وقد دارت بينه وبين محمد أحمد المهدي قبل مماته كتب كثيرة . وكتب الخليفة إلى السلطان حياتو بن سعيد^(٣) سلطان سوكونو أكثر من رسالة داعيا إلى الدخول في الدعوة المذكرا بما دار بينه وبين المهدي في حياته .

كتب المهدي رسائل إلى عدد من ولاية المسلمين قبل وفاته ، وتبعه خليفته فحرر عددا منها إلى حكام البلاد الإسلامية عربية وغير عربية ، وكتب كذلك إلى بعض الأهلين في تلك البلاد . إلا أن جميع تلك الرسائل لم يأت بالثمرة المرجوة منها ، وذلك لأن بعضها لم يصل كرسائلي مراکش . أو لأن ما وصل منها قد أهمل كرسائلي السنوسي . أو كالرسائل التي بعثت إلى جهات معينة وإلى قبائل ومجموعات في الحجاز وغيرها كالتي أرسلت إلى سلطان ودای وإلى سلطان سوكونو ، إلا أن سلطان سوكونو اتصل بالسنوسي مستشيرا لما وردت عليه الرسالة فاجابه ، أتركه وشأنه ما تركك . فإذا دخل دارك فحاربه فانك منصور عليه بعون الله^(٤) .

إن بعض الذين اغفلوا رسائل المهدي وخليفته فلم يردوا عليها و يستجيبوا لما جاء فيها كانوا قد أرسوا من قبل وفودا إلى السودان للوقوف على جلية الأمر كعامل الحرمين^(٥) وعبد الله بن فيصل . كما أن بعضهم رد معلنا التصديق وأرسل الهدايا كسلطان ودای محمد يوسف بن السلطان محمد شريف . والسلطان حياتو بن سعيد بن محمد . سلطان سوكونو إلا أننا لم نجد فيما بين أيدينا من مراجع ما يدل على أن أحد السلطانين زاد على ما فعل .

يمكننا أن نقول مما تقدم أن العلم العربي والإسلامي انقسم قسمين في موقفه من المهدي . قسم عاذاها عداا صريحا منذ الوهلة الأولى وعمل على خنقها في

١ - المصدر نفسه ١٠٢٣ - ١٠٢٤

٢ - و ٣ المصدر الساية ١٠٢٧ - ١٠٢٩

٤ - المصدر السابق ١٠٢٧

٥ - تاريخ السودان ، نوم شقير ، بيروت ١٠٢٣

مهددا الا انه عجز ، وفشلت خططه فشلا ذريعا . ويشمل هذا القسم تركيا ومصر . واسباب العداء واضحة وقد تعرضنا لها من قبل ، ولا شك ان العداء قد تمكن بعد محاولة الخليفة عبد الله غزو مصر في سنة ١٨٨٩ . وقسم استخف به فلم يكثرث لشيء مما جاء في رسائلها ويشمل الحجاز والمغرب وبعض البلدان الاسلامية في القارة الافريقية . ونخلص من كل هذا الى ان المهدي لم تجد في العالم العربي والاسلامى المكان الذى ارادته اليه وسعت إليه ، فقد ارادت قبول دعوتها والدخول فيها والجهاد من أجلها . الا انها لقيت عداء واستخفافا واهمالا .

الشعراء والمعارك التى حدثت فى هذه الفترة :

خاض المهدي بجيوشه معارك عديدة ضد جيوش الحكومة المصرية التركية . وكان بعض تلك المعارك حسما كمعركة الجزيرة ابا التى كشفت للحكومة مدى تمسك المهدي بفكرته ، ومدى اخلاص اتباعه له ، وكان بعضها حساما وضاربا كمعركة شيكن التى انتهت مقاومة الحكومة وسالت فيها دماء كثيرة . وكان بعضها حساما وضاربا وطويلا كمعركة الخرطوم اذ ثبتت بعدها اركان المهدي : وقتل فيها الحاكم العام غردون باشا البريطانى الذى كان يمثل سلطة الخديوى فى السودان كما قتل فيها كثيرون من الاهلين . وسبق كل هذا حصار طويل عانى فيه سكانها ما عانوا من جوع وخوف . وعانى فيه جنود المهدي ما عانوا من متاعب نفسية وجسمية ، وقد سبق كل معركة من هذه المعارك احداث معينة مهدت لها أو أدت اليها ، فقبل ان ينشب القتال من معركة ابا جاء رسل الحكومة على ظهر باخرة خاصة إلى الجزيرة ليتحدثوا إلى المهدي فى امر خروجه على السلطة ، وتمت مقابلة ودار حديث بين الرسل والمهدي عاد بعده الوفد المرسل وجاءت فرقة من الجيش ثم دار القتال فى ليل بهيم وفوق ارض ممطورة كساها وحل كثيف وكان قتالا فريدا فى نوعه ونتيجته اذ واجه فيه السلاح الابيض الاسلحة النارية وتغلب عليها بعد هذا الغلب شاعت الفرحة فى الانتصار وقويت عزائمهم وذاع خبر النصر واخذ الناس يفتدون إلى ابا مباعين متأهبين للجهاد . كذلك سبق معركة شيكان احداث لا تقل عما سبق معركة ابا وان اختلفت عنها ، فقد بث المهدي عبونه حتى علم بنبا تحرك جيش هكس ، ثم رسم خططه وارسل سراياه فى جهات عدة ، بعضها

لاحتلال مواقع المياه قبل ان يخلتها جيش هكس . وبعضها لناوشته في الطريق وهكذا إلى أن حصره في واد مفتوح شائك وعلى كل من جانبيه غابة كثيفة (١) ثم انقض عليه ودارت المعركة بالتحام الجيشين في قتل مرير قصير انتهى بابادة جيش هكس كله. وبهذا النصر الباهر كسب المهدي مكاسب مادية وادبية افاد منها فوائد جمة في نضاله العسكري والسياسي . كذلك حتمت معركة الخرطوم بأحداث مثيرة سبقتها أثناء الحصار الطويل . وأحداث أخرى وقعت والقتال مستمر كالهجوم على القصر - مقر الحكم العام - ومصرع الحاكم العام البريطاني غردون باشا ثم خاتم الاحداث الحدث لكبير وهو تغلب جيش المهدي واستيلاؤه على مدينة الخرطوم .

(٢) ان كل هذا الذي ذكرناه عن المعارك الثلاث يكون - في رأينا - مجالا خصيبا لتحياي الشعراء . ومادة غزيرة حية لملوهة الشعرية . فهل استغل شعراء المهدي ذاك المجال الخصيب . وهل صاغوا شيئا من تلك المادة الغزيرة الحية ؟ لقد نظم شعراء المهدي شعرا في معارك خاضها المهدي بجيوشه . ولتناول الان ذلك نقدر الذي خصوا به تلك المعارك لنجيب على السؤال الذي قدمناه ، فالشيخ الحسين الزهراء تعرض إلى بعض معارك المهدي في اثنتين من قصائده ولم يسم معركة بعينها من معركته الشهيرة . قال في همزيتة المعروفة :

والله دمر من طفئ وأباده	حتى تولى قتله الضعفاء (٣)
ولقد تبدد جسمه برماهم	فكأنه من خلقه اسلاء
صالوا به وذويه بين حصونهم	في خندق غرت به الاذواء
شادوه بالحصن القوى وأيدوا	بالنار من في النار فهي جناء
في كل مزغال شرارة بنسق	رام طوى من في يديه خواء
وكروهم كالرعد بين صواعق	للمسلمين وكل ذاك عدااء
الله اكبر ان يرد وجوهم	عن شأنه او تمنع البأساء
ولجوه عمدا باختيار صادق	ولهم يد في فتكة خرقاء
وفت بذمة احمد ومحمد	مهديهم وجنوده شهداء

١ - تاريخ السودان ، نفوم شقير ، بيروت ، ٧٢٣

٢ - شعراء السودان ١١ ، حله يشير في الأدب الثلاثة لا و إلى وقعة معينة .

في جسد كل صريع منهم أثر ضربة سيف ، أو طعنة رمح . أو اصابه رصاصة حتى غصت القبور ببحث الموتي . وفي المجموعة الثانية وهي سبعة أبيات من قصيدة « رفعها إلى المهدي » يشيد الشاعر بالمقاتلين وشجاعتهم ونظم النفوس في سبيل ما حملوا السلاح من أجله ، ثم يتحدث عن اسلحتهم البيضاء - بيض رفاق وقنا سمر يحملها اولئك الجنود الذين يخطون يوم الوغى وكنهم الأسد ليسنوا على عدوهم حربا تنزل الاطواد الشاخنة . وهم لا يخاربون وحدهم ، انما يخارب معهم ملائكة السماء وجنود من الجن لا حصر لهم . انه يمتدح شجاعة الجنود المقاتلين ومقدرتهم الفائقة في الحرب : في يوم الوغى لا في معركة خاصة . انما هم كذلك في كل معركة يخوضونها .

تعرض الشيخ محمد عمر البنا في بعض قصائده لحروب المهدي فقل في نائيته المشهورة :

الحرب صبر واللقاء ثبات والموت في شأن الإله حياه (١)

وقال فيها

قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم	شم الجبال ولضعيف حماة (٢)
ولباسهم سرد الحديد وبأسهم	شهدت به يوم المقت الغارات
وخلوفهم صدا الدروع لحزمهم	قتل الاعادى عندهم عادات
في السلم تلقاهم ركوعا سجدا	اثر السجود عليهم وسمات
وتخاضهم يوم الجلال ضراغما	اسدا واسل رماحهم غيات
ركبوا الجياد وغادروا شلوالعدى	رزق النسر وحملهم اقوات
والخيل ترقص بالكماة كأنها	تختال في ميدانها فتيات
فأثرن نقع الموت في عرصاتها	وأغرن صبحا اذ علت اصوات
وذباب اسياف المنية فوقها	رعفت دما وجلالوها الهامات
والارض سالت بالدماء وما بها	غير الجماجم والشعور نبات
ظنوا جبالهم المنيعه تقيّة	وتوهموا ان الصعود نجاة
.....

١ - و ٢ شعراء السودان ٢٧٥ - ٢٧٦

لعله يشير الى معركة معينة

يا أيها الانصار ان صنيعكم شكر الاله له وتلك هبات
اعليتم دين الاله وما بكم الا الثبات تزيينه الوثبات
وشرحتم صدر الرسول محمد بالفتح وانكشفت بكم ظلمات
ورهبتم العليج الكفور بسيفكم والدين تصلح شأنه الرهبات
وسقيتم الاعداء كأس منية عبراتها ما مثلها عسبرات

وقال في قصيدة أخرى :

فسوفهم مسلوله ورماحهم مسنونة وعديدهم مرهوب (١)
ان نوزلوا كانوا الليوث معاركا أو غولبوا فعدوهم مغلوب
واميرهم عثمان اهلك ملة عدم النصير صريحها المكروب
ان صال فالقرسان تحجم دونه فرق الهلاك وللسنان لعوب
أوجال في الميدان تحسب انه اسد تفرس والرجال تشوب
أو جرد السيف المهند مؤمنا لاوى القساوة فالرؤوس تحيب

ان الشيخ البنا خص معارك المهدي ستة عشر بيتا في تائيته . وفي هذا القدر اليسير بدأ بمدح الجلود فاشاد بقوتهم وصمودهم في الميدان أثناء القتال . واثني على بأسهم الذي تشهد به الغارات يوم اللقاء . ثم وصفهم بالحزم وباعتياد قتل الاعادى وبالتعب والاكثار من الصلاة في وقت السلم . وعندما يدخل هؤلاء الجنود ساحة المعركة ماذا يفعلون . وما الذي يحدث . ونحن نعلم ان الجنود عصب المعركة ولا معركة بلا جنود . انهم يمتطون صهوات الجياد . وتتقدم بهم جيادهم ورماحهم مشرعة . وينهالون على عدوهم فيردون جنوده قتلى وتنتشر جثثهم كثيرة . وتسيل دماؤهم غزيرة . لتكون فيما بعد طعاما شهيا للطيور الكاسرة . وتذهب الخيل وتجيء وترتفع السيوف وتنزل ملطخة بالدماء . والغبار يعلو ، والرؤوس تتناثر تتناثر في الارض .

هذا ما كان يفعله جنود المهدي في المعارك كما حدثنا الشاعر البنا في تلك

القصيدة .

واخافوا العلاج لكفور ، وسقوا اعداءهم - اعداء الله - كأس المنيّة .

اما في البائية التي بدأها بقوله :

ما بال طرفي للدموع سكوب شوقا وقلبي للملاح طروب (١)

فقد تدول المعارك بايات ستة فقط ، وقد اوردناها من قبل . وفيها يمتدح جنود ويخص « اميرهم عثمان » ويتبع ذلك بوصف المعركة التي يخوضها ذلك لامير أو الميدان الذي يحارب فيه ، واذا دخل الميدان « تحجم الفرسان » خوف من الموت لانه اعتاد ان يلاعب اسننه فيغمدنها في الاجساد ، ويجرد سيوفه فتساقط الرؤس فهو وجنوده مظفرون في معاركهم بشجاعتهم وقوتهم وأسلحتهم الفتاكة . فالسيوف المسلوطة والرماح المسنونة في ايديهم أثناء المعركة وهم اسد تكفل النصر . وتحقق لهم الغلبة والتفوق . فمن يلاقيهم في معركة ميت لا محالة . ومن ينوى لقاءهم يحجم خوفا .

ان الشاعر البنا لم يسم معركة معينة لا في ايات الثانية . ولا في ايات البائية الستة بل وصف المعارك من حيث هي معارك خاضها جنود شجعان مستبسون كثيرون . يحملون اسلحة كثيرة فتاكة ويحسنون استعمالها . وهم فوق هذا ، وذلك اتقياء يؤمنون بالله وبلغرض الذي يقاتلون من اجله ولذلك انتصروا وقتلوا اعداءهم تفتيلا ..

ثمة شاعر ثالث تعرض لمعارك المهدي في شعره ذلكم هو محمد الطاهر المجذوب حيث قال :

هندوب تعرف صبرنا	كيف ارتكبت للمصاعب (٢)
وهشيم تشهد عزمنا	كيف ادرعنا للمصائب
يا طالما صدنا بها	صيد الغضنفر للثعالب
جيشا يرن سلاحه	كالرعد اذ ما المزن صائب
وسواكن تلدى بنا	اذا لدى الهيجا فضارب

نلاحظ ان الشاعر سمي ثلاثة أماكن - هندوب وهشم وسواكن (١) -
 ونخذ كل واحد منها شاهدا على احداث معينة ففي هندوب لاقوا مصاعب بل
 تعدوا لقاءها وصبروا عليه . وفي هشم عزموا ولبسوا دروعهم استعدادا للملاقاة
 ما كانوا يتوقعون من مصائب . وكانوا جيشا كثيفا قضى على الاعداء وجندل
 ابطالهم . وفي سواكن خاضوا الهجاء وضاربوا واصابت سيوفهم اعداءهم في
 القتال ونقضت عليهم ضربات انقضا الصواعق . اما هم فكانوا يتحركون
 في ارجاء المكان كالتليوث الضفيرة ، وكلما برزت لهم مجموعة من عساكر العدو
 وكتائبه انقضوا عليها وردها رمى الثواب « واعملوا فيها سيوفهم . من كل
 ذلك ذاع صيتهم ووصلت أنباء معاركهم مصر وكتب عنها احدى الصحف .

ان الشاعر في ابياته تلك يصف ما دار في تلك البقاع من عراك في شيء
 من التفصيل فهو يبين نوع الضرب . ويحدد نوع السلاح وصوته وحرركته ، ولا
 يغفل حركة الجند وحركة الخيول . انه يفعل كل ذلك في فخر واعتداد لنفسهما
 في الابيات الثلاثة الاولى . ونلمحها ايضا في البيت السابع والثامن ، وانا لنحس
 فخر الشعر واعتداده أيضا في اربعة أبيات أخرى من هذه القصيدة هي :

حتى انت اخبارنا من مصر تكتبها الجوائب
 وأقر ويك بفضلنا الاعداء في كل المكاتب
 وتحققوا ألا نبنا لي بالمشقة والمتاعب
 نحى لدين الله بل في شأنه تلقى المعاطب

نعود بعد هذا إلى ما نظم هؤلاء الشعراء الثلاثة - الحسين بن الزهراء ومحمد عمر
 ابنا ومحمد الطاهر المجذوب - في معارك المهدي فنلاحظ انه لا يتناسب من حيث
 الكثرة مع المعارك العديدة الهامة التي خاضها المهدي وانتصر فيها ، فكله لا يزيد
 عن ثمانية واربعين بيتا . وقد جاءت ابيات كل من الشاعرين الاولين في أكثر من
 قصيدة أما الثالث فجاء بها في قصيدة واحدة ، كما ان الشاعرين الاولين لم يخصا

١ - هندوب مدينة في شرق اسودان كانت آنذاك مقر عثمان دقة ، هشم ، مكن عرب هندوب
 كت به حرب هائلة بين حد انهدية والجيش الانجليزية المصرية ، وقد أبل انتصار المهدي
 فيها بلاء حسنا - نفقات اليراع ٩٣ .



رام بهم ولهم بذاك سخاء
بيض بكت آثارها بيضاء

فعلوا وما فعلوا ولكن لا بهم
وسموا خراطيم الشقا بجوازم

وقال فيها أيضا :

ورماحهم في الكافرين رواء (١)
ان الديار من الدمار هباء
ان القبور ببعضها شهداء (٢)
ماذا الرغام وفي النفوس اباء
مع المهدي لما نهاء شقاء
عشب اعمرى ان ذاك بلاء
تجرى بهم وجسومهم سوداء

فسل الطلول هناك عن اسيافهم
وامرر بهم وعلى الديار فحيها
واغش القبور بمنحة وهدية
واستجوب الاطواد صرعى بينها
وتخط خط النار تعرف خط من
والنار ترعى في الجسوم كأنها
ما النار شأن النار اعجب ماأرى

وقال في أخرى :

فكأنها بنشيدها اعواد (٣)
بخطوبه تخطو بها الآساد
والحق ابلج والورى اشهاد
بحلومها تراقص العباد
بشتاتها تترزل الاطواد
في جيش مهدي الورى اجناد
سوى الذين ومالهم اعداد

مهج تقمق في شتات جسومها
وكأنها يوم الوغى في كربها
وعيونها مغضوضة بعيوبها
بين الرقاق البيض والسمر القنا
حرب بمحارب المهدي من بأسه
لم لا واملاك السموات العلا
والجن والانس الذين عهدتهم

هذا هو ما وصلنا من شعر الشيخ الحسين في وقائع المهدي الحربية . آيات لا تبلغ الثلاثين عدا في قصيدتين مختلفتين . ففي المجموعة الاولى وآياتها ثمانية عشر لا يسمى الشاعر معركة بعينها . انما يصف قتلا ابل في جنود المهدي بلاء حسنا لانهم صالحوا واقتحموا وحطموا الدور ، واعملوا سلاحهم في عدوهم . وقذفوا برصاص بندقهم فلم تطش منه واحدة حتى تساقط جند الاعداء قتلى والنار مشتعلة

١ - المصدر السابق ١٢

٢ - شعراء السودان ١٢

٣ - المصدر نفسه ١٣ - ١٤

بوصفهما معارك أو معركة معينة بل ارساله مسبقا أو متبوعا بالثناء على الانتصار
المقاتلين ثناء يثير الحماس ويوضح دور الانتصار في الجهد من اجل المهديّة . غير
ان محمد الطاهر المجذوب سمى ثلاث مواقع - هندوب وخصها بيت واحد هو
مطلع قصيدته . وهشيم وخصها بالأبيات الثلاثة بعد المطلع . ثم سواكن وخصها
بثمانية أبيات . اما الباقي فكله فخر واعتداد . نلاحظ ايضا ان الوصف في كل
الحالات وعند كل شاعر يكاد يكون متشبهها بصفة عامة . فكل منهم ذكر الجيش
الكثيف والسلاح الكثير المتنوع واشاد بالشجاعة والاقدام والاستبسال ثم المقدرة على
القتل بجنود العدو .

اننا نعتقد ان هذا الوصف الذي جاء فيما نظمه اولئك الشعراء الثلاثة وصف
حسى - وصف لعملية القتل والتقتيل التي تتم في ارض المعركة ، وليس تسجيلا
فنيا لحوادث دامية هامة ذات أثر سياسى ودينى واجتماعى ، بل هو ايضا وصف
سطحي . اننا نقول ذلك لاننا لم نجد فيه اثرا واضحا قويا لشعور عميق داخل
الشاعر ، ولو حدث ذلك لوجدنا في الابيات وصفا لما حل بالانفس من سرور
أو ضيق أو أسى . ولو تم ذلك لوجدنا في شعر كل منهم صورة لما في نفسه خاصة ،
ولبعض ما في المجتمع من صدى . ولقالوا كلهم أو لقل واحد منهم كما قال
ابو تمام في تصوير الفرح بانتصار الخليفة المعتصم على جيوش الروم في وقعة
عمورية المشهورة :

يا يوم وقعة عمورية انصرفت	ملك المنى حنلا معسولة الحلب (١)
ما ريع مية معمورا يطيف به	غيلان ابنى ربا من ربعها الحرب
ولا الحدود وقد ادمين من خجل	اشهى إلى ناظر من خدها الترب
سماجة غنيت منا العيون بها	عن كل حسن بدا أو منظر عجب

اننا نقول ذلك لاننا لم نجد في شعر أى منهم شيئا ولو سيرا من الصور الحية تكشف
عن انفعال قوى وشاعرية فاضحة . وتدل على سعة الخيال . تلك الصور التي
نجدها في بعض قصائد أبي الطيب المتنبي التي وصف بها معارك الامير سيف الدولة
الحمداني وذلك مثل قوله في احد قواد الروم الفارين من قتال ذاك الامير العربي .

مضى بعد ما انتف الرماحان ساعة كما يلتقى الهدب فى الرقدة الهدبا
ولكنه ولى ولطعن ســـــورة اذا ذكرتها نفسه لمس الجنبيا
وخلى العذارى والبطاريق والقرى وشعث النصارى والقرابين والصلبا
أو مثل قوله فى القائد الرومى نفسه لما هرب وترك ابنه :

نجوت بحدى مهجتيك جريحة وخلفت احدى مهجتيك تسيل
أتسلم بالخطية ابنك هاربا ويسكن فى الدنيا اليك خليل
بوجهك ما انساكه من مرشة نصـــــيرك منها رنة وعويل

انهم لم يأتوا بشيء من هذا . أو بشيء قريب منه ، يبدو أنهم كانوا بعيدين من المعارك بعدا حسيا اذ لم . نجد فى ما بين ايدينا من كتب ان أيا منهم صاحب المهدي فى جهاده كله من ايا إلى الخرطوم أو فى بعض ذاك الجهاد ، وكانوا بعيدين عنها بعدا معنويا لانهم لم يستطيعوا تسجيلها بالشعر تسجيلا فنيا يوضح اجواءها واحداثها ويبرز ما ظهر فيها من بطولات وأعمال حربية . ويكشف كذلك عما اكتنفها من صراع فكرى ونفسى ، أنهم لم يستطيعوا ايضا تصوير ما كان يعقب تلك المعارك فى اوساط الجنود وفى المجتمع السودانى بصفة عامة . لقد كان فى تلك المعارك وما أحاط بها وحدث فيها وأعقبها موضوعات شعرية حية يتسع المجال فيها للنظم والاجادة .

قد قلنا من قبل ان الشعر الذى نظم فى معارك المهدي قليل ، ويمكننا ان نضيف الآن انه ليس بالجودة المرجوة . كما أن ذاك الشعر سكت عن معارك كثيرة خاضتها جيوش المهديّة بعد وفاة المهدي اى فى عهد الخليفة عبد الله ، فقد « كتب عليه ألا يساير الابطال فى حرب الحبشة كما ينبغي وألا يشيد بانتصارهم الذى دوت به الآفاق .. ثم هو لم يواكب الانصار فى مصادمة الجيش الفاتح بل تخلّى عنهم وهم فى اشد المعارك اثارة للشاعرية واستدعاء الشعر » (١).

المستوى الأدبي للشعر فى هذه الفترة من ناحيتى الشكل والمضمون :

ان اول ما نلاحظه فى شعر المهديّة انه أكثر مما نظم فى العهد التركى ، بل

بل انه أكثر مما نظم في عهد الفونج والعهد التركي . وعلة هذه الكثرة قيام الثورة المهدية . فقد اطلقت تلك الثورة الشعر من عقدته . فانطلق الشعراء ينظمون القصائد الطوال والقصار في موضوعات مختلفة .

من شعراء المهدي الشيخ الحسين بن الزهراء . ومن قصائده همزية طويلة رفعها للمهدى وقال فيها :

✓ برح الحفا ما الحق فيه خفاء وتوالت الآيات والانبياء (١)
فالامر جسد والقلوب مريضة والسداء داء والدواء داء

وقد رفع هذا الشاعر قصيدة ثانية للمهدى . قال فيها :

الامر جد والخطوب جـداد وجنود مهدي الوري امجاد
نزلوا بجرعاء الحمى من حاجر فبدت لهم من حاجر ازواد

ورفع قصيدة ثالثة للمهدى قال فيها :

أهاجك وصل بالاباطح يلمع لها فيه ما شاء السراب الملمع
أم البرق في شطر العقيق ولعلع فهاجك يا هذا العقيق ولعلع
أم الواقع المبتول بين اجادع عليه بها طير المنية وقسع

ومن شعر الشيخ الحسين هذه القصيدة :

بنفسى فتى بالشمس رآد الضحى أزرى ونورا يفوق النور من كان والبдра
تبدى لنا من ذيل آفاق غيبه إلى ان تراءى فى العلا بيننا جهرا

ومن شعراء المهدي كذلك الشيخ محمد عمر البنا . ومن شعره الثائية الطويلة

المشهورة التى قال فيها :

الحرب صبر واللقاء ثبات والموت فى شأن لاله حياة (٢)
الجن عار والشجاعة هيبة للمرء ما اقترنت بها العزمت

وقد مدح الشيخ البنا عثمان دقنة بقوله :

١ - شعراء السودان ، ص ٧٠ .

٢ - شعراء السودان ٢٧٥

ما بان طرفي المذموم سكوب شوق وقنى للملاح طروب (١)
ولقد فتنن وما ظفرت ورعنا فتن المشوق وفاته المظلوم
ان في هوى الغيد احسن معذب وسواى يعمر باله ويطيب

وقد بدأ هذا نشعر قصيدة مدح بها الامير 'ار'كى بأبيات الغزل الآتية :

'بد يؤرقنى عبير تـذـك ويزيدني قلقا دوام جفاك (٢)
ويردني من حـالـة العـقـلا إلى حل الخيل تذلي وابـساك

كما بدأ قصيدة اخرى بقوله :

دعوني اجتنى ثمر الترقـد وخذوي اميل في الوساد (٣)
الا يا حادى عيسهم رويدا سامت من الملمات العواد

كان من شعراء المهديـة الشيخ ابراهيم شريف السولاني . وقد رثى المهدي بالقصيدة الآتية :

كيف التئام وؤدى المعطور ورقوء دمع محاجري المفجور (٤)
ام كيف ينشك انصنا عن مهجة احشاؤها تصلى على تسور

ومنهم أيضا الشيخ اسماعيل عبد القادر المفتي الذي وصف قبة المهدي بقوله :

سمت قبة المهدي مجد وسؤددا ونيطت بها الجوراء عقدا منضدا (٥)
وصيغ من الاكليل تاج لها مها وسار بها نهر المجرة مزبدا

أما الشيخ عمر الارهرى (٦) فقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم بالقصيدة التي جاء فيها :-

١ - شعراء السودان ٢٧٨

٢ - شعراء السودان ٢٨١

٣ - شعراء السودان ٢٨١

٤ - نفس المصدر ٢٧

٥ - شعراء السودان ٤١

٦ - شاعر وعالم سوداني ولد ١٢٧٠ هـ درس بقرى ومدى عمقه وتمعنه عربية عن شيخ سودانيين له سفر إلى لأشر وانقطع مدة سنة له وشعر بالتدريس بعد عودته توفي ١٣٣٣ هـ . شعراء السودان ٢٤٩

تألق البرق من نجاد هاشجاني قرب البعاد وهاج اليوم اشجاني (١)
والضحك منه التوى في البرق تعرفه العشاق لم يختلف في ذلك اثنان
ومن مدائح في النبي صلى الله عليه وسلم قوله :

ناد هسواه وزائد حققاه صب تفرق بالئوى اخذانه (٢)
فجرت بوادر مقلتيه لما جرى حمرا وحن إلى الوصال جنباه
ولهذا الشيخ الشاعر قصيدة نشرتها مجلة « الجوائب » المصرية لأنها نالت جائزة
تلك المجلة ، يقول فيها :

سلوا عن فؤادي مسيلات الذوائب فقد ضاع من بين القلوب الذوائب (٣)
فلا سلمت نفس من الحب قد خات ولا كان جفن دمه غير ساكب
من الذين عرفوا بنظم الشعر في هذه الفترة المصوى عبد الرحمن (٤) ، فقد نظم
قصيدة يثنى بها على الزبير باشا ، قال فيها :

أوميض برق أم سنا مصباح أم ضوء فجر صادق الاصبح
اه بدر تم في الدياجي ناشر بيض الملاء على ربي وبطاح
ومن شعراء المهديّة كذلك محمد الطاهر المجذوب الذي رثي المهدي بقوله :
دهتنا دواه يصرس القلب نابها ويوقد في الاحشاء نارا منابها (٥)
غداة نعي الناعون مهدينا الذي به ملة الاسلام جل مصابها
ومن شعر هذا الشاعر قصيدته التي وصف فيها بعض المعارك التي خاضتها جيوش
المهديّة بقيادة عثمان دقنة ، حيث قال :

هندوب تعرف صبرنا كيف ارتكبنا للمصاعب (٦)

١ - المصدر نفسه ٢٥٠

٢ - شعراء السودان ٢٥٢

٣ - شعراء السودان ٣٥٨

٤ - ولد في قرية اميعوب ، بدأ تعليمه في السودان ثم هاجر إلى مصر ودخل الأزهر ولما عاد
بدأ يعلم أسس في كركوج ثم خلق المهدي وصحبه مدة من الزمن ، وبعد وفاته عاد إلى مصر
وفيها لقي الزبير باشا نقشات اليراع ٩٧ .

٥ - شعراء السودان ٣١١

٦ - نقشات اليراع ٩٣٠

وهشيم تشهد عزمنا كيف ادرعنا للمصائب

ومنهم ايضا عبد الغنى السلاوى ، وقد رفع قصيدة لمهدى جاء فيها قوله .

راق الصبوح ورفت الصهء ماذ كان فيها للعليل شهء (١)

ريية نبوية مسكية مهديـة روحية وسماء

هنالك شاعران نظم كل منهما قصيدة فى اواخر العهد التركى الا ان القصيدتين قريبتان من شعر المهديـة . حداثتهما تشبه شعر المهديـة من الماحية الفنية . والثانية قيلت فى المهديـة ودعوتها لجهر بها وظهر امره . الاولى من نظم احمد مدني (٢) فى رثاء السيد عبد العال بن السيد احمد بن ادريس المتوفى سنة ١٢٩٥ هـ . وقد قال فيها :

مالى أرى رونق البلدان قد دهم والنور اضحى عن الاكوان منسلبا

والناس مشغولة الافكار حائرة يا صاح ماذا هم هل تعرف السببا

- أما القصيدة الثانية فمن نظم الشيخ محمد شريف (٣) . قيلت فى انكار دعوة المهديـة والتقليل من شأنها وشأن صاحبها . وقد جاء فيها :

لقد جاءني فى عام « زع » لموضع على جبل السلطان فى شاطئ البحر (٤)

يروم الصراط المستقيم على يدي فبايعته عهدا على النهي والامر

تلكم هى نماذج اخترناها من شعر المهديـة . وهى نماذج يسيرة وسيجد القارئ الكريم النصوص كاملة فى آخر الكتاب ان اول ما نلاحظه فى تلك النماذج هو ان اولئك الشعراء لم يخرجوا عن موضوعات الشعر القديمة المعروفة . ونعنى بها الاغراض التى نظم فيها شعراء العرب الاقدمون وهى - المدح والرثاء والحماسة والوصف واحياء والعزل . الا أنهم قصروا نظمهم على بعض تلك الاغراض وهى المدح والرثاء والحماسة والوصف . ولم يفردوا للعزل قصائد بعينها .

١ - نفثات اليراع ٨١ .

٢ - احمد مدني - ولد فى شدى سنة ٩٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) تنسب عن كبار العلماء . وصار امما خاصا لمدير دفتلا ابان العهد التركى . نفثات اليراع ٩٦ .

٣ - حفيد لشيخ اعلى صاحب الطريقة اسمانية . تنسب عنه نهديـة وصحة مدة طويلة الا أنهم اختلفوا واقرقا .

٤ - تاريخ السودان نموم شقين ، بيروت ، ١٤٠٠

كما ان شعرهم لذي وصل اينما خلا من الهجاء تماما الا قصيدة واحدة نظمت في
اواخر العهد التركي واولائل ايام المهدي ، ولتناول الآن ما قالوه في كل غرض
من تلك الاغراض بالنقد .

المدح :-

✓ أقبل الشعراء على المهدي يخصونه بمدحاتهم . وفيها يثنون على شخصه كقول
الحسين بن الزهراء :

فهل دون مأواك الخصب فناؤه خاج ذوى احاجات يا عيش مربع (١)
أنادى فلم يذهب ندائي لمذهب شقائي ولم يجمع شتائي مجمع
واثنى لعل الصوت يبلغ احمدا فيعلم ما بي او يعيه فيسمع

وكقوله ايضا في قصيدة أخرى :

بفس فتى بالشمس راد الصبح ازرى ونورا يفوق النور من كان والبدرا

وكقول الشيخ محمد عمر البنا في تائيته المشهورة :

حشا جنابكم المبرأ ان ارى ضيما ولى في حكم سكرات

وكقول الشيخ عبد الغنى السلاوى :

اضحى به روض المعاني يانعا وعلا لرواد الضلال رداء (٢)
امست به آثار طه نورها يعلو ولا يعلو عليه سناء
فالمجد فيه مؤئل والفضل منه مؤمل والناس فيه سواء

وفيها كانوا يمجدون نسبه تأكيدا وتأييدا لمهديته ، وذلك كقول الحسين بن الزهراء
في المهمزية المشهورة :

السابق ابن السابقين إلى الهدى من معشر نتجت بهم زهراء
وبهم تبلج كل غصن مشر بجلاسه تزهو روضة خضراء

كما انهم ضموا تلك المدح تأييدهم دعوة المهدي ، وكثيرا ما كانوا يسوقون
ذلك التأييد في قوال المدح ومن ذلك قول الحسين بن الزهراء :

بالآية الكبرى التي بظهورها
مهدى رب العرش منتظر الورى
كمل الرضا وانجابت الاسواء
والى الولى والاكرمون وراء

وكفوله فى قصيدة أخرى :

عماد الهدى أس الجدى معدم العدا
ملاك اساطين الخلافة كفوها المعد
ندا واليه الناس فى الارض نجح
لها الحصن الحصير الممنع
امام الهدى الهادى لكل مرشد
بهامته التاج النفيس المرصم

وكقول عبد الغنى السلاوى فى قصيدته الهزمية :

ان كنت من انصار مهديها لنا
ما هديه غير الكتاب وسنة
مهدى الورى من فاض عنه هداء
والتاركون لذاك هم كفراء

ومع مدحهم المهدي وتأيدهم دعوته فى
المقاتلين والقواد ، ومن ذلك ما جاء فى تائية البنا من اشادة بجنود المهدي حيث قال :

قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم
ولباسهم سرد الحديد وبأسهم
شم الجبال وللضعيف حماة
شهدت به يوم اللقاء الغارات
قتل الاعادى عندهم عادات
أثر السجود عليهم وسمات

وقد قال الشاعر نفسه فى مدح عثمان دقنة بعد ان اشاد بجوده الذين قادهم
لنصرة الدعوة المهدية فى شرق السودان ، قال :

واميرهم عثمان اهلك مله
ان صال فالفرسان تحجم دونه
عدم النصير صريحها المكروب
فرق الهلاك ولللسان لعوب

ومدح البناء كذلك اميرا آخر من امراء المهدية هو الامير اراكى (١) وقد تعرض
معظم هؤلاء الشعراء الى فكرة المهدية فى مدائحهم . فقد قال الحسين بن الزهراء
فى احدي قصائده :

به اخبرت من قبل وقت ظهوره
صحاح رواها هبرزى موضع

وَقَوْلُهُ فِي الْهَمْزِيَّةِ :

انعم بأمر كان من جند النصا جار وقد حكمت به الاسماء
وله الإشارة من ألت برنكم طوعا له وليسع العلمساء

كما تعرضوا لبعض ما عرف بين الناس في ذلك الزمن من كرامات المهدي ولما أورده
لمهدي في منشوراته كاشتعال^(١) النار في جسم العدو عند تصيبه صرابة أو طعنة
من جنود المهدي . وقد ذكر ذلك الحسين بن الزهراء في همزيتة التي عرضنا آياتا
منها في الصفحات السابقة حيث قال :

والنار ترعى في الخسوف كأنها عشب ناعمى أن ذاك بلاء
ما النار شأن النار اعجب ما رى تجرى بهم وجسومهم سوداء

وكأشراك جنود من بحر^(٢) ومن الملائكة مع جنود المهدي في القتال . وقد
ذكر هذا الحسين بن الزهراء في داليتة التي رفعها للمهدي . وذلك حيث قال :

لما لا وأمالك السموات العسلا في جيش مهدي الورى اجناد
والجن والانس الذين عهدتهم سوى الذين وما لهم اعداد

كما ذكر البنا في قصيدته التي مدح بها عثمان دقنه اذ قال :

وامدهم جيش الملائك ناشرا رايات نصر للسلاسل تجوب

كذلك مدح بعضهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كأشيع عمر الازهرى الذى
نظم قصائد عدة في مدحه صلوات الله وسلامه عليه . وقال في واحدة منها :
محمد صفوة البرى وخيرته المختار من رساله للانس والجان
ذو المعجزات التى قد اعجزت عددا من ر م عدا بانى الف ديوان

وقال في أخرى :

هذا الذى اعجز النصحاء والبنعاء عجزا ظاهرا قرآنه
نطق الذراع له وحن الجذع وانسكب السحاب ذا شار بدنه

١ - كتب المهدي بن يوسف السلاسل . منشور - مهديّة - أبو سليم ٢١٢
٢ - خطاب المهدي إلى محمد ود البصير . منشور ت مهديّة . أبو سليم ١٨ . ومنشور الدعوة ، المصدر
نفسه ٢٤ . ومنشور الحضرة ، المصدر نفسه ١١١ .

جمعت خصال المرسلين له كما
جمع المدي في كتبهم فرقانه
متواضع والزهد فيه سجية
يطوى ويضع والاوان اوانه

وقال في الثالثة :

محمد المحمود في الارض سيرة
فوق الطباق اسبع الملاء الاعلى
ذا ذكر اسم الله يقرن باسمه
لتعظيمه في كتب انت تتلى
نبي آتي الخلق بالحق داعياً
فمن لم يجب بالنار يصلى وان صلي

من الشعراء الذين نظموا قصائد في مدح الرسول الشيخ أبو القاسم^(١) أحمد هاشم
والشيخ الطيب^(٢) أحمد هاشم والشيخ ابراهيم^(٣) أحمد هاشم الاثنا نكتي بماوردنا
من شعر الشيخ عمر الازهرى امثلة للمدائح النبوية ، لأن الشعر الذي يعبى في هذا
المقام هو الشعر المتصل بالمهدى ودعوته ، لكننا نرى الابد من ذكر بعض ابيات
من قصيدة الشيخ المصوى^(٤) عبد الرحمن التي نظمها في مدح الزبير ناسا لان
شعراء ذلك العهد لم يتجهوا بمدائحهم للأفراد العاديين - قال المصوى :

او مبيض برق ام سنا مصباح
اصو فمجر صادق الاصباح^(٥)
ام بدر تم في الدياجي ناشر
بيض الملاء على ربا ويطاح

واذا تأملنا هذه القصائد نجد ان الشاعر في كل واحدة منها يعدد فضائل الممدوح
بل يسردها واحدة تلو الاخرى في شكل تقريرى ظاهر ، وتتساوى في ذلك مدحات
النبي ومدحات المهدي ومدحات الافراد العاديين . فعمر الازهرى قال مادحا
النبي صلى الله عليه وسلم :

محمد صفوة الباري وخيرته المختار من رسله للانس والجان

- ١ - عالم سوداني عمر كئناً في المهدي وقضيا في عهد الحكم الشافعي ثم اختير شحا معلما ولد
ولد في برب ١٢٧٨ هـ شعراء السودان ٣١
- ٢ - ولد في برب ١٢٧٣ هـ عالم سوداني ، عرف في المهدي بعنه ونفوا ، وكان فرساً كدر
رجالها . تولى القضاء والافتاء في عهد الحكم الثنائي ، المصدر نفسه ٤٣
- ٣ - ولد في برب ١٢٨٩ هـ وعمل في دور المحاكم الشرعية ايان الحكم الثاني .
- ٤ - ولد ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م) تعلم على عمه كثيرين ، تصد بالمهدى وصار داعية في حرموم
هرب إلى مصر بعد وفاته ، نفثات البراع ، ٩٧ .
- ٥ - المصدر نفسه ٩٧ .

ذو المعجزات التي قد عجزت عدا من ر م عدا باقي الف ديوان

ن الشاعر في أبياته تلك - بل نعمه في قصائده كلها يقدم بنا بيان بأوصاف
لحميدة المريدة النبيلة التي تحلى بها سيدنا محمد . وهو يقول انه صفوة الباري .
وحيرته المختار . وانه صاحب المعجزات المعجزة . وانه يميز المصحاء والبلعاء
بقراءته . وانه قد فاق المرسلين بما حوى من صفاتهم كلها . وان كتبه قد فاق
كتب المرسلين الذين سبقوه لانه احتوى ما جاء فيها وازي . وفوق هذا وذلك
فهو محمود في الارض وفي السموات السبع . اذ رجعت إلى قصائد المدح التي قلمت
في المهدى نجد اشعر يسردون صفته سردا ويقررونها تقرير كقول الحسين
ابن الزهراء في العيبة التي عرضنا ابياتاً منها فيما تقدم . قال :

عماد هدى اس الجدى معدم العذبند و به الدس في الارض خـع
ملاك اساطين الخلافة كفوه لمعد لها الحصن الحصين المنع
مام هدى اهادي لكل مرشد بهمة لمدح النفس الموضع

وكقوله في قصيدة أخرى :

بحق جاء ونامنا كرفاتك وعنى نعمان من لقمنا مز د

او كما قال البنا في مدح عثمان دقنة :

واميرهم عثمان اهـك ممة	عده المصير صريحها المكروب
ان صل فانقرسان تحجم دونه	فرق افلاك وللسان لعبوب
.....
فخلهم فيه سجية معروسة	ما لى حرم الاله عضوب

وكقول المضوى في مدح الزبير باشا :

ضحمة الدسعية ما حلت ابراسه	من قاصده في مساء وصاح
من دوحة العباس عم مصطفى	كرم به من سيد ججحاح

فنحن اذ تأملنا هذه الأبيات نرى انها تعد الصفات عدا . فانهنى عماد الهدى
ثم اس الجدى ثم معدم العدا . وهو يعد ذلك ملاك اساطين الخلافة وهو كفوها .

وعثمان دقة اهلك اعداءه . فهو فارس تهايه الفرسان . وهو فوق كل هذا حليم
 غيور . والزبير دشا ضخم الدسيسة . ابوابه تزدحم فيها الناس ونسبه ينتهى إلى
 العباس عم النبي . هكذا كان الشعراء يمدحون -- يقدم الواحد منهم سلسلة من
 الصفات وكنه يقدم . كسفا . مظلوما أو مجموعة عبارات جافة لا أثر للشعور فيها
 ولاحظ لها من خيال . وشخصية الممدوح لا تكاد تبين أو تتحدد بين تلك
 الصفات المسرودة

الصفات المسرودة

الرثاء :

لما انتقل المهدي إلى الرفيق الاعلى رثاه بعض الشعراء وقد حفظت لنا المراجع
 اسماء وقصائد ثلاثة منهم هم ابراهيم شريف الدولابي ومحمد بن الطاهر المجذوب
 واسماعيل عبد القادر الكردفاني . ولم نجد فيما بين ايدينا من مراجع رثاء للمهدي
 من نظم الحسين بن الزهراء أو من نظم محمد عمر البنا مع انهما ايداه بالقصائد
 الطوال وشادا بشخصه وبرسالته وبانصاره للمقاتلين -- ولم نجد كذلك رثاء في تلك
 المراجع لغير المهدي وبعض من قواده مثل حمدان أبو عجة فقد رثاه محمد بن
 الطاهر المجذوب ويبدو لنا من هذا ان الرثاء كان مقصورا على فئة خاصة . ولم
 يخرج عن دائرة تلك الفئة ليشمل ذوى القربى أو أهل المودة وعيون المجتمع من
 غير الحكام .

ابتدأ ابراهيم شريف دولابي مرثيته بتصوير فدحة الخطب بالتعبير عن مدى
 حزنه لوفاة المهدي فقال :

كيف التئام فؤادى المنظور	ورقوء دمع محاجرى المفجور (١)
أم كيف ينفاك الضى عن مهجة	احشاؤهد تصلى على تنور
اسف على المهدي من مهد الصبا	قد كان معصوما عن المحذور

لقد وفق اشعر في هذه البداية لانه اعلن فيها عما اصابه . ولا يمكن ان
 يصيب احد لموت آخر أكثر واعظم من انقطار الفؤاد وانفجار الدمع واضناء المهجة
 ثم ' رثاء الاءءء . واهل فى نسر اله قت ان الذى اصابه لا يزول . ونستفيد

هذه من ذلك الاستفهام الذي يذق على النفى . ولعله من تمام التوفيق ان ينتقل الشاعر بعد اعلان ما اصدته واعلان استحالة برئه منه إلى الاشادة بالمهدي وبيان بعض ما تحلى به ويذكر في غضون ذلك المشهد الذي نصب فيه مهديا . ثم يشيد بدعوته وجهاده وبفضل تابعيه المهتدين بهديه وذلك حيث يقول :

فدعنا إلى الدين الحنيف محمدا بالسيف والاذار والتبشير
فتح لفتوح ودمر الكفار في كل البلاد بجيشه المنصور
ومن انتهى لسواه صبح حائرا ضل الطريق بليلة ديجرر

ولا نشك ان مثل هذه الاشادة المفصلة الشاملة مما يزيد في تصوير فداحة الخطب وعظم الفقد . وبعدها ينتقل الشاعر إلى مكانة المهدي الدينية مشيدا بزهده وتقواه وكرمه فيقول :

طوق لمحج حاشع متواضعا كهف الفقير وجابر المكسور
وتقيض بالحدود الكثير يمينه ابدا بلا منة ولا تكدير
وبييت طاوى الكشح جوعا وهو قد اعطى الكنور يجمعها الموفور
لا يتعمى جها ولا مالا ولا عز الملوك ولا ارتقاع الدور

هنا ايضا جاءت الاشادة مفصلة شاملة فقد تطرق الشاعر إلى علم المهدي بالشرعة والحقيقة وجمعه بخرأ في كليتهما . ثم تعرض إلى « صوفية » المهدي أو « تصوفه » فقال انه سر الوجود و ترجمان الحضرة العليا . وهو « مظهر الغيب » . بعد ذلك ذكر بعض ما خصه الله به . والله اكرمه بطيب تحية « ومن هذا التفصيل الذي شمل عبادة المهدي وكرمه وعطفه على الفقير والمكسور . وشمل أيضا زهده وتواضعه انتقل الشاعر إلى رسالة المهدي وتحقيقها فقال :

ما همه الا احتذب الخلق من درك الشقاوة عميهم والعود
ابن لما السبيل ولم يلدع ابصاح مبهي ولا مأمور
والدين عر واهله بلغوا لمني وتقلبوا في نعمة وحبور
نقت إلى لذت العلية روحه وسعت لمقصد صدقها المنخور
فمصر ر ودع كل قلب حسرة وحشا الحشا ببلابل وسعير

في هذه الأبيات يعان الشاعر أهداف رسالة المهدي ويحصرها في احتداب الخلق جميعهم مما انحدروا اليه من شقاء وايضاح السبيل ليعترف الناس ما يأمر به الله وما ينهى عنه . واعزز الدين واهله حتى يتقبوا في « نعمة وحبور » ويعلن انه قد بلغ تلك الاهداف . وبعد بلوغها انتقل إلى جوارره تاركاً في كل قلب حسرة وهي كل جوف ندرا مستعرة . لم يقن الشاعر مات أو « قصي نجمة » او مثل ذلك مما يقال عادة لكنه قل « تفت إلى الذات العلية روحه » و « سعت لمقصده صدقها » . قال ذلك تمييزاً للمهدي عن غيره وتقديراً لمكانته الدينية ورسالته التي جاهد في سبيلها إلى أن حققها . فالشاعر يؤمن به ويعتقد صحة دعواه . انيس هو القائل فيه في نفس القصيدة :

ومن اهتدى بهداه صبح داخلا	سور الرضى اعظم به من سور
ومن انتمى لسواه امسى حائرا	ضل الطريق بليلة دحور
ماشت فيه من الناء قفل ولا	تاخذك لومة الاثم مدحور
ما اطست مداحه الا وهم	عن وصف بعض حلاه في تقصير

من هذه الأبيات ومن بعض ما قدمناه قبها نرى ان هذه المراثية حوت تأييداً للمهدي في دعوته وفي جهاده وتأكيذاً لمهديته ويكفيها دليلاً على ذلك الابيات :

لارال في كنف اعناية يغتدى	لدقائق التبصير والتوير
حتى انتهى لمقامه الاعلى الذي	عنه النهى في حيرة وقصور
واقامه المختار عنه خليفته	خلعت عليه مالايس من نور
ورقى إلى كرسيه مستمها	في مشهد بالاوليا معمور

في ختام هذه المراثية أخذ الشاعر يعدد مواطن البكاء او ينسب البكاء والانتحاب إلى امكنة كان يغشاها المهدي . وهي اليق به واشبه . كما اثنى على الارض التي

حوت جسمه ففاق طيها مما حوت ما يفوح من المسك والكافور . قال :

تبكى المساجد والمحارب ففسده	ومواضع الاذكار والتدكير
يا طيب ارض ضم جسمك ترها	تزرى تعرف المسك والكافور

وبعد التعداد شرع في العزاء فقال :

يا آل بيت المصطفى صراوان حين المصائب وعز عن تصغير
فكم تجمع في مصيبة حدكم خير الأذى الحى والمقبور

انه يعزى آل المهدي ويسميه . آل بيت المصطفى : مریدا بذلك نسبتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا يكشف الشاعر عن ايمانه بالمهدي والمهدية لان المهدي حسب رأى الشيعة لا يكون الا من آل انبيت . ولعله اراد ان جدهم رجل اصطفيه الله وفضله على الاحياء والاموات من الازمان . وفي هذا ايضا ايمان به وتأييد لدعوته . يقرر بعد كل ذلك انه شمس توارت . واذا ما توارت في لثرى تلك الشمس التي يهتدى بضياؤها السائرون . وينتفع بشععتها كل كائن حي فاعزاء والعوص في بدر نوره عظيم ذلكم هو الخليفة عبد الله بن محمد . ثم يأخذ بعد ذلك في مدحه وامتداح سيرته . وينتقل من بعد إلى بقية الخلفاء مشيدا بموقفهم وافعذهم . ويعلن أنهم : قوام الدين بعد امامه « وهم ايضا » تمام ظهوره . واننا لحسن في كل . قال عنهم تأييدا للمهدي وتأكيد لصحة دعواه . ويكفي دليلا على ذلك انه يسمى احدهم : خليفة المذروق « ويسمى الثاني : خليفة الكرار » كما سماه المهدي . ثم يقول عنهم كلهم أنهم : قوام الدين « بعد موت المهدي » امامه « كما يقول أنهم » تمام ظهوره . وفي البيت الاخير دعاء بالصلاة على الضريح الذي ضم رفة المهدي . صلاة طيبة تتردد كل صباح وتكرر كل مساء .

أما محمد بن اطاهر لمجذوب فقد سلك نفس النهج تقريبا بدأ بتصوير فداحة الخطب فقال :

دهند دوه يصرون لقلب ناب ويوقد في الاحشاء نارا منابا (١)
عدة نعي لدعون مهدين الذي به ملة الاسلام جل مصاب

نه يمثل المعنى واحزن الذي اعقبه جمع من الدواهي لها ناب او ألياب انغرست في القلب فحدثت ألما مضمداً أنتقل إلى الأحشاء وانتشر فيها نارا حامية وبعد هذا لتمتيع يعين الشاعر ن المصائب جنس وانه فقد للاسلام والمسلمين . ثم يشرع في

تعداد محامده ليؤكد فداحة الخطب وليدل على ان منصبة حلت بالمجتمع الاسلامي
كله ، وذلك بقوله :

امام الهدى المهدي افضل من دعا	إلى الله مفتاح الحياه وبابها
الا قد اصننا اذ علمنا حبيب	وصدقت به الارض اوسيع رحبها
لبيك نه الدين الخفيف وملة	ان هداها حين تم خرابها
فقدناك يا هديا يتمنا بفقد	فقدناك يا شمس دهانا عيابها

في هذه الايات الاربعة يقرر الشاعر ان الفقيه امام الهدى ، وانه افضل من دعا
إلى الله ، وانه « مفتاح الحياه وببها » فكيف لا يكون فقداه عظيم و نصاب فيه
جلالا . وكيف لا يحزن لفقداه المجتمع الاسلامي كله وقد هداها إلى السيل السوي
واعاد إلى الدين هيئته بعد « خراب » . وقد كان لهم هديا كما كان « شمسا »
ان الشاعر بقوله هذا لا يصور عظم الرعب بموت المهدي فحسب . ثم يؤيده ويؤكد
مهديته .

يأخذ الشاعر بعد ذلك في مراجعة نفسه وتذكيرها بربها وحكمه فيقول :

إلى الله انا راجعون هو الذي	إليه نفوس العالمين اياها
هو الفاعل المختار باق وانما	نفوس المورى جمعا إليه انقلابها

ويتطرق إلى ما كان يتوقعه من لقاء المهدي ويأسى لان ما كان يتوقعه لم يتم .
ويدعو لقبه بالسقيا ، وذلك في قوله :

وكننا نرى ان نفوسوز بوصله	ندى دار حتى صاح فيها غرابها
فلم يبق فيها الآن ما يبتسغي له	بقاها فقد اضحى سرايا شربها
سقى الله ارضا ضمته بقاعها	به فقت العرش العظيم قبائبا

ويختتم مرتبته بالعزاء يقدمه إلى خلفاء المهدي وإلى امه . ويخص كل خليفة كما
يخص اهل الفقيه بشيء من الثناء في الايات التالية :

عزاء إلى الصديق نائبه الذي	به الملة الغراء شد انتصابها
عزاء إلى الفاروق من كان دأه	ندى نعم الدين الغرور اجتنبها

عزّاه إلى الكرار ذي المصير المدي لديه يهاب البترات ذبابها
عراء إلى الآل الكرام ولى التقى على الله هاتيك الرزايا حسابها
وفى الختام يسأل الله أن يلحقه بالمهدى فى جنة العلا . ويبعث اليه تحيات
ربانية فى البيت :

والحقنا المهدى فى جنة العلا ليذهب عن هذى القلوب إكتئابها
ألا تلغوا عنا ضريح أبى المهدى نحيا إلى الله الكريم انتسابها
مرة أخرى نلمح تأييد الشاعر المهدية فى الشاء الذى يخص به الخلفاء ويقدم اليهم
مع العزاء . ونلمحه أيضا فى الرغبة التى يعلنها فى آخر المراثية حيث يطلب إلى الله
أن يلحقه بالمهدى فى اجنة لتذهب عن قلبه تلك الكآبة التى أصابته لأنه لم يفز بقاء
المهدى كما كان يأمل . كما أصابته بموت لمهدى .

ان المراثية الثالثة من شعر الشيخ اسماعيل عبد القادر الكردفاني . وقصد جمع
فيها بين الرثاء ووصف فيه المهدى . وستناول الآن جانب الرثاء وترك الوصف
إلى حين . بدأ الرثاء بتعداد محامد المهدى وسرد افضاله فقال :

خلاصة صفو المجد من آل هاشم وافضل من فى الخير راح او اغتدى
امام له فى كل مجدد وسؤدد مآثر فضل ما أجلّ وامجدا
محمد المهدى بشرى محمد شفيع الورى فى الحشر من طاب محندا
بشراه غنى بلبل السعد مطرنا وقام على عصن المسرات منشدا

انه يرجع نسبه إلى نبي هاشم آل بيت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ويقرر
انه افضل من ، راح واغتدى » . وهذا يعنى انه افضل البشر . بل افضل من سعى
لتخير وجاهد فى سبيله . ثم يقرر ايضا انه بشرى محمد . ولعله يريد بذلك
تأكيد ما يعتقد من صلة بين رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبين ما جاء
به المهدى ثم ينتقل إلى رسالة المهدى وجهاده فى سبيلها فيقول :

به الله احيان واطهر دينه واولاه افضالا ونصرا مؤيدا
وقد أحرز الدين الحنيفى بالظبي ودمر جبارا طغى وتمردا
وحاهد من قد حاد عن شرع أحمد وقد فل جيش المعتدين وشردا

وهذا يعلن ان الله احياهم به . واطهر به الدين لاسلامى . وهذا اقرار بانهم كانوا
 « امواتا » قله ، واعتراف بان الدين خفيت معالمه وخفت ضؤوه ردها من الزمن
 إلى ان جاء المهدي وآتاه الله افضالا وأيده بصر منه ومن هنا يدخل الشاعر في
 مجال جهاد المهدي فيقول :

وقد احرز الدين الخفي بالطيبي ودمر جبرا طمعى وتمردا
 وجاهد من قد حاد عن شرع أحمد وقد فل جيش المعتدين وشردا

وفي هذا القول اشادة بجهاد المهدي او كفاحه المسلح « في سبيل اعلاء كلمة الله
 وتشريد خصوم الاسلام والمسلمين . ام وفاة المهدي فيقول الشاعر بها كانت
 استحابة لدعوة من الله عز وجل إلى المهدي إلى دار الفوز العظيم نخاد :

ولما دعاه الحق جل جلاله لدار بها الفوز العظيم خلدا
 اجاب النداء فالقلب بعد فراقه يذوب اسى و نصير عز وابعدا

لم يقل الشاعر انه مات او ان أجهه انقضى . بل قرر ان الله دعاه إلى دار خلود .
 وهذه الدعوة تحمل في طياتها معنى القرب من رب اعرش العظيم . ولا يتأتى الا لمن
 اوتي مكانة خاصة واحرز فضلا عظيما ودرجة كبرى . ثم ان المهدي أوجب حنا في
 دار (الفوز العظيم المخلد) ورغبة في القرب من ربه الذي دعاه . و رهد في الدنيا
 الثمانية فذهب وخلف بعده اسى . وصار الصبر على فقده وبعده عزيزا لا يكاد
 يناله او يبلغه احد . ان الشاعر بقوله هذا يكشف لنا عن تأييده المهدي وايمانه بدعوته
 والا لما قرر ان موت المهدي خلل اصاب الوجود . وان الله جبر الوجود « خليفته
 وذلك في آياته الآتية :

وقد جبر الله الود بأسره واعلى منار الدين حقاً وشيد
 بهدى الذي قد قام فينا مقامه خليفته هادى الورى قاصع العدا
 فقام بامر الدين حق قيامه واعمل في اهل المضال المهندا

ان هذا الذي جاء في هذه الابيات هو بداية مدح الخليفة والاشادة بموقفه في السير
 بالدعوة والدفاع عنها وقد استرسل في ذلك قائلا :

قلوب الورى تعنو جميعا لديه
امام اجل الله فى الكون قدره
فلا تشى لا وعيها تحلى الصد
وتوجه تاج القلوب وأيد
مآثره فى الدين يعسر حصرها
فغاية ما عدى القصور وقد ند

يثبت الشاعر هنا ان قلوب العالمين تسترشد بهديه وتخضع له وهو يزىل ما علق بها فتعود نقية صافية خالصة لانه الامام الذى منحه الله جلال القدر وأيده والقى اليه محبة الناس . ما مآثره فى الدين فلا حصر لها . ون اراد احد ذلك فالامر عسير والشاعر نفسه عاجز عن ذلك فلا يستطيع . ان الشاعر بهذا المدح الذى يقرره تقريراً يثبت تأييده المهدي وولاءه للحاكم الحيد الذى خلف المهدي بعد وفاته . ينتقل بعد ذلك إلى بناء القصة ذاكرة ان الخليفة هو الذى أمر ببناءها وخطب الانصار وحثهم على تشييدها ابتغاء الثواب . ثم اشرف على البناء إلى ان اكتمل وبررت القصة شاححة عظيمة . كل ذلك فى الأبيات التالية :

ومن بعده الانصار تحت اشارة
فجاءت بحمد الله اعظم قبة
له وهو يد فى سماء العلاء بدا
حوت كل مجد لا يعد وسؤدا

فى ختام القصيدة خاطب الشاعر روار القبة اللاندين بفضل المهدي المتوسلين به . وبشرهم ببلوغ المقاصد والظفر بالحسنى ثم ارج للقصة فى البيت الاخير . قال :

فيا زائرا تلك البنية لاإذا
توسل ببشرى المصطفى متأديا
بقبر حوى الفضل الجسيم المؤبدا
لظفر بالحسنى وتبلغ مقصدا
وقف خاضع وارج القول مؤرخا
بقبة مهدي الانام ترى هدى

لما مات القائد حمدان أبو عنجة رثاه محمد بن الطاهر المحذوب بقصيدة لم نعر منها الا على الايات التالية :

حمدان إنك طالما سميت العدا
ما وجهت ريات نصرك وجهة
ذلا وذكرك فى المحافل يرفع (١)
الا وبالظفر المؤكد ترجع
سبقت الجهاد وكل قرم تقمع
ضمنك ما نجم يغيب ويطلع
فصحائب الرضوان تغشى تربة

واننا لنجد في هذه الابيات عبي قلتها بعض السمات التي وجدنا في المراثي
 الاخرى فالشاعر يعدد محامد المتوفى ، وهو اذ لاله العدو وسير ذكره في المحافل
 ثم انتصاره في كل معركة يتجه اليها ثم يدعو له بالهذه في جوار ربه بعد ان شهر
 سيف الجهاد واردى به « كل قرم » . ويدعو له بالرضوان ما طلع نجم وغاب .
 كذلك نجد بعض السمات في قصيدة احمد مدني التي رثي بها السيد عبد العال ابن
 السيد احمد بن ادريس . فقد بدأها بتصوير الفاجعة في الابيات الاربعة الاولى وفيها
 قال ان « رونق البلدان قد ذهب » و « النور انسلب عن الاكوان » ثم « انشغلت
 افكار الناس وحارت » وتساءل بعد ذلك عن السبب ثم رد بان وفاة « الاستاذ مصيبة
 نزلت فاشعلت في القلوب الحر .. » واسهرت العيون وابكتها دموعا « يفوق البحر
 والسحبا » بعد ذلك انتقل الى بيان الافضل وتعداد المحامد . وبعد ان سرد مجموعة
 منها حث على زيارة قبره للفوز « بنيل المرام » و « زالة الهم » وانصب ثم اختتمها
 بالدعاء لنفسه وتاريخ عام الوفاة .

يمكننا الآن ان نقول ان شعراء المهديية اتجهوا بمراثيهم الى طبقة الحكام .
 ولم نجد فيما وصل الينا من شعر أبيانا لأى منهم يبكي فيها قريبا او حميما او جارا .
 او شخصا من عامة الناس تربطه به صلة شخصية او عاطفة انسانية لذلك جاءت
 قصائدهم خالية من حرقة المكولم ولوعة التاكل لكنها اكتظت بمحامد المتوفى
 مسرودة سردا ، وتتبع هذه المحامد وتعددت فرسمت للمراثي صورة اوضح
 من صور المدح . هذا وقد تضمنت تلك المراثي التي قيلت في المهدي تأييدا واضحا
 للمهديية وايمانا بفكرتها .

الوصف :

لم يخرج شعراء المهديية عن بيئتهم في شعرهم الوصفى . فقد وصف بعضهم
 معارك المهدي . وسنعرض لهذا الوصف عندما نتحدث عن شعر الحماسة .
 ووصف احدهم قبة المهدي وهو الشيخ اسماعيل عبد القادر المفتي الكردي في
 بالابيات الآتية (وقد رثي المهدي في بقى ابيات القصيدة) قال :

سمت قبة المهدي مجدا وسوددا ونبت بها الحوزاء عقدا منقدا
 وصيغ من الاكليل تاج لهماها وسال بهسا نهر المجره مزيدا

يتحدث الشاعر ههنا عن مظهر البناية التي يرقد تحتها المهدي فيقول أنها سامية . سميت بالمجد والسؤدد ، وتحلت بالكواكب عقداً منضوماً ، وشعت منها أنوار الهداية وانتشرت في الكون . يقول بعد ذلك أنها بنية مجد - بناها الحلم والتقى ، وفي هذا مدح للخليفة عبد الله الذي أمر ببنائها وللانصار الذين بنوها ، وللرجل الذي يرقد أسفلها . وهو افضل من ورث النبي صلى الله عليه وسلم ، والا فلم تكن كما قال سامية بالمجد والسؤدد متحلية بالكواكب والنجوم ، ومهما يكن من شيء فان هذا الوصف في جملة وصف لمظهر القبة ، ومعظمه مستوحى من شخصية الرجل الذي بنيت له ودفن فيها . ومن شخصية الرجل الذي أمر ببنائها واشرف عليه . اما البناية نفسها ، وما توحى به او تثيره في النفس فلم تكن مما يحفل به الشاعر او يستهوى خياله وشاعريته من قريب او من بعيد .

ملف الغزل :

لم يكن لهم شعر غزل بالمعنى المفهوم من هذا التعبير لكنهم صدروا مدائحهم بمقدمات غزلية . فقد قال الشيخ محمد عمر البذ في صدر احدى قصائده التي مدح بها « عثمان دقته »

ما بال طرفي للدموع سكوب	شوقا وقلبي للملاح طروب
ولقد فتنت وما ظفرت وربما	فتن المشوق وفاته المطلوب
انا في هوى العبد الحسن معذب	وسواي ينعم بالله ويطيب
عثمان دقته من رقي اوج العلا

وابتداً احدى مدحاته في الامير الزاكي بقوله :

ابدا يورقني عير شذاك	ويزيدني قلقا دوام جنفك
ويردني من حالة العقلا إلى	حال الخيال تذلي واباك
ويزيدني طربا وحسن مسرة	برق تألق من ضياء سنك

وقال في مطلع مدحة اخرى :

دعوني اجتنى ثمر الرقاد	وخلوني اميل إلى الوساد
الا يا حادي عيسهم رويدا	سلمت من الملمات العوادي

ويا دار الأحبة خبريني سقتك هو مع السحب الغواذي
كأن ضياء النجمه عليا أياذي الشهم عثمان الجواد

ومثل هذه المقدمات الغزلية جاءت في معظم المدائح النبوية التي نظمها شعراء هذا العهد ، فالشيخ عمر الازهرى قال في احداها :

تألق البرق من نجد فشجاني قرب البعد وهاج اليوم اشجاني
والضحك منه الترى في البرق تعرفه العشاق لم تخدع في ذلك اثنان
فان اشار بطرف العين هم حملوا او البعد فقد بانوا عن البان

وقال في ثانية :

ناد هواه وزائد خفقانه صب تفرق بالنوى اخوانه
فجرت بواذر مقلتيه لما جرى حمرا وحن إلى الوصال جنانه
قد خانه حسن التصير بعدما بانوا ووفت باليكاء اجفانه
لم يدرك قبل البين ان فؤاده رهن لمن وطيفهن رهانه

وقال في ثالثة :

فؤاد عن التبريح والوجد ما كلا على م يقول العاشقون نه كلا
وعين نجيع الدمع خدد خددا ففى اى شرع صاح تأنيها كلا
عيوني عيوني والدموع مدامعى فما لعذولي ان بكيت دعا مهلا
قفوا خبروني آل ودى عن الهوى وكيف يكون الحب حسبي به جهلا
لئن كنت فى دعوى التصابي مقصرا فقد فاق حبى للذى ختم الرسلا

انهم ينظمون هذه الابيات من الغزل فى مقدمة قصائد المدح لالانهم عشاق مقيمون بالحسنات انما هم يتبعون نهجا سار عليه الشعراء فى قديم الزمان اذ كان يصدرون قصائدهم بمقدمات غزلية ، فغزل هؤلاء الشعراء - شعراء المهدي - اتباع لسنة قديمة لا تعبير عن اعجاب بالجمال او وصف له ، ومهما يكن الحال فان غزلهم هذا تضمن شكوى الشوق والفراق ، وتباريح الوجد ، كما حكى عما يلاقيه الواجد منهم من ارق وقلق يسببهما اخفاء ، وما يجده من عذاب الصد ومرارة الحب ، وقد يعرض بعضهم إلى ما ينجم عن كل ذلك من بكاء متصل ودموع تمازجها

قطرات اندم ، تسيل فتحدث في الحدود آثرا واضحة ؛ إلى غير ذلك من خفقان القلب وذهاب الصبر ، كما أن بعضهم تحدث عن عفته في حبه ، وعن ترفعه وبعده عن الريب ، اما المحبوب ففي كل هذه الحالات عازف لاه ، لا يكاد يستجيب ، ولا نكد نحس له اثرا . كل ما هنالك هو هيام شديد الا أنه فارغ لا تجربة فيه ، فقد كان كل اولئك الشعراء فقهاء . نشأوا في اول حياتهم نشأة دينية ثم تتقنوا ثقافة دينية مازجها شيء من التصوف ، وصاروا فيما بعد رجال الدين والقضاء والشرع . ورجال العلم في البلاد ، فلم يكن من الممكن ان يزدهر او يظهر شعر غزل من انتاجهم مثل ذلك الذي عرفناه في عصور الادب المختلفة ولم يكن من الممكن ان يصدر عن سواهم لان التعليم كان محصورا فيهم . وكان تعليمنا دينيا ذا مسحة صوفية .

بعد هذا الاغراق في وصف الهيام و : انتهلك على المحبوب (١) يتخلص الشاعر إلى موضع القصيدة في براعة ظاهرة كما يتضح من النماذج التي سبقت .

شعر الحماسة :

لقد اثار ظهور المهدي المجتمع السوداني وحرك في أفراد شعورهم الوطني وعاطفتهم الدينية لان المهدي كان تقيا وورعا يدعو للإصلاح . ولانه كن قوى الشخصية شجاعا . وقد تجل ذلك في صموده امام حملات الحكومة العسكرية كالفرقة التي ارسلتها اليه في ابا . وحملاتها الدعائية كالمشورات التي اصدرتها ضده وكالرسائل التي حررها العلماء يكذبونه فيها . وبالإضافة إلى كل ذلك لم تكن الامة السودانية راضية عن الاتراك وحكمهم ، وجاء المهدي بشخصيته وتقواه وورعه وصموده ثم اعلن ابتهاد لذلك انقلب الشعب السوداني إلى مجتمع محارب وتحول لشعراء إلى قوى تعبى الشعور العام ، وانطلق الشعراء يصفون حروب المهدي . ومن ذلك قول الحسين بن الزهراء في همزته :

والله دمر من طغى وأباده حتى تولى قتله الضعفاء (٢)
ولقد تبدد جسمه برماحهم فكأنه من خلقه اشلاء

١ - الشعر الحديث في السودان ع . بدوى ٢٨٩

٢ - الشعر الحديث في السودان ع . بدوى ٣١٥

صالوا به وذويه بين حصونهم
ومنه ايضا قول البنا في نائيته :

قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم
ولباسهم سرد الحديد وبأسهم
وخلفهم صده اللروع لحزمهم
فاثرن نقع الموت في عرصاتهم
وذباب اسياف المنية فوقها
والارض سالست بالدماء وما بها
شم الجبال وللضعيف حماة (١)
شهدت به يوم اللقا الغارات
قتل الاعادى عندهم عادات
واغرن صبحا اذ علت أصوات
رعفت دما وجلأؤها الهامات
غير الجماجم والشعور نبات

ومنه ما جاء في قصيدته التي امتدح بها عثمان دقنة :

ان نوزلوا كانوا الليوث معاركا
واميرهم عثمان أهلك ملة
ان صال فالفرسان تحجم دونه
او جال في الميدان تحسب انه
او جرد السيف المهند مؤمنا
او غولبوا فعدوهم مغلوب (٢)
عدم النصير صرخها المكروب
فرق الهسالك وللسمان لعوب
اسد تفرس والرجال تشوب
لاولى القساوة فالرؤوس تجيب

ومنه ايضا قصيدة محمد بن الطاهر المجذوب التي يقول فيها :

هندوب تعرف صبرنا
وهشم تشهد عزمنا
يا طالما صلدنا بها
جيشا يرن سلاحه
كيف ارتكبنا للمصاعب
كيف ادرعنا للمصائب
صيد الغضنفر للثعالب
كالرعد اذ ما المزن صائب

ومنه كذلك ما جاء في احدى قصائد الحسين بن الزهراء :

الامر جند والخطوب جداد
مهج تققع في شتات جسومها
قضب يحرك معبد اوتارها
وجنود مهدي الورى امجاد
فكانها بنشيدها اعوان
يزهى به الانشاء والانشاد

١ - شعراء السودان ٢٧٥

٢ - نفقات الراعي ٩٣

نلاحظ ان بعض شعر الحماسة هذا يحوى وصفا للقتل . اى انه يصور لنا بعض ما حدث فى منازلة بين جنود المهدي واعدائهم وذلك كالذى جاء فى همزية الحسين بن الزهراء - الايات التى وردناها فيما مضى . كما ان بعضه يصف قوة الجند . ويصور حماسهم ويشيد ببلأهم فى ميادين القتال كالذى جاء فى تائية البنا ودالية الحسين بن الزهراء . وهذا كله نجده فى قصيدة محمد الطاهر المجذوب - : هندوب تعرف صبرنا « ففيتها اشادة بالجند لانهم صابرون ذوو عزائم قوية . وفيها ايضا وصف لمعاركهم وبلأهم فيها . وفى القصيدة كذلك اعتزاز بمواقف معينة . واعتماد واضح بقوة العزيمة والبرعة الحربية

لم ينظم شعراء هذا العهد قصائد فى الهجاء ، لكن حفظت لنا المراجع قصيدة واحدة نظمها الشيخ محمد شريف يهجو فيها المهدي ويكذب ما جاء به ، وقد وردناها فى ملاحق هذا البحث . بين الشعر فى اول قصيدته هذى بدء الصلة بينه وبين المهدي وقال ان المهدي جاءه « يروم الصراط المستقيم » ثم حدثنا بعد ذلك عن حياة المهدي وسيرته فى لفترة التى قضاها معه متتلما عليه ، ومنها انتقل إلى دعوة المهدي فقال عنها :

بصحبة شيطان من الجن آيس	وشيطان انس وافقاه على الضر (١)
ولاتنس داعي الاحتياج فتالته	وكم ساقط فى الشر من ألم الفقر
فقد ان المهدي قلت له استقم	وهذا مقام فى الطريق لمن يدرى
وخادعنى بالقول كالمهد ابنكم	ومحسوبكم فى الحب فى عالم الذر

هنا يعلن الشاعر رأيه فى الدعوة فيقول انها من وسوسة شيطان من الجن وآخر من الانس . ويقول كذلك ان الحاجة بالاضافة إلى الشياطين - دفعت المهدي لادعاء المهديا - يأخذ الشاعر بعد ذلك فى وصف ما دار بينهما من حوار فى شأن هذه الدعوة وما انتهى اليه ذلك الحوار ، يقول :

فقلت له دغ ما نويت فانه	وتالله شر قد يجر إلى الخسر
وقال له الشيطان بشر ولا تخف	فانك منصور على البر والبحر
وقد فهم القولين فهم أولى النهى	ومال إلى حب الرئاسة والبحر

ان هذه القصيدة فى جملتها تنفيذ منظوم لما كان يبشر به المهدي ، وفيها ذم لشخصه ، وهى نموذج للمعارضة التى واجهت المهدي من العلماء بايعاز من الحكومة . وقد اطال الناظم اذ اخذ يعدد بعض ما قال به المهدي واصفا اياه بانه اكاذيب ابداها .. (١) وفى ختامها حكم على المهدي « بالجهل المركب » (٢) ..

نعود بعد الذى قدما عن موضوعات شعر المهدي موضوعا موضوعا . لتناول ذلك الشعر وننظر فى مضمونه ككل فنقول انه دار حول الدين والسياسة وان معانيه هى نفس المعاني القديمة التى عبر عنها الشعراء الاقدمون ، فشاعر كالشيخ محمد عمر البنا مثلا لما اراد ان يثير حماس الجنود للقتال قال فيما قال :
والصبر عند البأس مكرمة ومقدام الرجال تنابه الوقعات

حاشا يا هم على الصبر عند الشدائد لان ذلك مما يحمد ، وحثهم ايضا على الاقدام لان الجريء المقدم يخشاه عدوه ، وترهب ملاقاته فى ساحات القتال . وكل هذا مما جاء فى شعر الاقدمين . كذلك لما اراد وصف قوتهم او متداح ثباتهم قال فى نفس القصيدة :

قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم شم الجبال وللضعيف حماة

وهذا الوصف او هذه الصفات التى يخلعها عليهم مما تعاوده شعراء العرب الاقدمون وهو يفعل ذلك بالطريقة التقريرية ولا يغوص فى المعنى ليجعل له ظلالا او يولد منه معاني أخرى . ومثل هذا كثير ، لا فى شعر محمد عمر البنا وحده بل فى شعرهم كلهم . فابراهيم شريف الدولابي مدح الخلفاء فى لقصيدة التى رثي بها المهدي بقوله :

هو ذاك عبد الله نجل محمد	وسمع اورى بالخلم والتدبير
وخليفة الفاروق نجم ثاقب	بضياته يحلوا ظلام الزور
وخليفة الكرار سيف مستضى	بالحق يقطع هام كل كفور

فالمعاني الواردة ههنا هى ايضا مما شاع فى شعر شعراء العصور المتقدمة . وفيها ايضا مبالغة بعضهم ، فالخليفة عبد الله فى اول الايات يأخذ شيئا من صفات الله

سبحانه وتعالى . وليست هذه المبالغة بغريبة على شعراء المهديّة فقد بلغوا بالمهدي نفسه درجة التقديس ، من ذلك قول البنا في تائيته :

يا سيّدا وسع الاناء بحلمه واستمطرتهم بلهدى بركات
وقد تلونت معاني شعر المهديّة بلون ثقافة شعرائها وكانت اسلامية عربية . فتراهم
احيانا يأخذون من القرآن الكريم كقول الحسين بن الزهراء :

وله الاشارة من «ألست بربكم» (١) طوعا له وليس مع العلماء
وهو يعنى بهذا ان فكرة المهديّة قديمة ازلية . من يوم (اذ اخذ ربك من بنى آدم
من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) (٢) كما يبدو
اثر القرآن واضحا جليا في أبيات محمد عمر السنا الآتية :

والعمر في الدنيا له اجل منى يقضى فليس تزيد خشيات (٣)
ان الجهاد فضيلة مريضة شهدت بمحكم اجرها الآيات

وفي قوله من نفس القصيدة :

الفخر كل الفخر بيع النفس لله العلى واجرها الجنات

وقوله :

والحور تنتظر اللقاء فرحا بهم وتزينت لتقدمهم جنات

وقوله :

فأثرن نفع الموت في عرصاتهم واغرّن صبحا اذ علت اصوات

وفي قوله :

وزجرت للبكرات دامية الخطا قد مسها نحو الحبيب لغوب

ونراهم كذلك يذكرون الرحين وتقويض الخيام في بعض قصائدهم ، كما يذكرون
لعب ايدي النوى وطى الفلا - كمثّل قول الشيخ عمر الازهرى في احدى قصائده
التي يمدح فيها النبى :

٢٠١ يشير إلى الآية ١٧٢ من سورة الاعراف

٢ - شعراء السودان ٢٧٥-٢٧٨

عجبا لربيع بالسوى لعبت به ايدى النوى فتنفرت سكونه
نادوا الرحيل وقوضوا نحيامهم والصبح قد صدع الدجى سرحدنه
يا ظاعنا يطوى الفلا رفقا فان الراكب ضل من السرى وحدانه

وكل تلك المعاني مما ورد في الشعر العربي القديم : ونلاحظ كذلك ان بعض شعراء المهديّة اخذ من الحديث الشريف لبعض قصائده كالشيخ ابي التماس احمد هاشم في احدى مدحاته حيث قال :

ان يرد الوصل منها ليزيل حرارات الجفا في كل حين
متلما الجنة حفّت بالمكاره لكن بها حور وعين

كما انه كان يلفقه اثر واضح في شعر بعضهم . كقول الشيخ عبد الغنى السلاوى في قصيدته التى مدح بها المهدي :

هلا رأيتم موجبات الصدق فيما يدعى أو ليس فيه خفاء

ومنه ايضا قول الشاعر الشيخ الحسين بن الزهراء :

اجملت فيها لا أرى اجماله حقا ولكن للامور مضاء
ومواضع التفصيل دوني شأوه لعبت بها من دوني الاهواء

ومن الحديث قول الشيخ عمر الازهرى :

ومن جنده فى الحرب ربح الصبا مع الملائك غير الهاشمى قل انفصلا
وقد صح ان المصطفى قال فى غد ستفتح حقا ثم صدقه المسولى
واذا عدنا إلى قصيدة البنا الثانية وانعمنا النظر فى بعض ابياتها نجد انه تأثر ببائية ابي تمام فى فتح عمورية :

السيف اصدق انباء من الكتب فى حده الحد بين الجد والمعب

يقول البنا :

السيف اصدق ناصح فى حقهم والفتك فيه حسنته أساة

ويقول ابو تمام :

فتح تفتح ابواب السماء له وتبرز الارض فى اثوابها القشب

ويقول البنا :

فتحت لكم فتحا ميبنا واضحا سرت به الارضون والسموت

ويقول ابو تمام :

سماجة غنيت منا العيون بها عن كل حسن بدا او منظر عجب

ويقول البنا :

فنكاية الاعداء احلى من عنا ق خريدة لعبت بها نسوت

وقد تعرضوا لبعض الافكار الصوفية لكنهم مسوها مسا رفيقا . ولم يقصروها على قصائد بعينها ولذلك وجدناها في مدح المهدي . وهذا هو ذا الشيخ الحسين بن الزهراء يذكر ، الفيض الالهي « في ابيات من احدى قصائده في مدح المهدي يقول :

بنفسى فتى بالشمس راد الضحى ازرى	ونورا يفوق النور من كان والبدرا
تبسدى لنا من ذيل آفاق غيبه	إلى ان تراءى في العلا بيننا جهرا
وما كان ذاك الغيب من فرط صوته	لذلك السنا من قلبه يظهر السرا
ولكن فيض الفضل من نفحة الرضا	جدير باعطاء المنى العبداء والحرا
وهيهات كم الغيب اشراق ضوئه	واسفار وحى فى الدجى يشرح الصدرا
ولما تبدى لى وفاض شعاعه	تذكرت من نور الهداية لى ذكرا
وامكث ان لم ألق من جانب الحمى	رفيق بروق عند ذاك الحمى دهرا
وارقب من فيض الرحيم مراحما	ونعماء من ضراء لا تنتهى حصرا

ويقول الشاعر فى نفس هذه القصيدة معبرا عن تعلقه بالانتقال إلى « العالم العلوى » :

اظل بذات الضال فى جرع رامة	اصلى بظل الضال لى الظهر والعصرا
ارى مغرب الاغيار اعتم ظلمة	فهيهاات هيهاات انتقالى ولا بدرا
اراقب نور الشمس من كوة الحمى	طوال الليالى علقى ان ارى الفجرا
اردد فى تلك الطلول على الربا	تردد ذى حاج ليدركها شهرا
وان هى لم تفتح مغلق بابها	عكفت بذاك الباب اطلبها عشرا
وامكث ان لم ألق من جانب الحمى	رفيق بروق عند ذاك الحمى دهرا

ووجدناها ايضا فى مثل هذا الابتهاال الذى نظمه محمد بن الطاهر المجذوب

متضرعا مظهرا ضعفه ازاء قوة ممدوحه :

نور بدا من قبل نشأة آدم	منه الوجود جميعه متخلق (١)
فأبو الحقيقة احمد ان رمته	وابو المجاز آدم قد حققوا
سبق الوجود جميعه في التفضل بل	في الحشر ايضا قد يسود ويسبق
وهو المير اذا القيامة اظلمت	وهو الشفيع اذا الرؤوس تطرق
وهو الشجاع اذا العدا قد اقيمت	وهو الجواد اذا الورى يتضيق
يا سيدى انى مدحتك قاصدا	من فيض جاهلك اننى قد اعتق

وهناك ما يدل على تأثرهم بفلسفة الاقدمين كشارة الشيخ الحسين بن الزهراء الى ما قاله ابن سينا عن النفس ، وذلك قى همزيته الشهيرة بقوله :

عاش ابن سينا جهده اوصافها	بشفائه فاذا هي العنقاء
دقت ورق وارتقت فى سكرة	بلمى شفاف دونه الصهباء
كيف التوصل والقوى نهت السرى	اذ مسها من ضعفها الاعياء
فتزلت حاجاتها فى سوح من	بمحوهم تنزل الضعفاء
وتركتها وكفى لقاي مرة	اذ لايدوم مع الرمان لقاء
تلك التى جهد الزمان لوصولها	وله بذلك غمودة ومساء
حتى بالضاف المهيم مكنى	اغراضه منها يد يبيضاء

وسواء اكان مراد الشاعر من اياته هذى ان يربط ما قاله ابن سينا بفكرة المهدية (٢) أو ، ان يقول ان النفس كانت حائرة ضالة عزّ فهمها على ابن سينا وغيره من الفلاسفة ، وانما ما تزال تجاهد والقوى المادية تحول بينها وبين غاياتها الروحية السامية حتى لطف الله فوصلها بالمهدى فبلغها ما تريد (٣) فان الابيات تشهد لنا باثر الاقدمين وثقافتهم فى معاني شعراء المهدية ، وغير هذه الابيات كثير مما يشبّه هذا ، ومما يدل على انهم اغترفوا من تلك البحار الزاخرة ، الا اننا نقول ان معانيهم مع انها قديمة ، فانها ليست « معاني مستعملة قد فقدت معناها » لاننا نجد فيها ما كان

١ - تاريخ الثقافة العربية - عابدين ١٩٥

٢ - الشعر الحديث فى السودان ع . بلوى ٢٨٢

٣ - الشعر السوداني فى المارك السياسية مم على ١٨٢

عليه اولئك الشعراء من علم . ومن حماس لافكارهم وغيره على دينهم . واحيان
يدل بعض تلك المعاني على ما كان يخالج الانفس كبعض قصائد الشيخ الحسين
بن الزهراء بابيائها الغامضة . وبعض ابيات البنا في الثانية التي عبر بها عن استيائه
عما في الخرطوم ، وعلى ايه حال فاننا نرى بل نعتقد ان القارئ المتخصص أو
المثقف لا يعمل قراءتها لانها وان كانت متأثرة بتقديم الانها لا تخلو من لمحات
تكشف عن الشعراء وعن البيئة السودانية في ذلك العهد وتدل على خلق اصيل في
اهل السودان الا وهو التعلق بالتراث والاعتزاز به . ومنها نعرف ان البيئة السودانية
بصفة عامة كانت بيئة متدينة . للتصوف فيها سلطان قوى . وقد وضع اثر الدين
والتصوف في الشعر لان الشعراء كانوا من رجال الدين . بل كانوا فقهاء . اساس
ثقافتهم القرآن الكريم والاحاديث النبوية ، وقد اضمحوا إلى ذلك ، درسوه من
الفقه وفروع الدراسات الدينية الاخرى . وقف هؤلاء الشعراء بجانب المهدي
يؤيدون دعوته ويدلون على صحة مهاديته في قصائد المدح وقصائد الرثاء ووصف
وبما ان هذه الدعوة دينية وصاحبها زاهد تقى ورع فقد زهد هذا من الاثر الديني
في معاني اولئك الشعراء كما رأينا في الامثلة المتقدمة . وقد صبغ هذا التأييد المعاني
أو القصائد بصفة عامة مدحا كانت أو رثاء أو غير ذلك بل بصبغة سياسية لانهم
كانوا يذمون خصوم المهدي ويعيبون على الترك أساليب حكمهم . كقول الحسين
بن الزهراء :

والله دمر من طغى واباده حتى تولى قتله الضعفاء

وكقول الشيخ محمد عمر البنا :

ورهبتم العليج الكفور بسيفكم والدين تصلح شأنه الرهبت

.....

فانهض إلى الخرطوم ان بسوحي اهل الغواية والمناسد ناتو

بطروا وراءوا ثم صدوا معشر في الله لم تعرف لهم رغبات

وتكبروا وعتوا عتوا فائقا والله اكبر والسيوف عبادة

وكما كان للمهدي شعراء يواجهون خصومه كذلك كان للحكومة شعراء
واجهوا المهدي بالهجاء والتكذيب ، ويكفي من ذلك ما جاء في قصيدة الشيخ

لقد جاءني في عام زع «الموضع على جبل السلطان في شاطئ البحر» (١) والعجيب ان هذه القصيدة التي نظمت لتقليل من شأن المهدي وتكذيب دعوته بايعر من حكومة حوت وصفا مفصلا لمظلم الاثراك التي رفض الناس من أجلها حكمهم ، وهذا هو الوصف :

وما أبت السودان حكم حكومة إلى ان أتى ضعف المطالب من مصر
فكالثلث واتلزين للمير وحده ولشيخ والنظار اضعافه فادر
بضرب شديد ثم كتف مؤلم ومن بعده الالقاف في الشمس والحر
واوتاد ذى الاوتد من بعض فعلهم واشنع من ذا كله عمل المر

ان ما قلده عن معاني شعر المهدي يمكن ان يحدد ولو بصفة عامة نوع اخيلة ذلك الشعر ، فلمعاني كما بينا قديمة أو سائرة في نهج القديم فالشجاعة تقرر دائما وابدا بالاسد . وانبت يمثل في كثير من الحالات بالجبال الشامخ ، والقصاحة وبيان يقاسان بمقياس اهل العصور الماضية ، وثقافة العصر وعلمه يشدان شاعر المهدي اليهما شدة ويحكمان وثاقه فلا يستطيع ان ينطلق ويجوس في رحاب البيئة السودانية ليتكرر أو يحدد تلك المعاني القديمة التي تتعلق بها ويشغف باصحابها . فهل يمكن مع هذا ان تكون خيلة شعراء المهدي من النوع المجدد ، انها لم تكن كذلك . كان الخيال في شعر كل منهم خيالا مقلدا ، ولم يكن الخيال ليتسع أو يعمق ليصور لنا بعض التجارب الشخصية ، فحياة شاعر كالشيخ الحسين بن لزهراء الذي نشأ في احدى قرى ارض الجزيرة بلد الزراعة والاختصار ويجرى النيل الأزرق لعاني لم تبرز لنا ، بل لم يلح لنا من بعيد شيء عنها . اننا نعلم ان هذا الشاعر هاجر إلى مصر وعاش فيها فترة من الزمن . لكن شعره لم يسجل أى حدث من الاحداث . مع ان الرحلة في ذلك الزمن وبذلك الوسائل رحلة شاقة لان الطريق طويل ، ومشيرة لتعدد البقاع أو الاماكن التي يجتازها المسافر . ثم اقامته في مصر مغربا عن أهله . ومصر لم فيها تكون مجتمعا فريدا اذا قيست بالبلدان التي عرفها الشاعر أو رآها او عاش فيها . لقد اكتنف تلك الإقامة جو اجتماعي خاص كما

إنها تمت في جو طبيعي مختلف عن جو موطن الشاعر . إلا أن ذلك كله لم يترك أثرا ونو يسيرا فيما وصل اليها من شعر الشيخ الحسن . ألم يلتفت الشاعر أو لم يثر اهتمامه أى شيء من كل لدى ذكرنا . لم يقع له أى حادث طريف ؟ وشاعر مثل الشيخ محمد عمر البنا ولد في مدينة رفاعه الواقعة على ضفة النيل الأزرق الشرقية وهي مدينة زراعية تحيط بها اراض خصبة شاسعة يملكها الاهلون ويستغلون بزراعتها بعد هطول الامطار في فصل الصيف . وموسم الزراعة المطرية فترة محببة لسكان تلك المدينة لان الحركة تنتشر في مجتمع المدينة ، الساعة يحضرون البذور الجيدة و الخدادون يحضرون آلات الخفر والحرف والتنظيف والنساء والخدم في داخل المنزل يعدون اواني المياه والطعام . والرجال يحنون العمال الزراعيين من اولادهم واقاربهم وأهدهم أو من الاجراء ويشرفون على تزويدهم بالآلات ونقلهم إلى مناطق الزراعة واعادتهم . وهكذا تنبض رفاعه حركة وحيوية إلى أن تحيط بها الخضرة - خضرة سيقان الذرة ثم يأتي الحصاد لينشغل الناس أكثر وأكثر ، ولقد ظلت هذه المدينة هكذا منذ فجر تاريخها . تعنى بالزراعة المطرية وتحتفل بها كما تعنى بزراعة الشواطى بعد أن يغمرها نهر النيل في زمن الفيضان وينحسر عنها . هذه البيئة الزراعية هي مسقط رأس لشاعر محمد عمر البنا لكننا نبحث عنها في شعره فلا نجدها ، ولا نجد تجربة من تجربته أو تجارب غيره فيما بين ايدينا من شعر . سافر الشاعر ايضا إلى مصر واقام هناك لكن شعره لم يرو لنا عن رحلته إلى مصر أو عن اقامته أو علاقاته الاجتماعية فيها .

ان كل الذى ذكرنا حافظ بالصور الحية . ويمكن ان يكون كله أو بعضه مثيرا للخيال . محركا للشاعرية . كما يمكن أو يحوى كله أو بعضه كثيرا من التجارب الشخصية والاحداث العامة او الفردية . لكن خيال هذين الشاعرين لم يكن من النوع الذى يمتد او يغوص لبيتنگر . لم يكن كما قلنا من قبل من النوع المجدد بل كان مقلدا . وما قلناه عن هذين الشاعرين يصدق على شعراء المهديين الآخرين ، فكل منهم عاش في بيئة ذات سمات اجتماعية وطبيعية خاصة . وكل منهم خاض تجارب شخصية وشهد حدثا فرديا واحداثا جماعية معينة لكنهم لم يتركوا لنا صورةا لشيء من ذلك في شعرهم ومهما يك من شيء فاننا نجد من الصور

الشعرية عامة قدرا يسيرا يتمثل في قول الحسين بن الزهراء حين اعلن في مطلع
همزيته عن الابتهاج بظهور المهدي حث قال :

والشمس في اوج العلا من مغرب	بهرت عليها هيبة وبهاء
وبلبدر قابلهما فتم كماله	ونقادت بعقودها الجوزاء
ودرر افلاك العلا درات على	اقطابها فزهت بها العلياء
وتكملت في كل مجد ابجد	لما استقام زمانها الاشياء
ما ان ترى الا جميلا زاهرا	بهرت في حلال البها زهراء

وهذه الصور كلها مفردة اعتمد الشاعر في تركيبها على الاستعارة وبعضها غامض
لا يتضح للقارىء وان تمهل وانعم النظر ، وفي قوله من نفس القصيدة :

وسموا خراطيم الشقا بحوازم	بيض بكت آثارها بيضاء ^(١)
نوح الحمم ^(٢) تنوح غير موسد	بعد الوساد وعينها وسناء
تنشاق بعد عير عير مسكها	رمم الانام وذا التراب وطاء
وبنت آرام ترامت من ذرى	اوج العلا ما عندهن غطاء

نرى في هذه الاييت الاربعة صوراً مفردة قوامها الاستعارة ، وفي بعضها ايضا
غموض يضيق به القارىء أو يحار فيه ، ونجد كذلك شيئا من هذه الصور المفردة التي
تعتمد على الاستعارة والتشبيه في نائية محمد عمر البنا ، وذلك كقوله : (١)

والخيل ترقص باكمادة كأنها	تختال في ميدانها فتيات
فأثرن نقع الموت في عرصاتهم	واغررن صبحا اذ علت اصوات
وذباب اسياف المنية فوقها	رعفت دما وجلأؤها الهامات
والارض سالت بالدماء وما بها	غير الجماجم والشعور نبات

ومن الصور المفردة التي تقوم على الاستعارة قول البنا في بائته التي مدح
بها عثمان دقنة :

والدين اصبح ضاحكا في ثغرهم والشرك حل بربعه التخريب

١ - شعراء السودان ١١ - ١٢

٢ - لعله يريد « نواح »

بعثت لهم همم الجهاد ملابس
فلطأ عين الشريعة اسهرت
النصر العزيز يزيده التصويب
ذلا وذرف دمعه المصبوب
.....

يتفجر العرفان من اسراره
لرئدين ومن اليه يؤوب

ومنها ايضا ماجاء فى مريثة الشيخ ابراهيم شريف الدولاي :

ومن اهتدى بهده اصبح داخلا
وتفيض بالجلود الكثير يمينه
سور ارضى اعظم به من سور
ابدا بلا من ولا تكدير
واذا توارت في الثرى شمس الهدى
فهناك سر هدى عظيم النور

احيانا نجد في شعر المهدية صوراً مفردة قوامها التشبيه ، ويتمثل هذا في قول الشيخ
ابراهيم شريف الدولاي في مريثته :

طلق المحيا خاشعا متواضعا
كهف الفقير وجابر المكسور

وخليفة الفاروق نجم ثاقب
وخليفة الكرار سيف منتضى
بصائه يحلو ظلام الزور
بالحق يقطع هام كل كفور

ويتمثل ايضا في احدى قصائد الشيخ عمر الازهرى التى مدح بها النبى صلى الله
عليه وسلم ، حيث قال :

بحر الصف ذاك المصنفى من مصاص
شية الحمد غدا جثمانه

وكذلك فى قصيدة أخرى من قصائده :

اذا ضل عقلى فى ظلام شعوره
وحبى له لم يخف فى الكون امره
هداني محيا منه مصباح راهب
كحب العلا مصباح افق الجواب

ونجد امثلة أخرى للصور المفردة القائمة على تشبيهه فى شعر الشيخ محمد عمر البنا
ومن ذلك :

متواصل الاحزان ألجأ للبكا
ان نورلوا كانوا الليوث معاركا
سهر الجفون كاننى يعقوب
او غولوا فعدوهم مغلوب

ما ضر عثمان خزيبر خا انتقى من بعدما اسداه قط عصيب

وكقوله ايضا في احدى مدحاته :

كأن ضياء انجمه علينا يادى الشهم عثمان الحواد

ومن الامثلة ايضا قول الشيخ الحسين بن الزهراء :

عماد الهدى اس اخدى معدم العدا يد وانيه الناس في الارض نجع
مالك ساطين الخلافة كتموها المعد خد الحصن الخصمين الممنع

ادرت سراج الفكر في فم خاطري فله اتق من فيه الكمال مجمع
وفي احدى قصائد محمد الطاهر المجذوب نجد امثلة للصور المعقدة التي رسمها
الشاعر بالتشبيه ، قال :

يا طالما صلدنا بها صيد الغضنفر للثعالب
جيشا يرن سلاحه كالرعد اذا ما المزن صائب

بالمشرف في كائنه وقع الصواعق في المضارب

ونثر في ارجائها كاللث اذ نشب المخاب

فتجاذبتهم خيلنا ترمى بهم رمى الثواقب

ان الامثلة على هذا الذي ذكرنا من الصور المعقدة التي تعتمد على الاستعارة والتشبيه
كثيرة في شعر المهدي لا تكاد تخلو منها قصيدة لاسيما صور الاستعارة . لكننا على
اية حال نرى ان شعراء المهدي خطوطا بالشعر العربي الفصيح خطوات فاق بها ما قبل
في العهدين السابقين - عهد الفونج والعهد التركي ، فاذا انعمنا النظر في معاني
محمد عمر ابنا والحسين بن الزهراء ومحمد الطاهر المجذوب ، و . قسناها بما نظم ،
في دينك العهدين فاننا نجد فيها م . (١) ، ومصدق ذلك نجده فيما

قاله البند عن معارك الانصار وجهادهم فى تائيته . وما قاله الحسين عن « النفس »
 والمهدية فى همزيته . وفيما تكشف عنه بائية محمد الطاهر المجذوب (هندوب
 تعرف صبرنا) من اعتداد وحماس واعتزاز . كما اننا نحس شيئا من حرارة
 العاطفة فى بعض مرثي المهدى . ولا نجد تلك الحرارة أو نحس شيئا مثلها فى مرثي
 دينكم العهدين . الا ان هؤلاء الشعراء . مع انهم خطوا بالشعر خطوات فاق بها
 ما نظمته الشعراء الذين سبقوهم . قصروا فى حق مجتمعهم اذ لم تحظ بيناتهم الخاصة
 أو العامة بتسجيل شىء من ظواهرها أو حوادثها فى شعرهم ، ولم تجد الصلات
 الشخصية أو العلاقات الانسانية مجالا فيما نظموا من شعر ، لذا خلا شعرهم من
 « ملامح الشعب هذه الملامح الحقيقية التى كن يجب ان تتضح وتظهر (١) » ولم

المبرر بهتت عرض ذلك الشعر لآلام وآمال المجتمع السوداني .
 ان شعراء المهديه جميعهم عنوا باوزان قصائدهم عناية فائقة فيما يبدو اذ
 جاءت تلك القصائد فى مجموعها سليمة الوزن مطابقة للقواعد العروضية المعروفة
 كما جاءت سليمة القافية . ولحرصهم الشديد على صحة الوزن والقافية اضطر بعضهم
 احيانا إلى الحشو لاقامة الوزن كقول الشيخ الحسين ابن الزهراء :

اظل بذات الضال فى جرع رامة أصلى بذات الضال لى الظهرو العصر
 فليس هنالك ما يدعو للجار والمجرور « لى » لان الفعل « اصلى » يتعدى مباشرة
 فيقال « اصلى بذات الضال الظهر والعصر » والمعنى يستقيم تماما . الا ان الوزن
 لا يستقيم بغير الجار والمجرور ولذا اضطر الشاعر لاقحامه ولعل مرد ذلك إلى سلطان
 اللغة العامية السودانية . اذ كثيرا ما نستعمل فى حديثنا الجار والمجرور « لى » بعد
 الفعل المسند المتكلم او المخاطب . فى شعر محمد بن الطاهر المجذوب شىء قريب
 من هذا فهو يعدى الفعل بحرف الجر والمعنى لأ يقتضى حرف الجر لانه يستقيم بغيره
 غير ان الوزن يضطر الشاعر للاثيان باللام وذلك فى قوله :

هندوب تعرف صبرنا كيف ارتكبنا للمصاعب

باطلما صدنا بها صيد الغصنفر للثعالب

نحى .. بين الله بسل فى شأنه تلقى المصاعب

حيث استعمل لام البحر بعد متعدي ثلاث مرات اذ قال : تركبنا للمصاعب والفعل هنا يتعدى مباشرة فيقال : اتركب المصاعب . وقال ايضا : صيد العصفور للثعالب . والمصدر ههنا يتعدى كفعله فيقال : صاد العنقض للثعالب . او فى حالة استعمال استعمال المصدر : صيد العنقض للثعالب . كذاك الفعل نحى . اذ يقال : نحى دين الله . دون حاجة الى لام البحر لكن الشاعر يعرف ان نورن سيحتل اذا عدى الفعل مباشرة لذلك جاء باللام بعده ليسلم له الورن كما سلمه فى البيتين السابقين . وقد فعل مثل هذا عمر الازهرى فى قوله :

نادوا الرحيل وقوضوا الخيامهم والصبح قد صدى الدحى سر حده
فعدى قوض « باللام » وقوله : و

واذا وعى لكتابه يلقى غدا معه كتاب منك فيه امانه
حيث عدى الفعل وعى « باللام » ولاستقامة الوزن لاند من ضم اندال فى « نادوا » مع أن الفعل معتل بالالف .
اننا نجد شيئا من ذلك فى قصيدة عبد الغنى السلاوى الحمزية التى رفعها للمهدى .
قال :

✓ الله أكبر لا ارباب داميه والجاحدون له دن اعداءه
فجاء بالجار بعد اسم فاعل ينصب لمفعول مباشرة كفعله . فقال الجاحدون به .
بدلا عن : اجاحدوه وقد اضطر لذلك لاقامة الورن . كما اقحم الشاعر الجار والمجرور . لى : فى بيت من ابيات القصيدة نفسها حيث قال :

ان الزمان هو المحول صرعتى ويدي لدفع اذاه لى شلاء
والمعنى لا يحتاج اليهما . بل انه ليستقيم اذا قيل « ويدي لدفع اذاه شلاء » بالاستغناء
عنهما تماما . وهذا يعنى انهما حشو أو زيادة اريد بها اقامة الوزن ليس غير .
ولعل الشاعر كرميله الحسين ابن الزهراء لم يستطيع التخلص من سلطان اللغة العامية

نسودانية التي يكثر فيها استعمال « لى » بمعنى « نذبة عنى » و « من اجل » بعد الفعل المسند إلى المخاطب ، ومهما يك من شىء فان هذا الاستعمال فى أية صورة من صورته ، أو اية حالة من حالاته يكشف ضعفا فى النظم لكن النحاة استثنوا حالات تأتي فيها اللام بعد المتعدى كقوله تعالى : « الذين لهم يرهبون » ويسمونهم لام التقوية . ومن الوزن غير السليم قول عمر الازهرى :

وليس له وقت ولا آخر يرتجى ولا أول حتى تظن الخوى سهلا

ان الشيخ الحسين بن الزهراء - رغما عن علمه ومقدرته - وقع فى خطأ ، نحوى ظاهر لا يغتفر مثله ولا يفسر الا بحرص الشاعر على قافيته . وقد جاء هذا الخطأ فى قوله :

وهى وجاد على الانام بما ترى من غيثه الهامى عميم سماء

حيث تقضى قواعد النحو بن تكون كلمة « سماء » مجرورة بالاضافة بالكسرة الظاهرة ونحن نعلم ان قافية هذه القصيدة مضمومة .

بحرح الخفا ما الحق فيه خفاء وتوالت الآيات والالباء (١)

ولذلك اضطر الشاعر إلى ان يرفع المجرور كما يضطر القارىء ، ليستقيم القافية والا كان اقواء

من الاخطاء النحوية ايضا ما وجدناه فى احدى قصائد الشاعر محمد عمر البنا حيث قال فى البائية :

قد سلمته يد النواثب فائننت جدلانة بوداده وتطيب

اد ربط الجملة الحالية (تطيب) وهى مبدؤة بمضارع مثبت ، ربطها بالواو وهذا يخالف قواعد النحو . اما ، جدلانة فعلها تصح فى لغة بعضهم غير أن القياس « جدلى » وفى قوله منها :

لا شك ان الله اكرم ذا الفتى واقامه للدين نعم رقيب

برفع مخصوص نعم « رقيب » وهو اسم نكرة . وقواعد النحو تقضى بان يجب منصوبا فى هذه الحالة فنقول « رقبيا » ولم تخل قصائد الشيخ عمر الازهرى من

بعض الاخطاء النحوية فتراه يقول فى احداها :

وبعد ذا ملأته حكمة وكذا علما وسرا خنيا كان رباني^(١)

رافعا « رباني » ومن حقها ان تكون منصوبة خبرا لكان ، ولا يمكن ان نطن ان الشاعر اعتر كان فى هذا التركيب تامة . يقول الشاعر نفسه فى قصيدة أخرى :

والظبية اشتكت الوناق فحلها واتى البعير له بحر جرانه
ولام معبد آية رحلت بها من كل حى يفتى هتيانه^(٢)

والقصيدة التى أخذنا منها هذين البيتين مضمومة القافية ، لكن جرانه « مفعول به منصوب بالفتحة . ولا يمكن ان تكون مرفوعة الا اذا تعسقا وبنينا الفعل قبلها للمجهول ، اما فتياه « فهى مجرورة بالاضافة . ولا سبيل إلى ضم آخرها الا اذا اقوينا . وفى قصيدة الشيخ عبد الغنى السلاوى نجد هذا الخط النحوى فى البيت :

آياته نسجت بمحكم ناسج ولواؤه بالنصر نعم اسواء^(٣)

حيث جاء بمخصوص نعم مرفوعا وهو نكرة :

فى بعض قصائد المهدية اخطاء لغوية منها ما نجده فى قصيدة عبد الغنى السلاوى سادقة الذكر فقد جمع « كافر » على كفراء فى البيت :

ما هديه غير الكتساب وسنة والتاركون لذكاء هم كفراء

واستعمل فى القصيدة نفسها كلمة « اعواء » . ولنا نعرف من هذه المواد لا عوى - يعوى - عواء . والبيت الذى وردت فيه هذه الكلمة هو :

بل مقصدى نظر بعين رضائه عنى وان لى فى الهواء اعواء

والبيت مع هذا مكسور مما يحملنا على الاعتقاد بأن خطأ مطبعيا قد وقع فيه . وأنه يجب ان يقرأ هكذا :

..... عنى وان لى فى الهواء عواء

ليستقيم الوزن ويزول الخطأ اللغوى :

١ - شعراء السودان ٢٥١

٢ - شعراء السودان ٢٥٤

٣ - نقشات اليراع ٨١ .

من اخطاء اللغة يض، انجاء إلى الالتظ العامة كما فعل الشيخ الحسين بن الزهراء عندما قال في رائيته :

وعايت فيه كل صعب وسهل فما شرحت نك المعادة لي صبراً

فكلمة « سهل » اي وزن فاعل من سهل ، كلمة لا تعرفها اللغة الفصحى . انما هي عامية ليس غير . وروده في شعر فصيح خطأ لغوي لا شك فيه . وربما يكون من الخطأ اللغوي ايضا استعمال كلمات لا يتضح المراد منها وتتعذر معرفتها مثل ذلك كلمة مات في قول محمد عمر البها في التائية الشهيرة :

قومو لهم وتأهبوا لقتالهم ولتقصمهم في الديار أمات

ومثله ايضا الفعل « اردد » في بيت من احدي قصائد الحسين ابن الزهراء وهو :

ردد في تلك الطلول على الرفي تردد ذى حاج ليدر كها شهرا

ان سياق المعنى وللنظ يقتضي ان يكون الفعل « اتردد » لكن كيف اباح الشاعر لنفسه ان يحذف التاء ولا يوجد ههنا ما يبيح هذا الحذف وعليه فيكون هذا الذي وقع فيه الشاعر خطأ لغوياً لان سياق المعنى والنمط لا يقبل غير : اتردد ، اما اردد أو اردد فلا تفسد ان نوزن ولكنهما لا تنسجمان مع المعنى العام إلى حد ما .

ههناك ظاهرة أخرى اتسم بها شكل الشعر في المهدية . وهي ظاهرة قصر الممدود . وهي وان كانت من الضرورات المباحة في الشعر الا ان كثرتها لا تحمد . وكثرة اللجوء إلى اية ضرورة من الضرورات تدل على الضعف . وهذا هي دى بعض امثلة . في شعر الشيخ حسين نحد قصر الممدود في الحمزية :

برح الخفا ما الحق فيه خفاء

فغداها يختال في حلال البها

رسم ترقرق بالسنا فله الهنا

وسموا خراطيم الشقا

على القلوب ذوى الذكا

اهل الولاية والصفى الامراء

انعم بامر كان من جد القضا

.....
وسمت له رثب الولاء على السما
يضل بها الحرث عن ساحة الزهرا
..... واسمعت
خطوب الليالي ذا الندى لبني الغبرا
.....
من الذل يا بن العز يعزى إلى زهرا

أما الشاعر محمد عمر البنا فقد جاء في شعره من قصر الممدود :

شهدت به يوم اللقا الغارات
والحور تنتظر اللقا فرحا بهم
وتعمرت بثناكم الايات

.....
متواصل الاحزان الجأ للبكا
ويردني من حالة العقلا إلى

والشيخ عبد الغنى السلاوى قصر فى المواضع الآتية :

وسمت به فوق السما علياء (١)
لاعين النظرا له اضواء

وقد كان مد القصور قليلا جدا . ولم نجد له الا مثالين فقط واحد فى شعر الحسين
ابن الزهراء وفى الهمزية على وجه التحديد وهو :
ظهر الهدى وانجاب عنه قذاء

والآخر فى قصيدة عبد الغنى السلاوى وهو :

مهدي الورى من فاض عنه هداء

ومما اتم به شعر المهديّة الزخرف اللفظى - أى المحسنات البديعية . فالشيخ الحسين
ابن الزهراء استعمل الجناس بنوعيه الناقص والتاء . وجاء منه فى هجزيته :

ولها عليه من الثناء سناء

رسم ترقرق بالسنا فله الهنا

طرحتها تحف الكلام فنوعت تحف لملاء وهجها ادلاء
واذا نسيمات الصبا دعت الصبا
دقت ورقت وارتقت في سكره
تخط خط النار تعرف خط من
هم كالتجوم هدى وفي الجدوى ندى
ما حالهم ما بالهم لم يسمعوا
ما ان ترى الا جميلا زاهرا بهرته في حلل البها زهراء
وقد جاء منه في الدالية ايضا :

يزهى به الانشاء والانشاد
بخطوبه تخطوبها الآساد
وعيونها مغضوضة بعيونها
يوما ولا نوما يرادسها

وفي العينية :

قصور وحوور والخبور ونعمة
وما لذ في عيني وقلبي وقبابي
الذى فلم يذهب بدائي لمذهب
وما لآمال وخير منوع
الحس واحسان انه اتضرع
شفائي ولم يجمع شتائي مجمع

وفي الرائية :

افى الحشر بعد النشر انت منازل
خذوا من من التبريح ذاب مفارقا
نهاية اعقال العقول معاقل

الم يخل شعر الشيخ الحسين من المحسنات المعنوية فقد رأينا يطابق في الهمزية ويقول :

يعطى ويمنع من يرى ويشاء
فعلوا وما فعلوا ولكن لا بهم رام بهم بذلك سخاء
من يحفظ التبريل من يدري الذى فيه ومن لم يدرك ذلك سواء
ويرى القبيح بداية ونهاية

..... وطورا شدة ورخاء

ويطابق ايضا فى الرائية فيقول :

ايادى عرف لا يرى بعدها نكرا

من الذل يابن العز يعزى إلى زهرا

..... وليس من الدنيا يعد ولا الاخرى

حيانا يميل الشيخ الحسين إلى تكرار بعض الفاظ نعيها . كما تتكرر بعض الحروف فى ابيات متفرقة من قصائده . وهو بهذا التكرار اشاع فى قصائده تلك الموسيقى (١) اللفظية التى تقوم على تكرار اللفظة . فمن تكراره الالفاظ قوله فى الهمزية :

والداء داء والدواء دواء

والارض ارض والسماء سماء

ويرد اشكال الامور اشكلها

علماء امة احمد ناستدتكم ردوا جسواي انكم علماء

ارضى وترضون الضلال بعدما ظهر لهدى وانجاب عنه قنداء

أنكون دون الدون من بين الورى-

انا عبيد عبد استعيف بدمتى

هم و ندى برأ نورى هم لاسوى كل نهرس هم سواى فداء

خفص عليك فلنحطوب ترسل طور وطورا شدة ورخاء

وفى لدالية .

نزلو بجرعاء خمي من حجر فبست لهم من حجر ازواد

..... ما بعد طيف خيال ظل خيالها

فاحبر بنمسك خل اخبار الورى واثراد خل ولا يعقك بعداد

..... انقى نقى ما عليه سموا

وفى العينية :

اه ابرق فى شطر العقيق ولعلم فهاجك يا هذا العقيق ونعسع

وكل بطل ذى هموم موجه

وفى رائية :

ونورا يفوق النور من كان والبدر

اصلى بظل الضال لى الظهر والعصر	اظل بذات الضال فى جسر رامة
فهيهات هيهات انتقالى ولا بدرا
رفيق بروق عند ذاك الحمى دهر	وامكث ان لم ألق من جانب الحمى
لنا بعد ذاك السير من احد خبر	سبرقا بها بجر المعاني فلم نجد
.....	ألا ليت ذاك السير ما كان حاصلا
من الامر لا ترفع بامر ترى امرا	فعرش هكذا ما هكذا غير ماتري
فما رمت امرا قط لى يسر الامرا	وسيرت نهج السير مع كل شاحب
.....	ودونى ودون الملتقى كل شاهق

ومن تكراره الحروف قوله فى الابيات الآتية من دليته حيث ترد الجيم فى البيت
لاول اربع مرات وبندل خمس مرات . وفى البيت الثانى ترد الجيم ثلاث مرات
وفى الاخير مرتين :

وجنود مهدي الورى اجماد	الامر جد والخطوب جداد
فبدت لهم من حاجر ازواد	نزلوا بجرعاء الحمى من حاجر
فكأنها بنشيدها اعواد	منهج تقفع فى شتات جسومها

كما تكررت القاف خمس مرات فى البيت :

اقضى المقالة فيه حق كله انقى نقى ما عليه سواد

وثلاث مرات فى البيت :

الحق جاء وللمناكر قاتل وعلى الفعال ممزاد

وفى عينيه تكررت الكاف ثلاث مرات فى شطر من بيت :

كذا فليكن من شاء اعلى مكانته

وفى الرائية كرر الضاد ثلاث مرات فى شطر من بيت ايضا :

ولكن فيض الفضل من نعمة الرضا

أما الشيخ عمر الارهرى فقد حضرت قصائده التى وقفنا عليها بالجلوس .
ولعله أكثرهم استعمالا لهذا الضرب من التحسين اللفظى . ومن ذلك قوله :

تألق البرق من نجد فاشجاني قرب البعاد وهاج اليوم اشجاني
فان اشار بطرف العين هم حملوا او انسان فقد بانوا عن البعاد

هاجوا وماجوا كأن قامت قيامتهم
وبعد ذا قيل اموا بالجزع ثم ولا علم ولا علم عن جهنم ثانى
فصرت أحير من ضب واذهل من صب عدمت الذى فى الحب يلحاني

مستفتيا جئت فتيانا فتننت بهم فما فتى فات بي عنهن افتساني
وحسن ظنى بسكان العذيب فمذ وردت ماء العذيب العذب اظماني

وكم اطلت وقوفى بالهضاب وكم سفحت بالسفح عنهم دمعى القاني
..... غاضت فغاظت جميع القاصى والداني

وهو الذى حارت البحور مر تبه

..... غدا القصور قصارى كل انسان

ومنه ايضا ما جاء فى قصيدة أخرى من قصائده :

عجبا لربيع بالالوى لعبت به ابدى النوى فتفرقت سـكانه
..... الا وخـدد خـداه هـتانه

..... افتى فتاك بذاك او شيطانه

لولاه ما كان الوجود ولم يكن ملك ولا ملك ولا اعوانه

ونجسا نجى الطور موسى باسم

..... قد سسه فى فرسه ساسانه

..... وقصارى قيصر انه قد قصرت

..... ومجى سراقه لاسراق السمع

خضعت لغزته الطعنة فاصبحوا لم يغن كلا منهم طغيانه
كما جاء فى قصيدة ثالثة قدر غير يسير من الجناس فى الايات :

فؤاد عن اتبريح والوحيد ما كلا علام يقول العاذلون له كلا

..... عيوني عيوني والدموع مدامعى

فقالوا الهدى او هى من الوهم يافتى

..... محمد المحمود فى الارض سيرة

فمن لم يجب بالنار يصلى وان صلي

حيمه حدمات خمى بمغارة وحاكت تحاكى العناكب جانقلا

وناهيك شق البدر حتى رآه من بمكة او من كان بالحل قد حلا

..... وقد زاد طغيانا ابو مجهل جهلا

نظير نضير فى الشقاء قريظة ويا بدر بدرا ما رأوا مثلها مثلا

..... بخفى حين ماء جيش حين

..... ليوم الفصل صل سبى وصلا

ولم تخلص من المجاسة تلك القصيدة التى نظمها الشيخ عمر و حار بها جائزة مجلة
الجوائب فقد بدأها بقوله :

سلوا عن فؤادى مسيلات الذوائب فقد ضاع من بين القلوب الذوائب
وجانس فى ايات أخرى منها حيث قال :

رقيق رحيق خصره ورضابه

أما وعيون العين لاشيء في الدني

هذا وقد طابق الشيخ عمر مرات قليلة في أبيات متفرقة نذكر منها :
غاضت فغاظت جميع القاصي والداني

فان شئت عز الازال مجسدا لدى اهل هذه الفن مت دلا

ان الشعراء الآخرين . وهم الشيخ محمد عمر ابنا ومحمد لطاهر المجذوب
وابراهيم شريف الدولابي واسماعيل عبد القادر المفتي الكردي وعبد الغني السلاوي
لم يلجأوا إلى التحسين اللفظي الا في التليل النادر . ولعلمهم لم يلجأوا اليه بل حاء
وليد الطبع أو الفطرة البسيطة . ولذا حاء قليلا نادرا . وجاء بسيطا في نفس الوقت
تقبله النفس ولا ينفر منه الذوق لانه فيما نرى يسجج في التركيب اللفظي العام
ويقوى المعنى وها هي ذى بعض امثلة نختارها من شعرهم وبدأ بابراهيم شريف
الدولابي في مرثيته واياتها تسعة وثلاثون . فنجد فيها ربع مجانسات . قال :

اسف على المهدي من مهد الصبا قد كان معصوما عن المحظور

فتح الفتوح ودمر الكفار في كل ابلاد بجيشه المنصور

ومن اهتدى بهده اصبح داخلا سور الرض، اعظم به من سور

فمضى واودع كل قلب حسرة وحشا احشا بلابل وسعير

فالمجانسة في البيت الاول بين « المهدي ومهد » . وفي الثاني بين « فتح والفتوح »
وفي الثالث بين « اهتدى وهده » ثم في الأخير بين « حشا والحش » بسيطة في
في التركيب لا نجد منها حروفا ثقيلة النطق . ولا نحس مشقة أو افتعلا في الصياغة
كما ان كل واحدة منها تكاد تكون ضرورية لتقوية المعنى الذي يريد الشاعر التعبير
عنه . ثم تنتقل إلى اسماعيل عبد القادر المفتي الكردي إلى قصيدته التي وصف
فيها قبة المهدي ورثاء بها أيضا . ان ابيات هذه القصيدة تبلغ الثلاثين . ولم يجانس
الشاعر الا في بيتين منها وهما :

يهدى الذى قد قام فيما مقامه تخليته هدى الورى قانع العدا
امام اجل الله فى الكون قدره وتوجه تاج القلوب وايدا

وهنا ايضا لا نجد ما نأخذ على هذه المجانسات من حيث لكم او كيف . بل
اننا نرى انها تريد المعنى وصورها وتؤكد . اما اذا انتقلنا إلى محمد الطاهر المحذوب
فاننا نجده بخانس فى بعض ابيات مرثيته وهى من سبعة عشر بيتا فيقول :

دهتنا دواه يضرب القلب بها ويوقد فى الاحشاء نارا منابها
غداة نعى الناعون مهدينا الذى له ملة الاسلام حل مصابها
امام الهدى المهدي افضل من دعا إلى الله مفتاح النجاة ونابها

انه بخانس مرتين فى البيت الاول - دهتنا . دواه . ونابها . مصابها . ومرة واحدة
فى الثاني - نعى . الناعون وكذلك فى الثالث حيث بخانس بين الهدى والمهدى .
كما ان قصيدته الحماسية - هندوب تعرف صبرنا « وهى من عشرين بيتا .
تخوى جناسا فى بيتين فقط ، وهما :

يا طالما صدنا بها صيد الغضنفر للثعالب
فتجاذبتهم خيلنا نرمى بهم رمى الثواقب

حيث جناس « صدنا وصيد » فى البيت الاول . و « نرمى ورمى » فى الثاني .
وهذه المجانسات جميعها وان كثرت فى بعض الابيات ونعنى بذلك بيت المرثية
الاول :

دهتنا دواه يضرب القلب نابها ويوقد فى الاحشاء نارا منابها
الا انها - فيما نرى - بعيدة عن التكلف والافتعال مكملة للمعنى . وبحال الرثاء
والفخر يحسن فيه المعاني القوية الكاملة . وكلما كان المعنى قويا كاملا امتلك نفس
القارئ او السامع امتلاكا .

نجد فى قصيدة عبد الغنى السلاوى التى يبلغ طولها اثنين وثلاثين بيتا . جناسا
فى اربعة ابيات هى :

معصومة عما يحرم كأسها فاشربه ثم ادر هناك هناء

ان كنت من انصار مهدينا لنا مهدي الورى من فاض عنه هدا

فالمجد فيه مؤثّل والمضلل منه مؤمّل والدمى فيه سواء

امسيت فيه حسيّف ود لا ارو * به بديلا ان بدت بدلاء

فقد جانس بين « هناك وهناء » ثم « مهدي ومهدي » مؤثّل ومؤمّل واحيرا
بين « بديل » « بدت وبدلاء » غير ان مجانسة البيت الاول « هناك هناء » لا تجدى
المعنى شيئا . ومجانسة البيت الاخير — بديل . بدت . بدلاء متكلفة ولا تضيف
إلى مراد الشاعر ما يوضحه أو يزينه .

بقى شاعر واحد من هذه المجموعة التي نتحدث عن جناس في شعرها وهو
محمد عمر البنا . وقد وجدنا في شعره الذي حفظته لك المراجع قدرا يسير من
الجناس في ابيات قليلة وهي :

وتحاطم يوم الحلال صراغما اسد واسل رماحهم غادات

ولقد فنتت وما ظفرت وريد فتن المشوق وعاته المطوب

فسوفهم مسلوله ورماحهم مسونة وعدوهم مرعوب

واقاد ثغر سواكن امنا وايمانا ويمنا ليس فيه عزوب

نلاحظ في هذه الابيات ان البنا لم يخرج في مجانساته عما اتسمت به مجانسات
مجموعته من حيث القلة والبساطة وتقوية المعنى وخير دليل على ما نقول محنسة البيت
الاخير (أمن — ايمان — يمن) فلسنا نجد في وضع الحروف أو الكلمات ما يعتبر
تنافرا أو ما يسبب عسرا أو صعوبة في النطق بل ان اختلاف الحركات وحركة
الحرف الاول في كل منها من الفتح إلى الكسر إلى الضم ثم إلى سكون بعد كل
من هذه الحركات يشيع في التركيب شيئا من الموسيقى . والفرق بين كل كلمة
والاخرى في المدلول يوضح مراد الشاعر ويؤكدده .

ابقى بعض شعراء المهديّة على شيء من تقاليد النظم التي كانت سائدة في
العصر التركي ومن امثلة ذلك ما التزمه الشيخ الحسين بن الزهراء من اختتام معظم
قصائده التي وقفنا عليها بالصلاة على النبي كما كرر الشطر الاول من المطلع في

واحدة منها وهي الهمزية ، وها هو ذا ختامها :

وعلى النبي وآله صلى الذى وصل الصلاة فطاطنا العظماء
وكذلك سلم ذو العلاما انشدت برح الخفا ما الحق فيه خفاء

كما راد في أحدها - وهي الدالية - الصلاة على المهدي حيث قر :

وعلى النبي محمد خير الورى جمل الصلاة كذا السلام يزداد
ولآله والقائم المهدي ما فتحت باسياف الرشاد بسلاسل

والصلاة على المهدي مر جديد استحدثه بعض شعراء المهدي . وقد حتم به هذا
الشاعر - الحسين بن الرهراء - قصيدة أخرى من قصائده قائلا .

عليه صلاة دون كيف وعدة واسنى سلام متلألا يلمع

وصلى ابراهيم شريف الدولابي في ختام مراثيته المهدي على صريح المهدي قائلا :

صلى الاله على صريح ضمه اركى صلاة فى المسابكور

كذلك التزم الشيخ عمر الازهرى اختتام قصائده بالصلاة على النبي كما كان يدعو
قبل الصلاة لنفسه واهله وغيرهم ويذكر اسمه . ومن امثلة ذلك قوله :

الازهرى بن عبد الله ذا عمر	الصاردى فعامله باحسان
فاشفع له فى غدا يا ابن العواتك	واستغفر له فهو عبد مسرف جاني
واشمل بفضلك اهلى والبنين مع	الزوجات ثم ذوى القربى واخوالى
صلى عليك الالهى يا ابن مدركة	والآل والصحب ماكر الحديدان
يارب واختم بخير فى الممات لنا	والمسلمين كذا واختم بايمان

وقوله فى قصيدة أخرى :

الازهرى الصاردى عمر الذى	زانت بمدحك فى الورى اوزانه
يرجو النجاة بفضل جاه محمد	مما جناه قلبه ولسانه
صلى عليك الله يا نور الهدى	والآل ما برق اضلا لمعانه
وعلى الصحابة من اذا دعيت نزا	ل يوم معركة فهم شجعانه
والتابعين وتابعيهم كلما	قد سح قطر أو آتي ابانسه
واختم بخير ربنا لعصومنا	واغفر لنا ما يرتجى غفرانه

وقوله في قصيدة ثالثة :

وصلى عليك الله يا خير خلقه
وآثك والاصحاب والتابعين في
صلاة بها ترضى عن الازهرى فتى
لعمرو اورد في الاخرى وترضى لعلا الاعلى

هذا وقد بدأ قصائده هذى وهى مدحت نبوية بالغزل اما محمد عمر البند فلم
يختتم ما وصل اليه من قصائده بلصلة على البنى ، بل ختم المائة بالدعاء للمهدى
ولنفسه وذكر اسمه قبل الختام فقال :

قد قتلها وان الفقير محمد
ان لم اكن سلیمان بيتكم انى
فانا الذى حسرت تحرقى التى
حاشا جنابكم المبرأ ان ارى
دمتم ودام تنأؤكم متعبا
ارجو الاقانة ان بدت عترات
سرت خطه بحبكم مرضاة
ابغى واسوأ حال الحسرات
ضيم ولى فى حبكم سكرات
هـ هـ ربح النصر والسمات

كما ذكر اسمه فى ختم المائة التى متدح بها عثمان ولم يدع ولم يصل ، قال :

جاءت تخبر عن غرام محمد فيكم وتشهد ان ذلك عجب

وقد لاحظنا ان البنا بدأ بعضا من قصائده التى وقفنا عليها بابيات من الغزل فقال
فى مطلع مدحة رفعها للامير الزاكي :

اندا يورقنى غير شذك
ويردنى من حالة العقلا إلى
ويزيدنى صرا وحسن مسرة
ويزيدنى قنقا دونه جنك
حال الحيات تذلى وباك
برق تأبق من ضياء سنك
.....

وثانية ، وهى ايضا مدحة . بدأها بقوله :

دعوني اجتنى ثمر الرقاد
ألا يا حادى عيسهم رويد
ويا دار الاحبة خيرينى
وخمسونى ميل إلى لوساد
سممت من الملمات العـودى
سقتك هوامع السحب الغوادى

كما لاحظنا ان محمد الظاهر المجذوب اختتم مراثيه النهادى بتعزية الخلفاء وآل المهدي

وفى البيتين لآخرين من الحاتمة دعائهم حى الضريح وها هي ذى ابيات الختام :

عزاء إلى الصديق نائبه الذى	به المنة الغراء شد انتصابها
عزاء إلى شادوق من كان دأبه	لدى نعم الدنيا الغرور اجتنابها
عزاء إلى انكرار ذى الناصر الذى	نديه يهب البتوت ذبابها
عزاء إلى الآل الكرام اولى نتمى	ليذهب عن هذى القلوب اكتسابها
الا ابلغوا عما ضريح في هدى	تحايا إلى الله الكريم انتسابها

واشاعر اسماعيل عبد القادر المفتى الكردفاني انتهى قصيدته التى وصف بها بقبة المهدي مخاطبا من يأتي لزيارة القبر وفى البيت الاخير ارخ نقبة . وها هو ذا قوله :

فيا زائراً تلك البنية لا تذا	بقبر حوى الفضل الجسم المؤبدا
توسل ببشرى المصطفى متأدبا	لتصغر بالحسنى وتبغ مقصدا
وقف خاضعا وارج القبول مؤر	خا بقبة مهدي الازده ترى هدى

بعد هذا يمكننا القول بان شعراء المهدي لم يلتزموا نهجا واحدا فى بدء قصائدهم اذ كان بعضهم يبدأ بالغزل احيانا وحيانا أخرى يبدأ بالحكمة كالشاعر محمد عمر البنا ، كما كان بعضهم يدخل فى الموضوع مباشرة دون تقديم فى بعض القصائد كالحسين بن الزهراء . وكان بعض آخر يلتزم البدء بالغزل كعمر الازهرى فى م وصل البنا من شعره . كما كان فيهم من بدأ بمقدمة خميرية وهو عبد الغنى السلاوى اذ قال :

راق الصبوح ورقت لصبهاء	مذ كان فيها للعليل شفاء
ربية نبوية ملكية	مهسية روحية وسماء
شمسية قمرية ما فوض	عنها ختمها فى دنها ورقاء

كذلك لم يتبع اولئك الشعراء نهجا معينا فى اختتام قصائدهم . فعمر الازهرى التزم اختتام بالصلاة على للنبي . وقد يسبق صلاته أو يلحقها أو يتخللها دعاء لشخصه واسرته أو دعاء لعامة الناس . وكان يفعل ذلك فى قصائده التى مدح بها النبي . اما اذا مدح فردا عاديا فانه يدعو لذلك لملوح كما فى قصيدته التى مدح بها أحمد فارس الشديق . وكان يلتزم ذكر اسمه فى ابيات الحاتمة . ومحمد عمر البنا لم

يحرص في قصائده على ختمه معين بل كان احيانا يدعو لممدوحه أو يدعو لنفسه
ويذكر اسمه وحيانا لا يفعل شيئاً من ذلك . وقد كان من هؤلاء الشعراء من
يختتم بالصلاة على النبي وعلى المهدي فيكرر الشطر الاول من المطلع كالخسين بن
الزهراء ، كما كان منهم من يختتم بالصلاة على ضريح المهدي ، أو من يضمن
بيت الختام كلمات توافق ارقامها الابجدية تاريخ تأليف القصيدة . وكان منهم
كذلك من يتخير خاتمة تناسب موضوع القصيدة لمحمد بن الطاهر المجذوب لما
عزى خلفاء المهدي واهله في الابيات التي ختم بها مرثية المهدي .

يجوز لنا ان نقول الآن بعد كل هذا الذي لاحظناه من عدم التزام شعراء
المهدية نهجاً واحداً معيناً محدداً في بدء قصائدهم وفي ختامها ، وما تبين لنا كذلك
من التزام ذكر الاسم وعدم التزامه ، وما تبين من غير ذلك يجوز لنا ان نقول ان
الشعر السوداني القصصي بدأ يتخلص في عهد المهديّة من بعض تقاليد النظم التي
ورثها من العهود السابقة .

الفصل الثالث شعراء الحكم الثنائي

الحكم الثنائي قدم لموقف عنصرا جديدا غير اسلامي :

انجأت معركة كررى التى دارت رحاها فى الثانى من سبتمبر سنة ١٨٩٨ عن اندحار جيش الانصار فى وجه القوات الغازية المتفوقة اعدادا وعددا . بعد هذا الانسحاب لجأ الخليفة عبد الله . « رأس الدولة السودانية إلى بعض المناطق الغربية النائية وتبعته ثلة من جنود الغزاة فقضت عليه . وافتتح الطريق امام الموردين ككتشنر وجنوده إلى داخل البلاد . إلى مدينة ام درمان حاضرة حكومة المهديّة . » الحكومة الوطنية التى اسسها سودانيون مسلمون وسارو بها سنين عددا . ومنها إلى مدينة الخرطوم عاصمة دولة الترك العثمانيين التى اقامها لهم خديوى مصر فبقيت ضاغية مستبدة تحكم الاراضى السودانية باسم خليفة المسلمين السلطان العثماني قرابة سبعين عاما . بقيت هكذا إلى ان قضى عليها الثوار السودانيون بقيادة محمد احمد المهدي . وما ان تم للقوات الغازية النصر العسكرى فى كل المعارك حتى عمد ككتشنر واقطاب السياسة البريطانية إلى تثبيت دعائم الحكم الجديد باعلان نوعه وابرار مظاهره . تأكيد ذلك فى كل فرصة سانحة . فعقب الانتصار . كان من اللازم لككتشنر - الخرطوم وتأدية فروض الذكرى لغردون فعقدت صلاة على انقاض السراى و اقيمت حفلة بسيطة رفع بعدها العلمان المصرى و لانجليزى على السراى . وبعد اتعاينات تلتها من كرومر (١) . ان رفع العلمين اعلان لسيادة بريطانيا ومصر ولاشتراكهما فى حكم البلاد ، وقد اكد ذلك الموردين كرومر عندما خاطب الاعيان والزعماء فى ام درمان وقال : « ترون امام اعينكم الآن تينك العلمين يرفرفان من اعلى هذا المنزل وفى ذلك دلالة واضحة على انكم ستكونون تحت جلاله ملكة انجلترا وخديوى مصر فى المستقبل . » (٢) اما الصلاة على غردون وقد اقامها القناصل المنتصر والحاكم الجديد فلها دلالتان :

١ - السودان فى قرن ، مكى شيعة ، ٢٨٩

٢ - المرجع نفسه ٢٩٩

اولاهما : ان غردون الجندى الانجليزى المسيحى المتعبد الذى كان فى خدمة خديوى مصر قد اعتبر شهيد . وهذا الاعتبار يعنى - فى رأى من اقامو الصلاة ورؤسائهم - انه مات مظلوما فى سبيل هدف معين أو غرض رادت قوة ما تحقيقه . وهذا الاعتبار يعنى ايضا ستمكارا لقتله وادانة لمن قتلوه ولمن قتل باسمهم أو فى سبيل نصرتهم ، ومن قتلوه ثوار سودانيون . اتباع امام له دعوة معينة يرمى من وراءها إلى اعلاء كلمة الدين . هؤلاء الثوار حملوا السلاح بقيادة امامهم تأييدا للدعوة وتأكيذا لعزمهم على اعلاء كلمة الدين . ان القتل من رعايا دولة اوربية كبرى . ولا شك ان هذه الدوة شغلت بما حق كرامتها من امتهان لان القتلة سودانيون مسلمون .

ثانيهما : ان لهذا احكام الجديده سمات مسيحية ، وهذه السمات مظاهر تختلف عما افقه الاهلون من حكاهم فى العهدين السابقين - عهد المهديه وعهد الحكم التركى ، مظاهر لا تتفق مع ما روي عليه وغرس فى نفوسهم وتناقلوه جيلا عن جيل .

بعد الانتصار والقضاء على ما تبقى من جنود المهديه وانصارها . وبعد رفع العلمين تفقت مصر وبريطانيا على تأسيس الحكم الجديده ودارته وحررت وثيقة بذلك سميت اتفاقية سنة ١٨٩٩ « و » مقدمة الاتفاقية تبين بوضوح ان إنجلترا لما ان تشارك فى ادارة السودان بحق الفتح . . وان السيادة تركز فى إنجلترا ومصر . على ذلك فالسيادة التركية قد ازيلت قانونيا بعدما ازيلت فى الواقع بواسطة الثورة المهديه (١) « وبذلك زادت الشقة بين السودان ومصدر السلطة لروحانية بعدا . ولم يعد لتنفيذ الخلافة الاسلامية مهما كان قدره وكيفما كان تصوره مجال فى هذه البقاع التى عرفت السلطان ارمى مشوبا بالتنفيذ اروحى امدا طويلا من الزمن - فى ملك الفونج وقد عرف عن مملكتهم انها « كانت ذات مسحة اسلامية وظاهرة دينية على وجه عام والا لما كانت تتمتع بهذا العدد الوعير من الرجال الدينيين والا لما كان هؤلاء العلماء والصالحين هذه الخطوة عند سلاطين الفونج حتى ان الواحد منهم ليتوسط فى الامر الخطير ويتوسل به فى الحادث الجلل فيترل السلطان على رغبته

ويجيبه إلى طلبته مما يدك على ان لدين في نفوس اولئك الملوك سلطانا قويا واثرنا
 بينا^(١) كذلك عرفوه في حكومة الترك العثمانيين ورثة السلطة لروحانية ، وملكهم
 خيفة المسلمين ، عرفوه في عهد حكام الاتراك ، رغما عن ان بعض اولئك
 الحكام كانوا قساة يظلمون الناس ويستهيئون بهم ، وكونوا فجرة لا يتورعون عن
 ارتكاب الحرام مما انتهى بحكمهم إلى الزوال بقيام ثورة المهدي . مع شيوع
 الظلم ، ومع ضيق الاهلين وحقوقهم ، كان الدعاء لخليقة المسلمين - سلطان تركيا -
 يتردد في المساجد ليثبت الصلة بين الراعي - خليفة المسلمين ورعيته في هذى البقاع
 وليذكرهم حتى تبقى حية في نفوس الرعايا . من بعد هاتين الدولتين جاءت المهديّة
 باسم الدين وحاولت اصلاح ما أخذته على الترك فبعثت الروح الاسلامية . واثارت
 الغيرة الدينية . كان ذلك في شئ من التشدد والعسف الا انه احكم رباط السلطان
 الزماني بالروحي فطلت الصلة وثيقة محكمة على أن المجتمع السوداني في تلك
 الآونة وقبلها كان مجتمعا متدينا - آمن بالغيبيات وتعلق بالعلماء والفقهاء وذلك
 لانتشار الخلاوى والطرق الصوفية مما أدى إلى تغلغل الثقافة لاسلامية في ذلك المجتمع
 مع كل هذا وقف كرومر وقال في احدى خطبه التي درج على القامها كلما جاء
 إلى السودان ، قال : " . . . ان وقت السماح لمرسلين بالتبشير بين مسلمي السودان
 لم يزل بعيدا ، ولكن المسعى التي تبذل بين القبائل الوثنية في المقاطعات الجنوبية
 تستحق كل ما يمكن من التشجيع والمساعدة^(٢) . بهذه التهمة اعلن كرومر ان
 حكومة السودان الجديدة ومن خلفها بريطانيا تؤيد حركة التبشير في جنوب السودان
 ونهما تعطفان عليها عطفنا عظيما . وان ذلك العطف سيترجم إلى عون مادي
 وأدبي . وقد بدأ الادبي بهذا الكلام الذي اتماه على مسامع علماء السودان وعمده
 ومشايخه واعيانهم . وتمثل المادى في الاموال التي احدثت حكومة السودان ترصدها
 للتبشير والمبشرين وتقدمها هبات سخية مقطوعة من اموال مسلمي السودان وهم
 الكثرة الغالبة . ان في هذه القولة تلميحا واضحا ببدء التبشير بين مسلمي السودان
 عندما يحين الوقت ومعنى هذا ان بريطانيا لم تكن لتكتفى بتأييد الدعوة للمسيحية بين
 القبائل الوثنية في الجنوب تأييدا ادبيا وماديا . بل انها تنوى بدء التبشير في بقية

١ - النهضة السودانية مجلد ١ عدد ٢٠

٢ - الشعر الحديث في السودان ، عبده بدوى ، ٣٦١ (عن نعم شقير) .

اجزاء السودان الاخرى التى يقطنها مسلمون . ولا يمنعها من تحقيق النية لا الزمن
اما اذ حان الوقت وواتت الفرصة فانها ستبيحه وتقدم له عونها عن طريق ممثلها
فى حكومة السودان .

ان حُكم الجديد كفل حرية العبادة والاعتقاد للناس . فقد أكد كتشنر
ترك الناس احرارا فيما يعبدون ويعتقدون . و مر بتشجيع اشدة المساجد العامة فى
المدن . وتطرق كرومر إلى اعلان تلك الحرية وتأكيدا فى احدى خطبه قائلا :
تروون ان العهد الذى عاهدتكم عليه وقتئذ من جهة احترام ديانتكم وعوائدكم
ندينية قد روعى كل المراعاة .. «(١) . الا ان الوفاق الذى تم بين مصر وبريطانيا
وتصميمته تلك الوثيقة المشهورة (اتفاقية يناير ١٨٩٩) لم يشر بالتصريح ولا بالتلميح
إلى حرية العبادة والاعتقاد . ولم يرد فيه شيء يشبه تأكيد كتشنر أو عهد كرومر
الذى ذكر الاهلين به فى خطبه . كذلك لم يرد فيه ما يمنع التبشير أو يبيحه . ان
« الاتفاقية الثنائية لم تنص على أى قيد » (٢) لهذا أصبح المادرة الجديدة ، وقد سيطر
عليها اياد بريطانية . استقلال فى تصرف شئون البلاد وحرية بل حق فى انشاء
مؤسسات تمكنهم من الحكم . وادخال الانظمة التى تعينهم على تسير الادارة الحكومية
وبسط نفوذهم فى القطر — ان من اول ما فكروا فى ادخاله التعليم المدني بفتح
مدارس تعد موظفين يؤدون اعمال الحكومة الثانوية . وبهذا تكسب الدولة الجديدة
كسب ماديا فالموظف الوطنى لا يكلفها ما يكلفها الاجنبى من اموال ، وكسبا أدبيا
لانها بفتحها المدارس تلقى فى روع الاهلين انها تسعى لنفعهم ، وتعمل على ترقية
مجتمعهم وتنقيته من كل شائبة . كان من رأى الورد كرومر انه لابد من التعجيل
ببعض التعليم والتدريب للسودانيين وكان الهدف يرمى إلى غرضين :

١ — ربط التعليم بالخدمة المدنية بغية تزويد الجهاز الادارى بمستخدمين فى الدرجات
الدنيا .

٢ — غرض سياسى لمنحى ولهدف ويتجه إلى اضعاف الاساس الدينى الثقافى
واستبداله باتجاه علماني «(٣) .

١ — تاريخ السودان ، نوم شقير ، بيروت ، ١٣٣٥

٢ — الحركة الفكرية ، محبوب ، ٢٠

٣ — تقرير لجنة الخدمة ، ٢٣

دخل التعليم المدني السودان . وقامت مدارس وأخذت تتكاثر . والتعليم من حيث هو ليس جسيما ولا غريبا على لمجتمع السوداني فقد عرفه قبل مقدم الحكم الثنائي بسنين . عرفه في الخلاوى العديدة التي انتشرت في طول البلاد وعرضها تعميم مبادئ الاسلام وتقرئ القرآن وتعنى بحفظه في لصور وفوق هذ وذاك تعلم القراءة والكتابة وحسب . ان الخلاوى . وهى مدارس فريدة هى نوعها . نشأت وعاشت بجهود الادلين . فالشيخ وهو الفقيه المدرس بينها فى ارضه أو بالقرب من مسكنه بعون تلاميذه وبعض سكان المنطقة ؛ وقد يشيد بجانبها غرفة أو غرفتين لتلاميذه أو فنيين من جهات نائية . وان كان نشيخ الفقيه مال - ارضا كان أو -هاهم فإنه يقمه على نحوه . وكثيرا ما يعيش الشيخ وتلاميذه على ما ياتيه من آباء التلاميذ وامهاتهم من غذاء . ويقوم هؤلاء لتلاميذ بخدمة معلمهم الشيخ . وتنظيف غرف الخلوة . اكر ما كانوا يقومون به فهو جمع الخطب لايقاد النار التي يدرسون على ضوءها ليلا . ان الشيخ صاحب الخلوة ومنشئها ومديرها ومن يتولى لتدريس فيها لا يتلقى جرا من احد او هيئة . ولا يكلف الآباء او الامهات بدفع اقدار من مذل نظير تعليم ابنائهم . انه يفعل كل ذلك طلبا لثواب من الله . ورغبة فى اخراج ابناء المسلمين من ظلمات الجهل . وطمعا فى نشر المعرفة ندينية بين امثئين ليسبوا على ضعة الله ورسوله فيكونوا بذلك بارين بوالديهم وذوى قرباهم . لم يكن عون لخلالوى منحصرافى مجموعة الوالدين الذين يستفع ابنائهم منها بالتعليم فيها انما كان غيرهم من لاهلين يبدئون للخلوة وشيوخها من مالهم انكثير . ومن هؤلاء عيون المجتمع وموسرو التجار ورعماء القبائل ولسلطين كلهم اغدقوا على الخلاوى وان لم يكن بين تلاميذه بنوهم ايماننا برسانتها وتقرب إلى الله عز وجل . ورغبة فى منعة المسلمين . بفضل ما قدم هؤلاء الشيوخ قامت الخلاوى واستمرت فى اداء رسالتها وظلت تفعل ذلك وهى امانة فى عنق المجتمع يرعاها وينفق عليها عن طوعية واختيار .

اولى الناس فى لسودان الخلوة فى تلك لاونة عطفتهم وعذيتهم ففيها يتعلم ابنائهم وبفضل ما يتلقون من تعليمها يكونون مسلمين تقدة ورعين . منهم من يسلك سبيل استاذة فيستريد من لمعرفة حتى يصير فقيها يشار اليه بالبنان ، ومنهم

من يكتفى بمعرفة ما يجب عليه كمسلم ثم يسلك سبيلا آخر . وتؤدي به معرفته إلى النجاح فيما سلك . كذلك أولوا شيخه - اتقيه المعلم - احترامهم وثقتهم فقد كان يغسل موتاهم ويصلي على جنازتهم ويعقد زواج بناتهم وبنينهم . كما كان يسأل الله لكل منهم أو ضم مجتمعين في اوقت الشدة يدعو الله لينزل عليهم الغيث ويرفع عنهم الادواء و يقبضهم شرور الدنيا والآخرة : وكان موضع الثقة يستشار فيشير بما يرضى الله ورسوله . ومعين الطمأنينة يلجأ اليه خائف أو المحزون فيجد عنده اى منهما ما يبدد المخاوف ويزيل الاحزان . لكل هذا كان لخلوة في المجتمع السوداني سلطان . وكان لكلمة الشيخ الفقيه وزن كبير بين الافراد والجماعات ، ولا شك ان انتشار الثقافة الاسلامية وتغلغلها في المجتمع السوداني ناتج عن نفوذ الخلوى ومكانتها في ذلك المجتمع .

لما جاء الحكم الثنائي بنظامه التعليمي الجديد كان المجتمع السوداني على هذه الحالة التي وصفنا من سيطرة الخلوة وتمكن الثقافة الاسلامية . الا ان الحكم الثنائي لم يشأ ان يستغل ما وجد عليه البيئة السودانية من مستوى ثقافي في مدارسها . ولعله تعتمد ذلك . انما اخذ يعزى الناس بسبب العون المادي لتلاميذ عند التحاقهم بالمدرسة الجديدة وبادخالهم في وظائف الحكومة يجعل شهرى بعد اكمال الدراسة وهذا « بدأ التعليم الدينى يذبل . وتحلوا المساجد والزاويا والكتاكيا من طلبتها .. بيد ان احتضار هذا الجانب التقليدى الهام في حياة السودانيين كان بطيئا (١) وكان انتشار التعليم المدني بتزايد المدارس الجديدة اقل منه بطئا فقد ظلت الحاجة إلى الموظفين متزايدة تبعا لاتساع اعمال الحكومة الجديدة عما بعد عام . لذلك ارتفعت اعداد السودانيين في تلك المدارس التي غلبت عليها الثقافة الانجليزية وخاصة في القسم الثانوى والاقسام العليا ولم يكن من محيد عن انتشار آداب لغة الانجليزية وآداب اللغات الاخرى المترجمة للانجليزية بين جمهوره المتعلمين من شبان هذه البلاد (٢) . وعلى هذا يمكننا القول بان معركة كررى لم تكن هزيمة عسكرية لجيوش الانصار فقط ، بل كانت ايضا اندحار حضاريا تقيم الثقافة السودانية التابعة من الدين

١ - الشعر الحديث ، الشوش ، ٣٩

٢ - الحركة الفكرية - محبوب ٢٠ ..

والملتزمة بالمعتقدات الغيبية» (١).

صدى أحداث الثورة في نفوس الشعراء :

لم يرض السودانيون الحكم الجديد ، ولم يتقبلوا ما جاءهم به لا تقبل المغلوب على امره ، بل ان هنالك بعض احداث تابعت لتدل على ان بعضهم رفضه وقاومه بالسلاح . وقعت تلك الاحداث بين عام ١٩٠٤ وعام ١٩٢١ . نذكر منها :

١ - ثورة عبد القادر محمد أمام ود حيوه (٢)

٢ - ثورة عجبنا وثورة الفكى على فى جبال النوبة (٣)

٣ - تمرد على دينار مع انه استقل بحكم مديرية دارفور (٤).

لكنه لم يكن مطمئنا للانجليز ، بل اخذ يرسل الخليفة فى تركيا . ويصف الانجليز فى رسائله بالكفر والفسق ومعاداة الاسلام والمسلمين ، كما أخذ يرسل محملا سنويا للحجاز شأن ملوك المسلمين» (٥).

قامت هذه الثورات ، والانجليز ماضون فى تعزيز موقفهم فى السودان فاحمدوها واستمروا فى تلك السياسة التى بدأوها فى نصوص اتفاقية سنة ١٨٩٩ ، تلك السياسة الرامية إلى بسط سيطرتهم دون غيرهم واقصاء المصريين من مواضع السلطة ومناصب الحل والعقد ، فقصر رينالد ونجت الحاكم العام الذى خلف كتشّر وظائف « المديرين والمفتشين على الانجليز » (٦) وكانت نتيجة هذه السياسة ان غضب فريق من المصريين ، وشن الحزب الوطنى المصرى حملة شعواء على الاتفاقية وعلى سياسة الانجليز فى السودان . ومهما يكن من شىء فقد كانت مصر بصفة عامة بركانا يغلى ويوشك ان ينفجر لاحتلال الانجليز أرضها ولغلبة نفوذهم فى سياستها الداخلية والخارجية ولتسلطهم على شئونها عن طريق حكم ضعفاء من بينها . فى عام ١٩١٩ انفجر بركان مصر ، وعنف الانجليز فى مقاومته . وقابل المصريون عنفهم بالاستماتة فاستشهد منهم عدد وشتق بعضهم وسجن آخرون . كان لهذه الاحداث جميعها صدى فى «السودان ارتفعت الاصوات داعية لجهاد.

١ - تقرير لجنة الخدمة ٣٢

٢ - إلى ه السودان فى قرن ، مكى شيكة ص ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣

٦ - الشعر الحديث فى السودان ، ع . بدوى ٣٥٥ ، ٣٥٦

هتافات ومشورات تحض على الثورة (١) مع ان الحكومة احتاطت فعملت من جانبها على عدم تسرب اخبار الثورة (٢) . لم ينفع الحكومة احتياطها . وكان السودان مهيا للتجاوب فقد حدث ما يقوم دليلا على سخط اهله كما اوضحنا من قبل . فكان ان تكونت من بعض بنيه جمعيتان - جمعية الاتحاد وهي منظمة سرية . وجمعية اللواء الابيض وكل منهما مخصصة للانجليز . اخذ اعضاء هاتين الجمعيتين على عاتقهم اعباء المناهضة ، وطفقوا ينفذونها بطرق مختلفة منها القاء الشعراء منهم القصائد في المناسبات الدينية . كما شترك في هذا شعراء من غير الاعضاء . ونظموا كلهم القصائد الطول والقوها على مسامع جمهرة المواطنين في الأحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم او في عيد الهجرة . كانت تلك القصائد في الغلب الاعم تبدأ باعلان الابتهاج ثم تأخذ في التغنى بنحمد القديم والثناء لحنة الاسلام والمسلمين في ذلك الوقت ، واستنكار ما هم فيه من ضعف وما اصابهم من تسلط الغرباء ومن استكانة رعاياهم . نظم الشعراء قصائدهم تلك في حماس معتدل احيانا . وفي حماس عفيف احيانا أخرى الا انهم لم يصرحوا بذكر مصر وثورتها في ما بين ايدينا من شعرهم وقد قبل ان قصائد الاحتفالات العامة التي قيلت قبل ثورة ١٩٢٤ تعتمد بثورة غامضة . وهي عن غموضها سطحية غير واعية (٣) وإن لنا ان نقف ههنا عند امور ثلاثة - (١) افعال قصائد بالثورة (٢) غموض هذه الثورة ثم (٣) سطحيته وقلة وعيها ونقول لماذا ظهرت الثورة في شعر هؤلاء الشعراء ثم جاءت غامضة سطحية غير واعية ؟ اما الامر الاول فطبيعي لان المواطن أو الشخص العادي لا يقبل لتسلط والاذلال من بني وطنه وذوى قرباه فكيف يرضاه من أجنبي يدين بغير دينه ويرفع عليه ؟ ثم هو يسمع ان بعض من تربطهم به صلات قوية يعذبون ويقتلون ويسمون الخسف في عقر دارهم . افلا يتحرك المواطن الشاعر المتعلم لماذا ؟ ان غموض الثورة أو وصفها بالغموض وصف غامض في ذاته فلسنا ندرى المراد منه أو معناه اذ يكفيها فيما نرى انها ظهرت في الشعر لكثيرين من ادباء اليوم ودارسي الادب وانها جذبت ليها اعدادا من المواطنين وان ما قيل فيها من هذا الشعر اسر اولئك الذين استمعوا اليه فصفقوا للشعراء

١ و ٢ الشعر الحديث في السودان ع . بدوي ٣٨١ ، ٣٨٢

٣ - الشعر الحديث في السودان ، الشوش ٥٥

وتكبدوا ما تكبدوا في سبيل جمع تلك القصائد واذعتها . ما « السطحية وقلة الوعي » فمأخذان كبيران لا تستحقهما هذه الثورة التي ظهرت في الشعر لانها أقضت مضاجع الحكم الاجنبى ونشرت شيئ من الوعي الوطنى بين الاهلين وصارت بذلك معلما في طريق الكفاح ومصدر الهام للمناضلين . لقد فعلت ذلك والحكم الاجنبى في بداية عهده وهو معتد بقوته مزهو بانصاره وافلقته ايما افلاق و يقظت الشعور الوطنى في كثرة من المواطنين ، ولو تحطت هذا الذى فعلته إلى سواه لامكنت سلطات الحكم الاجنبى من خنقها فقد كانت كما وضعنا في نوح قدرتها وسطوتها وقد زادها قوة استمالة فريق من المواطنين إلى جانبها . ولم يكن لثورة الشعر هذى سند قوى خارج القطر ، فكيف نتوقع منها ان تكون عميقة مدركة ترسم الخطط وتحدد المبادئ والمذاهب وتولد الافكار في تلك القصائد . وتدعو إلى تنظيم الفرق المقاتلة وتجنيد المجموعات المحاربة ؟ يبدو لنا ان صفة « السطحية وقلة الوعي » الصقت بها لانها لم : تفعل ذلك ، لكننا نرى انها لو فعلت لقصت على نواة الحركة الوطنية ، فتم تكن سلطات الحكم الثنائى لتسامح في عمل كهذا ولو قام لبادرت بسحقه والقضاء عليه قضاء تاما . وبذلك تتأخر الحركة الوطنية سنين عددا ، وتبعا لذلك يتأخر ما تجنيه البلاد منها وهو ما قد جنته بالفعل .

لقد كانت الثورة التي « اعتملت في الشعر » رد فعل لما حدث في السودان ، كما كانت صدى لاحداث الثورة في مصر ، وها نحن اولاء نعرض نماذج من ذلك الشعر الذى عبر به ناظموه عن سخطهم على الحكم الاجنبى واستنكارهم لأساليبه مستغلين المناسبات الدينية والدين نفسه . ان هذه القصائد التي اقوها سلاح امتشقوه حين فقدوا اسلحتهم جميعا ، وهى مجال تبصرة واثارة وعى ناظر . وقد كان معنى الدين هو معنى الوطن عندهم (١) . « لنبدأ هذه النماذج بقصيدة لشاعر عبد الرحمن شوقى في احتفال نادى الخريجين بعيد ميلاد لى ، وفي ذلك النادى فى ام درمان وقف الشاعر منشدا فى يوم من ايام عام ١٩١٩ :

ندبى من سلاف الخمر هات وشفتنى بذكرى الماضيات (٢)

١ - الشعر السودانى فى الممارك السياسية . م . م . على ٣١٢ - ٣١٣

٢ - ملامح من احداث اسوداني ، حسن نخيلة ، ٧١ عبد الرحمن شوقى مهدي شاعر توفى في يوليو سنة ١٩٦٠ .

أترضى ان أضام وانت حر وتسمح ان تلين لهم قناتي
وهذا هوذ أحمد محمد صالح يقول بخطبا جمع الخريجين المحتفل بالعيد فى ناديهـم :

عيد أغر محجل والخير فيه اجزل (١)
والناس فى شكر الاله مكبر ومهل

فى احتفال بمطلع العـم الهجرى عام ١٣٤١ هـ وقف الشاعر الشاب المسيحى صالح بطرس قائلا (٢) :

يـ من رأى طوق الحلال وقد بدا يهدى لنا عاما اغر مشهرا
اكسره بطاعته وبهجة نوره اذ بشرتنا ان سنحمد نخبـرا

وفى خاتمة لىالى الاحتفال بميلاد النبى صلى الله عليه وسلم وقف الشاعر الشاب مدثر البوشى والتقى على المجتمعين هذه القصيدة :

نأت بك عن ذت الحجاب الرواسم فقلبك مقسوم وقلبك قاسم (٣)
مدامع تذريرا من البين مثلما همت من حصار المرسلات غنائم

من هذه القصائد كذلك قصيدة الشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن (٤) ، قال :

لسحرت القلب مما تسجعين يا هتوف الدوح ، والسحر فنون
لاعدا مغناك منهل الحيا وتخطتك عيون الراصدين

ومنها ايضا التونية المشهورة التى نظمها الشاعر الشيخ عبد الله محمد عمر البنا تحية للعام الهجرى ، قال :

ياذا الحلال عن الدنيا او الدين حدث فان حديثا منك يشفينى (٥)

حدث عن الاعمـر الاولى لتضحكنى فان اخبار هذا العصر تبكىـنى

فى أبريل عام ١٩٢٢ جء إلى السودان زائرا لورد النبى مندوب بريطانيا السامى

١ - ملامح من المجتمع السودانى ، حسن نجبة ، ٦٨ . أحمد محمد صالح معلم شاعر لمع اسمه فى ميادين الأدب والسياسة ، توفى فى مارس ١٩٧٣ .

٢ - ملامح من المجتمع السودانى ، ٧٥

٣ المصدر السابق ، ١١٣ .

٤ - من علماء المعلمين وشعرائهم ، توفى ١٩٦٤

٥ - شعراء السودان ، ١٧١ - ١٧٢ .

في مصر فثارت زيارته الشعراء وحاءت نتيجة لاثارة قصائد من ثلاثة شعراء
توفيق صالح جبريل (١) . حمزة الملك طمبل (٢) وعبد الله عمر محمد البنا . اما
توفيق فقد نظم ابياته وارسلها إلى مصر لتشر في احدى صحفها . وها هي ذى :

يا أيها القوم لا تحروا الذيولا يأنف الحر ان يعيش ذليلا (٣)
سحتمونا العذاب . ضيقتم الا رضى علينا حتى هوبنا لرحيلا
ان اردتم اصلاحنا . قد فعدتم فاعذرونا اذا مللنا الدخيلا

ان جر الذيول للعواني ويكفى به عن اترف والدلال والاناقة . لعل الشاعر اراد
أن يقول للقوم لا تنهبوا وتعاونا !!

والشاعر الثاني حمزة الملك طمبل نظم سينية تذكرنا سينية البحرى في وصف
ايوان كسرى ومطلعها :

صنت نفسى عما يدنس نفسى وترفعت عن جدا كل جيس

وتذكرنا سينية أحمد شوقي التى نظمها في رحلته إلى الاندلس وقال فيها :

اختلاف النهار والليل ينسى اذكر الى الصبا وايام انس

وكل واحدة من هاتين السينيتين تصور انفعال شاعرها عند وقفته امام بعض آثار
عظمة الانسان / اما سينية حمزة الملك طمبل فمنها :

انا اهوى الكمال فى كل نفس واجل الرجال من كل جنس (٤)

واذا جاشت العواطف فى نفسى عمدت إلى دوائى وطرسى

وقال عبد الله محمد عمر البنا :

هى الاخبار آفتها . الرواة وصيقلها التبت والنبات (٥)

وفى الحدثن آلام ، ولكن لنا فى كل حادثة عظام

١ - توفى عام ١٩٦٦

٢ - توفى عام ١٩٦٠

٣ - ملامح من المجتمع السوداني ، ٨٥

٤ - ديوان الطبيعة ٥٢ ، ٥٣ .

٥ - ملامح من المجتمع سوداني ، ٨٠ ، ٨٢ . عبد الله محمد عمر البنا من شعراء المعين
وعلمائهم ولد في مدينة رفاعة عام ١٨٩١ .

فى ليلة من تلك ليلائ وقف الشاعر صالح عبد القادر محيا ذكرى ميلاد الرسول
صلى الله عليه وسلم قائلا :

يا صاحب القرآن نظرة • شفق الدهر خان وحلت البأساء (١)
عظفا على الاسلام ان شعوبه اجتيحت وقد لعبت بها الالهواء
عانت به ايدى الطغاة فبدلت ازياه فتنجاهل العلماء

هؤلاء الشعراء كل منهم غير راض بواقع قومه . ساخط حزين لما آل اليه الحال
فى بلاده . لذلك يفرغ كل منهم الى الماضى البعيد المجيد يصف روعته ويعدد
مآثره مشيدا برجاله ومدنه الشهيرة . يبنى بذلك استنهاض الهمم التى خارت والعزائم
التي وهت ، كما يبنى تعزية نفسه وادخال الامل الى نفوس اليائسين ، وكلهم
فى غضون ذلك يذمون الحاضر ذما لا يخلو من ألم وايلام ، ويمدحون النبى صلى الله
عليه وسلم مستغيثين به . سلك هؤلاء الشعراء فى التعبير عما خالج ضمائرهم ،
وما أحسوا من سخط وحزن سبيلين مختلفتين — اولاهما سبيل الاعتدال . والذين
اتبعوها اکتفوا — بعد الاشادة بالماضى — بحث الشيب والشباب ومطالبة الحكومة
بالاصلاح . فالبنا مثلا يصبح فى قومه :

احبتي ودعاء الحب مرحة لا يمز ننكم بالنصح تلقينى
ترضون بالدون والعلياء تقسم لا تدين يوما لراضى النفس بالدون

روفى الثانية يتخذ البنا سمت الحكماء فيتحدث حديث الناصح المجرب داعيا إلى
الثبت واللباب « واستخراج العضة مما يحدث رغما عن الآلام . ينتقل من بعد إلى
تشخيص « ادواء المجتمع السودانى التى تفشت فى شبيه وشبابه فقعدت بهم عما
يرجى منهم . انه يقدم كل هذا فى اسلوب سليم واضح تزينه رقة الألب العطوف ،
وأكثر ما يشعر بهذه الرقة تساؤله :

فما لنفوسهم ذلت فضلت يلد لها من الحيز الفتات
وما للناهضين بها استراحوا وهم فى يوم ازمتها الحماة

وانها لركة تحمل نقدا وتوبيخا اذ يعرف من يسمع هذه الابيات مواضع الضعف التى
يعرضها ويحس توبيخا لانه يعرضها فى قالب الدهشة والخيوة بسؤال محكم الصياغة

كما يحس "توبيخ لان الشاعر يعرض الذنء وسببه ويتبع ذلك عرض ما يرجى من
ابناء المجتمع السوداني ، ويتمثل هذا فى قوله :

وهم فى يوم رينها رجاء وهم فى يوم شامتها الكماة
وهم فى يوم فطمتها بساور وهم فى بحر حاسدها الرماة

فكانه يقول لهم انتم اهل لكل خير . وانتم جديرون بكل مكرمه . هبوا واعملوا
لنفع امتكم ففيكم القدرة وكنم مصدر الرجاء . ياتفت من بعد الى لورد النبى مهتدا
الترحيب به قائلا :

وجاء انورد يرمل فى ثياب تضم بها المنافع والشكاة

انه ترحيب وقور . لا يحمل فى عباراته بهجة ظاهرة ولا آمالا كبيرة مشرقة ،
ولا يبدو فيه ما ينم عن استنكار الزيارة أو الامتعاض منها . انما يحاول الشاعر
ان يستغنها لمنفعة بنى وطنه فيسقط لزائر بعض ما يحتاجون اليه فيقول له :

« انا نفوس لمعالى جائعات » . وفى مواضع أخرى من القصيدة يفصل حاجات
بنى وطنه بعد هذا الاجمال . ويتساءل عن قضائها كما تسأل عن تقصير مواطنيه
فى ايات سابقة من القصيدة بالاسلوب نفسه والروح ذاتها . لم يفت الشاعر مع
كل هذا ان يغمز لورد أننى القائد المنتصر . (ألبنى انتزع فلسطين من الاتراك
ودخل القدس تأمها مزهوا . بعد الانتصار اصبحت فلسطين تابعة لبريطانيا) بهذا
البيت بل بهذا السؤال :

فهل احررت من عظة نصيبا وخير الواعظين بها رفات

يوصل الشاعر المطانية بالاصلاح . ويلج على البريطانيين فى شخص اللورد الزائر ،
ومطابته تتسم بالتحقق لانها تقوم على شىء من المنطق وتناى عن الاستجداء
والاستخذاء وذلك لانه يعتقد انهم قادرون على الاصلاح . كما يعتقد ان الاصلاح
يحفظ لهم جيلا عند بنى وطنه . ويتجلى هذا فى قوله :

وعهدى ان ايديكم جميعا عوامل فى الحوادث ناصبات
وبك ان عطفت افقت فينا ايدى تستقل بها الهبات

يختم البنا قصيدته بالندار — لقد تحدث إلى مواطنيه مرشدا ناصحا مؤملا فيهم الخير

وتحدث إلى الناورد الرئير حديث الحكيم حديثنا ملؤه الثقة بانفس والرغبة في
 الصلاح والاصلاح . وخطب البريطانيين في شخص ناورد خطب المؤمن بحقه
 فلم يبق بعد كل هذا الا ان ينثرهم ويصرهم بمعة الامل و تنجدهم فقال

وفينا اذ نسام الهون عزم منيع لانفل له شبات
 وفينا فطنة كملت وطابت وفينا حين تبصرنا اناة

ومن سلكوا هذا لسبيل الشاعر أحمد محمد صالح . وهـ هوذا يقتصر على الدعاء
 في بعض قصائده التي اوردها مع النماذج قائلا :

يا خير من عند الشدا ثد وانوائب يسأل
 اشمـل بلطفك جمعنا يا رب في من تشمل
 وافض على نادى المسدا رس صالحات تهـل
 واجعل بفضلك اهله في نعمة لا ترحـل

لقد احس الشاعر الشدائد والنوائب تحديق بقومه . وجمعه تلك الفئة التي
 اعتادت الالتقاء في نادى المدارس ودرجت على الاحتفال بالاعيد الدينية وانشاد
 الشعر والقاء الخطب تذكرة للمواطنين وشحذا لهمهم ان نادى المدارس يستحق
 هذا الدعاء . والشاعر يعرف مكانته و ثره وقد احس الشدائد والنوائب كما
 اسلفنا ولذلك دعا له . « لقد حقق الله دعاء الاستاذ أحمد فقد هطلت الصالحات
 على هذا اللى فقد انبعثت منه جميع الأعمال الصالحة خير هذا البلد . حتى تمت
 حريته (١) .. » وجاءت النعمة التي لا ترحل وهي الاستقلال وشملت الجميع
 ولم تقتصر على اهل النادى .

تبع أحمد محمد صالح وعبد الله محمد عمر السن في هذا السبيل شاعر آخر
 هو حمزة الملث طمبل . استقبل هذا شاعر مقدم لورد لسنى نقصيدة اوردها شيد
 منها ضمن النماذج . وهى فى رأيد لا تمثل ترحيبا بالزيارة ولا تحمل ابتهاجا بها .
 كما انها لا تحوى استكبارا صريحا أو رفصا لقدومه لورد القائد المنتصر . قال فى
 مطلعها :

انما اهوى الكمال فى كل نفس واجل الرجال من كل جنس
واذا جاشت العواطف فى نفسى عمدت الى دواتى وطرسى

انما نحس فى هذا المطلع اعجابا وتقديرا يعلنهما الشاعر . ونلاحظ انه اخذ اول
بيتيه من شينية البحرى ، من بيته :

وارانى بعد اكلف بالاختيار من كل سنخ وأس

لكننا نحس ايضا شيئا من الاشمئزاز أو التحفظ على الاقل بشوب ذلك الاعلان .
اهما اعجاب بالكمال وتقدير له حيثما وجد وفى اى شخص وجد فى لورد أو فى
رجل عادى . ومن اى جنس كان وعليه فلشاعر يقول لورد لا تغتر بمدحى أو
بما سأقوله فانا لست اقصد شخصك أو جنسك وانما اقصد الصفات الانسانية .
وهى وحدها مثيرة عواطفى ومحركة شاعريتى . ان هذا الاسلوب يدلنا على ان
الشاعر غير راض فاللورد الزائر هو فتح القدس ومزيل سلطان الدولة العثمانية
عن ارض فلسطين باسم الحلفاء فى الحرب العالمية الاولى . وفضلا عن ذلك فاهله
البريطانيون يسيطرون على مصر والسودان ويفعلون فيهما ما يشاءون . ان مخاطبته
اللورد فى قصيدته هذى تعيد الى الذاكرة ما قاله امير الشعراء للورد كرومر فى
القصيدة التى ودعه بها وقال فيها :

ايامكم ام عهد اسماعيل ام انت فرعون يحوب النيل

غير ان الشاعر يحب لكمال ويحل الرجولة ولذلك جاشت العواطف فى نفسه
ونظم هذه الابيات لاترحيباً باللورد ولا اكراماً لاهله فى شخصه وانما تقديرا
لصفات انسانية واشباعا لتوازع شخصية . انه هذا يمثل نبيل الخصم المهزوم
يتجرع مرارة الهزيمة ويحس ذل الانكسار لكنه لا يملك الا ان يعترف لمنازله
بالنصر فى اعتداد يملبه كرم الاخلاق .

اخذ الشاعر بعد ذلك فى مخاطبة اللورد قائلا :

فاتح القدس قد تغمدك الله	روح من المهيمن قدسى
لث عزم من القضاء وذكر	مشرق فى الزمان اشراق شمس
حت تستعرض الصفوف احتما	لا لحرب بمدفع او ترس

عروة

بالنمل القود في حارب شرف فوق عرس من البلاد ورأس

م ر ن الشاعر في تحمطه واشمثاره . هاتئذ قد فتح القدس لتوفيق من الله أو
تعمده بروح من المهيمن قدسى . وآتاه كذاذ عزم من القضاء ، فامكنه ن
يزيل سلطان المسلمين ويمهد للاندب 'بريطاني في فلسطين فيكون ذلك سببا في ان
يكون له ، ذكر مشرق في لزمان اشراق شمس ، ولو لم يتح به ذلك من الله العلى
لتقدير لما امكنه ان يستصر ويصل إلى ما وصل به ولما تها فم بانتصاره . فالامر
كله حينئذ قدر . ولعل الله اراد هذا التقدير لحكمة يعسمها هو . واحمد لله الذى
لا يحمد على مكروه سواه . ولكن ها هوذا القائد المستصر يحيى رائر تختفى به
جمهرة الاتباع الاوفياء لمخلصين ويختفى هو بمقدمهم له . ومهم يكن من شيء
فعليه ان يتذكر ان هذه البلاد :

كان تاريخها تقسيم حليلا من مصر ومثل روم وهرس
ثم دار الزمان دورة نحس عكست نجم سعدا شر عكس
فدرجنا على الصعيد حفاة بين غير من الجياح وشكس

ان هذا الماضى الحليل الذى اشد به الشاعر وضعا بلاده في مصف الامم العريقة
تحول إلى حاضر هزيل . فهل من سبب معروف لهذا التحول ؟ ولماذا يذكر
الشاعر كل ذلك ؟ يمحز بما كان لقومه ويتبعه بما صار اليه حاضرا الآن . لم يذكره
في هذه المناسبة ؟ مسسة ريرة لورد لنبي لعل الشاعر يحس ان لبريطانيين
- واللورد من كبارهم - بعدوا بين البلاد وما ضيها ما عزوه واسسوا حكمهم
فيها . ان الشاعر ينسب اليهم التقصير في القيام بخاحات ابلاد وما ران الحهل
متفشيا وكذلك الحماء والجوع ثم يطلبهم بالاصلاح ويرشدهم في الابيات لأخيرة
إلى سبيل الحكم لصالح لان بلاده لا تستحق ما صارت اليه .

ما اسبيل الثانية فهي سبيل الثورة - ثورة الكلمة - فقد سلكها توفيق
صالح جبريل عبد الرحمن شوقي مدثر البوشى وصلح عبد القادر . قال توفيق
في ريرة لورد لنبي - وقد اوردنا حل ايته مع النماذج - قال مخاطبا لبريطانيين :
يا ايها القوم لا تعروا الذيولا يأنف حزن يعيش دليلا
سمتمونا العذاب . ضيقم الا رض علينا حتى هوبنا الرحيلا

ان اردتم اصلاحا قد فعلتم فعدرونا اذا مللنا الدخيلة

هذه الايات الثلاثة وهى بداية القصيدة تكشف عن ثورة جامعة فى صدر الشاعر اشعلها ما أحسه من اذلال . وما رأيته عينه من تعالى الحكام وخيلائهم ثم العذاب ندى اوردوه الناس حتى تمنى الناس ان يرحلوا عن بلادهم مفضلين الهجرة والاغتراب على البقاء فى دار يلقون بالعيش فيها دلا وعذابا مع ان حكماها يزعمون انهم إنما جاءوا للاصلاح . ان الشاعر لا يحتمل تسلط الاجنبى . ولا يقبل ما يحده مواطوه من عسف . ولا يصدق دعوى الاصلاح ولا يقبلها وان جاءت مبرأة من كل سوء ولذلك يصرخ فى وجه البريطانيين قائلا — اعدرونا اذا مللنا الدخيلة مطالبنا بالهلاء بعد ان بين رأيه فى الحكومة . من ثم يأخذ الشاعر فى مخاطبة اللورد الزائر . يقول له مضيفا مساوى اخرى إلى ما ذكر فى الايات الثلاثة الاولى :

أيهذا الزعيم اودى بنا الفقر	فعطفا قد صبرنا طويلا (١)
فقبیح ان ترتضى الذل دهرا	ونرى مالنا لكم مبذولا
كل يوم تبدل بثوب جديد	من دهاء فحسبكم تبديلا
علمتنا الايام ما قد جهلنا	ه فلسنا نطبق عبثا ثقيلنا
تلك عشرون حجة بعد خمس	قد تقضت وما شفيتم غليلا
فادعيت نشر الحضارة والعرفان	والشعب ما يزال جهولا
ما اكتسبنا الا الشقاء كسانا	سملا باليا وجسما نحيلنا

وهنا ايضا يظهر ضيق الشاعر بالاحوال فى بلاده . انه يرى الحكم الاجنبى « عبثا ثقيلنا » ويحصى عليهم عدد السنين « تلك عشرون حجة بعد خمس » وفى هذا كله مطالبة بالهلاء املاها ما احسه الشاعر وما وجده فى انظمة الحكم الثنائى واساليبه وفى سياسة البريطانيين بصفة عامة لا سيما ما يمس العلاقة بين مصر والسودان من تلك السياسة . ولعل اصدق ما يدل على ضيق الشاعر وثورته المعتملة فى صدره الايات التالية وما فيها من تساؤل ، يقول :

ويح قلبى ماذا يروم السبى	يوم وافى يجر سيفا صقيلا
جمع الجمع ، ارهب القوم حتى	اصبح السيد النبيل ذليلا

اقراه يريد يفصم جبلا بين مصر وبيننا موصولا
ولماذا تراه يملئ عليهم وتراه مدونا ماقيلا
حل من ملك الدخيل فجر المذيل واستمطر العذاب الويلا

استطاع الشاعر توفيق ان يوصل قصيدته هذى إلى مصر حيث وحدث طريقها إلى صفحات واحدة من كبريات الصحف المصرية وقد كان لذلك دوى في السودان وفى مصر . ولنتقل الآن إلى عبد الرحمن شوقى نتأمل بعض ابياته الثائرة التى جاءت فى قصيدة اوردها فى ملاحق هذا الكتاب . وهى القصيدة التى انشدها فى الاحتفال بميلاد النبى فى يوم من أيام سنة ١٩١٩ . قال :

أترضى ان اضام وانت حر	وتسمح ان تلين لهم قناتي
فحدث عن بنى النيلين قوما	بادني النيل أو اعلى الفرات
بانا ننتهى حسبا ومجدا	إلى ما بالجزيرة من رفات
يعز عليهم نحيا ولسنا	مثالا للشجاعة والثبات
وان لا يبصروا فى النيل قرنا	ولا بطلا يعد من الكمات
يجود بنفسه للموت حيا	بنيل الباقيات الصالحات
فليس الجود بذل دريهمات	لمسكين على قيد الحياة
بل الجود الممات على بلاد	ليحيا اهلها بعد الممات

هذه الايات التى اخترناها من تلك القصيدة تحمل استنكرا واضحا للضميم . وما هو الا تسلط الاجنبى . والشاعر يرفضه ويرفض ان يلين أو يستكين . ويذكر قوما بادني النيل أو « اعلى الفرات » بان قومه السودانيين يحذرون من اصول لا ترضى لهم ما هم فيه بل تريد لهم وتتوقع منهم ان يكونوا . مثالا للشجاعة والثبات وان يكون منهم المقاتل المستميت والكمى المقنع ليقدم حياته طمعا فى « الباقيات الصالحات » ورغبة فى رفعة شأن الوطن حتى يعيش المواطنون فيه عيشا كريما . هذا هو الجود . ولا جود غيره . وليس من الجود ان نبذل شيئا من المال لمسكين أو لمشروع انما الجود التضحية فى سبيل الوطن . ان مضمون الايات دعوة صريحة للجهاد فى سبيل الوطن . وتشجيع للمواطنين لحمل السلاح لطرد احكام الاحانب لان الموت افضل لمن يلقاه فى ميدان الجهاد . فموته يحيا اهل البلاد حياة عزيزة .

ان مدثر البوشي لم يدع لنجهاد دعوة صريحة كعهد ارحمى تنوقى الا أنه
كان تقومه اسقد مزير جارحاً ، وقد ناع فى بعض ذلك لمقد درحة الدم المحدد .
قال :

ارى زهرة الدنيا وشرخ شبابها	تبدل بؤسا ، بنس تلك المغارم
ارى ما ارى مذ ساد فى الناس واهن	وخارت عن الاقدام منا العزائم
سلام على الدين الحنيف وقتية	على عهدهم ترعى النهى والمحارم
تبدل ماضينا ولم تبق سنة	وصار لنا مما نعد المواسم
اذا شئت يا ذوات الثنايا تشاهدى	بنيك على مر الليالى فهاهم
اغاروا وقد انجذت لما تحولوا	عن العهد واستولى القياد سواهم
فبيناهم للامر والعرض سالم	اذا بهم يغضون والانف راغم
يقال وجمال لا وربك انهم	جديرون حقا ان يقال الفواطم
نفوس ابت فعل الجميل لاهلها	وايد الى الاعداء نعم النهائم
فما روع العلياء الا عمائم	تساوم فينا وهى فينا سوائم

الشاعر غاصب ، تشدد ماضى ، ولتحور قومه عن العهد . انه غضب ان هذا أدى
الى أن استولى القميدة سواهم وصاروا . وهم صاحب ماضى المشرق والمجد
التنيد تبعا . ان عصبة شاعر ترفى الى ثورة فيرسس الى اولئك ارجل الذين
فرضوا واستكنوا ويسميتهم مواظم . انهم لا يستحقون الانصاف بالرجولة فى
رأيه لانهم امتنعوا عن فعل الحمين . وصاروا عونا للمدخل على اهلهم وهم لهذا
أدنى ومها لم يعوذوا اهلا لشرف الجهاد وانعم خير وضهم فعلى غيرهم من
الشيب والشباب ان يعتبروا وان ينظروا الى الماضى :

احل نظر هى من مصى من دعينا	فهم عبد رب المائت صراعم
تخل لهم عن امره الدهر خاسئا	وسلم دولاب الحياة الاعاجم

وعندئذ يهبون همة رجل واحد ويخلصون بلادهم من المستطير ويتشلون مواظبيهم
مما تردوا فيه .

سلك صالح عبد قنادر نفس نسيل ولا عجب فصالح يعمل فى الحقل
الوطنى السرى كبعض هؤلاء لمتية الذين اتخذوا من المنابر فى المناسبات الدينية

سبيلا إلى نشر الوعي وبث كراهية الاستعمار في نفوس الشعب (١) . قال صالح في إحدى تلك المناسبات وقد كانت ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم :

يا صاحب القرآن نظرة مشفق	الدهر خان وحلت البأساء
عظفا على الاسلام ان شعوبه	اجتاحت وقد لعبت بها الاهواء
عاثت به ايدي الطغاة فبدلت	ازياءه فتجاهل العلماء

لو لم يكن ديننا قويا لأمححت	آثاره مد حانه الامناء
-----------------------------	-----------------------

يا امة هضم الزمان حقوقها	كم نهتك بوعظك الحكماء
لعبت بك الايام لعب مغامر	فتنبأت بمصيرك الخسراء
ما نلت من احداث دهرك راحة	ومن الحوادث راحة وعناء
حظ الممالك والشعوب تقدم	لكن حظك شدة وعناء
فبأى حكم قد هويت ولم تزل	فيك الشعور وتنطق الشعراء
ومن المفجائب ان تموت بلادنا	جهلا وفيها السادة العلماء
يا قوم قد لعبت بكم اهواؤكم	ولتخفكم قادتكم الاهواء
نتم وما نام الزمان وان من	طلب العلا ما لذه الاغفاء
خارت عزائمكم فمات شعوركم	والله يفعل ما يرى ويشاء
هل اوهن الاسلام الا اهله	ما ايدوه لانهم جبناء

يبدو انشاعر في مطلع ابياته اسيان كئيبا لما اصاب الاسلام - فقد « خان الدهر » و « حلت البأساء » ويعزو هذا إلى اسباب هي (١) تسلط الطغاة (٢) لعب الاهواء بشعوب الاسلام (٣) تجهل علماء المسلمين لكنه يمتلىء بشيء من الامل لان الاسلام دين قوى بتعاليمه وبصاحب القرآن الذي يحميه . ينقلب اسي الشاعر وكتابته إلى إلى غضب ثم يصب جام غضبه هذا في قومه فيصممهم بالضعف والجبن والغفلة ويلوم « الدهر » و « الايام » و « الزمان » على ما نالت بلادهم من (شدة وعناء) بينما الممالك الاخرى لقيت حظا وافرا من التقدم . والدهر والايام والزمان براء

الشاعر يريد الحكم الذى كان قائما آنذاك . الا تراه يقول :

فبأى حكم قد هرب وم تزل فبك الشعور وتطحن الشعراء
ومن المحجب ان موت بلادنا جهلا وفيها السادة العلماء

ماهو الحكم الذى يريد ؟ ومن الذى حكم عليها بما اصابها ؟ تردت وتحلمت
عن الامم . وفيها سادة علماء . لكن الجهل ما ران متمشيا . ل فيها شعراء
يستنهضون ضمير بشعرهم ويفيضون فى تمجيد الماضى وذم الحاضر ورغم ذلك
ماتت البلاد جهلا وخارت العزائم ومات الشعور . ان ثورة عارمة تعتمل فى صدر
الشعر وتخرج لنا فى هذه الايات ملتهبة بصيب اوارها نطفة « كما يصيب
قوم الشاعر .

ظهور اتجاهين وطنيين فى الانتاج الشعرى :

بدأ الحريجون هذه الثورة الأدبية التى تحدث عنها فى لفقرة السابقة وتولوا
قيادتها فى أنديةهم . وكانوا يبعون من وراءها بيتا لوعى وخلق الشعور الوطنى
تمثل هذا الشعر الذى تستهز له المناسبات الدينية (١) . فقد تبين هؤلاء الشعراء ان
الحكم الاجمبى لا يريد لامتهم ، يريدون لها . وتنت لهم انه يسعى لىسط نفوذه
وتقويته وضمان استمراره . فهاهو د يجمع كل هبة وطنية ويطش بكل من يرفع
راية العصيان والتمرد بطشا شديدا . انه ضئق يفعل ذلك فى السودان . وفى مصر
يسير سيرته هذى وأكثر . وقد كان للاحداث التى مرت بمصر وفى هذه
الفترة وقع خاص فى السودان (٢) لان كثيرين من السودانيين كانوا يرون فى
مصر رائدة يرتبط مصيرهم بمصيرها ، (٣) ولان جمهوره السودانيين ظلت من قديم
الزمان تكن لمصريين اخاء صادق . كل ذلك مع ما قامت به تلك الجمعيات

الاتحاد ولواء الأبيض نقل ثورة من رحاب الادب ، ومن ساحات المحافل
الدنية الى معقل بخندية فتكلمت اندافع وابداق معلنة ثورة الحود السودانيين فى
عام ١٩٢٤ ان قيام هذه الثورة لسلحة دليل على افلاح الشعراء والادباء السودانيين

١ - ملامح من المجتمع السودانى ، ٧١

٢ - الشعر الحديث فى السودان ع . بلوى ٣٧١

٣ - المصدر نفسه ٣٧١

فيما قصدوا اليه ولعلهم افلحوا لان ثورتهم الشعرية التي حركها السخط على الحكم الاجانب والثرم بالاحوال صاحبت بعض وقائع في السودان ومصر . تلك الوقائع التي بينت لعمواطين السودانيين نوايا البريطانيين واثبتت هم ان اولئك الحكام لا يتورعون عن فعل اى شئ في سبيل توطيد اركان حكمهم .

ان الثورة الآدية اثمرت ثورة مسلحة في سنة ١٩٢٤ . بعد ذلك ظهرت مرة أخرى في شكل جمعيات أدبية كونتها اندية الخريجين في كبريت مدن القطر . وظلت تلك الجمعيات ميدانا للادباء والمفكرين والمصلحين . يتحدثون وبناقشون ويتأظرون في شئون الادب وأحوال المجتمع السوداني سنين عددا إلى ان آتت بطريق مباشر أو غير مباشر ثمرات جناها المجتمع السوداني وفد منها خيرا كثيرا من هذه الثمرات « مؤتمر الخريجين » تلك الهيئة التي كان قيامها بداية العمل السيسى في احزاب منظمة فمن داخله ظهرت الافكار السيسية وخرجت إلى المجتمع السوداني وكان ان ظهرت الاحزاب السياسية المختلفة . ظهرت في قسمين كبيرين - قسم يدعو لربط السودان بمصر وعرف هذا القسم بالاحزاب الاتحادية وآخر يعارض هذه الدعوة ويرى ان يستقل السودان . وعرف هذا القسم بالاحزاب الاستقلالية . تبعاً لهذا التقسيم ظهر في الشعر الوطني السوداني اتجاهان : اتجاه اتحادي يقف في مؤازرة الاحزاب الاتحادية يدافع عنها ويدعو لها ، وآخر استقلالي يناصر الاحزاب الاستقلالية بتأييد افكارها ودحض حجج خصومها

الاتجاه الاتحادي :

من الشعراء الذين ناصروا في هذا الاتجاه مؤيدين عن ايمان داعين له عن رغبة انشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن الامين . وسنعرض فيما يلي نماذج مما نظم من شعر . ونتبع ذلك تفصيل الكلام في شكل ذلك الشعر ومضمونه - قال في قصيدة القاها في حفل وداعي :

مصر من سودن واسودن من	مصر - سواد العين والانسانا (١)
شعباهما شعب وخزاناهما	يوم القساء اراهما خزاناً
حتم على شعراء ان لا يكذبوا	أرأت حمرأ يكذب الاوطانا

ولقد وجدت من العروبة موطئا رحبا ومن اجوائها طيرا

ثم قال في قصيدة أخرى يعلن حبه لمصر :

لي في الكنانة من قديم
ابدا يؤرقني هواها
انا صب مصر قبل ان
وثقتي منها ومنها
واهزها وتزني
انا شاعر في وصفها
الدهر حب غير كاذب (١)
والهوى غاد فغالب
تنشأ وتشتجر المذاهب
ما أحسب من غرائب
والسر في هذا التجاوب
لكنها وحى المذاهب

وقال في وحدة وادى النيل :

ووحدة وادى النيل نحن دعائنا
ونأخذ بالامر الذى هو واقع
فان قيل تعلیم وقيل ثقافة
ولكن على الا نكون لها ظلا (٢)
وذلك حق ما اردت به بطلا
فان من التعليم ما يشبه الجهلا

وقال أيضا في رحيل الجيش المصرى عائدا إلى مصر :

نعم لمصر يعود الجيش هل علموا
وهل تنقل الا فى منازله
نبعان للنيل فى ارض الجنوب وفى
من قال قطر وقطر فهو فى نظرى
ان الكنانة والسودان صنوان
منازل النيل هل فى الارض نيلان
ارض الشمال لقد فاض المصيان
كمن يقول بان الواحد اثنان

ومما قال في اتفاقية الجلاء :

للنيل فى مصر والسودان من قدم
ما نخلة فى ربا السودان منبتها
ان كان فى حوضك الاحزاب قائمة
عهد تضمنه البردى قرطاسا
وفرعها باسق فى مصر مياسا
فانما انت جنس لست اجناسا

وله أيضا فى تأميم القناة :

وارى العروبة كلها رحما
وبنو العروبة هم بنو امي

١ - ديوان العروبة ، عبد الله عبد الرحمن الامين ٣٧ - ٣٨

٢ - ديوان العروبة عبد الله عبد الرحمن لامين ، ٤٤

أنا من يقول النيل جامعة
واقول ان العرب مملكة
وإلى اتحاد شامل قومي
تليت قضاياها على الضم
والقائمون بها اولو عسزم
ازجى حديث الشاعر القومي

ومن نظمه لمدينة بورسعيد بعد الاعتداء الثلاثي :

أما مصر والعروبة والسودان
ما لمستعمر لها من سبيل
لا شمال ولا جنوب ولكن
باعد الظالمون منا وقالوا
يوم كنا ولا تسئل كيف كنا
من يقيم الصلاة في عقر داره
ان يبين التاميز والنيل حيا
ليس بحر الشمال منه ولكن
يا سماء القنال صبي عينا
الهوى والشباب والامل المنشود
ابقي على الزمان عهدا
ما المستعمر له ان يكيده
هو شعب موحد توحيدا
ان مشى الجنوب كان وثيدا
من يقل مصر ارفعوه صعودا
يلاق الهوان والتشريدا
ابد الدهر فاقدا مفقودا
منه بحر الغزال يعوى اسودا
من فيوض التحرير لحنا جديدا
كل أبى علينا الركونا

ومما حبي به الجمهورية العربية المتحدة قوله :

بنى العروبة حبي الله دولتكم
ردت على العرب الاحرار غربتهم
كل امرئ عربى غير ذى عوج
فقل لمن بات خوف الغرب يخذله
حياكمو الله من لبي ومن نادى
كفى بمفتقد للعز تبعادا
تهمه العرب ان ترقى وتزداد
قضيت حيا ولم تستنفذ الزادا

ثم ها هو ذا يبين مذهبه فى الوحدة العربية :

انا فى الوحدة شيعى وهل
ان فى الوحدة توحيد وهل
كجمال من امام منتظر
ينكر التوحيد الا من كفر

ويضرب الامثال للصلة بين مصر والسودان بقوله :

للنيل فى مصر والسودان من قدم
لا المغريات ولا الاحزاب تصرفه
عهد قديم على بردية كتبنا
ولا السياسة اما حركت دنيا

يا نخلة هي رب السودان منبتها وفرعها باسق في مصر منسكبا

وفي قصيدة سماها « هدية العيد الاكبر » قال :

العرب كل وكل لا تجزئة هذى الدعاية ممن يفتري الكذبا
من المحيط الى شط الخليج ومن ارض الشمال الى ارض الجنوب جبا

يا وحدة اورثتنا حبة وسعت لا لغو فيها ولا تأثيم مرتقبها
انا نخييث والآمل واسعة والناس بالناس والدنيا لمن عليها
وقد تؤممه فيك لعرب قاططة والعرب تأميمها يعلو بها رتب

وعند عقد اتمام مياه النيل حتى الشاعر المتفاوض بقصيدة طويلة تختار منها :

مصر من السودان والسودان اذ يتفاوضان
يتنازعان اعنه الحسنى ولا يتنازعان

وبنعم الله الكبير وفضله تتحدان

ومما وصف به النيل النيل الذى يربط السودان بمصر قوله :

لم النيل مر هو ترف خمائله وتشدونشاوى ورقة وبلابله (١)
ولم بسمات لبشر فى كل صفحة صمن الاسى من بعد ما ران شامله
ولم يهرع الجمهور فى كل بقعة اوخره فى دهشة وواائله

ما ختام هذه التمدج فهو الابيات التالية التى فخر فيها بدوره فى الحركة الوطنية :

سل القوم فى استعمارهم هل تأودت فنتي وهل فى واجب اتردد
وهل كاذ فى شعري مهاده وهل دعت الى استعمارهم اتودد
ونى لاستوحى القوامى حرة وارمى به فى وحه من يتردد
فان تمنعوا لى وطيب حديثها على فنى كفى اليراع المسدد
عدمت لى ان الخران كنت منشدا من الشعر الا ما يقيم ويقعد

يعتبر الشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن من علماء اللغة العربية فى السودان فقد

درسها دراسة تخصص فوق اساس من التعيم الدينى تلقده فى امرته فهو ينتمى إلى بيت دين معروف . بعد التخرج واكمال الدراسة اشتغل بتدريس اللغة لعربية وادبها فى مدارس الحكومة . ومعنى هذا انه اضاف إلى الموهبة التخصص تم التطبيق فهو يقرأ ويقرئ . ويشرح لتلاميذه ويتحدث اليهم فى النحو والصرف والشعر والنثر . ولا بد ان يسبق كل هذا تأمل وتفكير ومراجعة اذ كان عليه ان يعلم تلاميذه فلا بد له ان يعلم اولاً ويتأكد من صحة ما علم حتى ينقله اليهم صحيحاً لذلك لا غرابة فى ان يحىء شعره سليم النية خالياً من الاخطاء النحوية . الفاظه فصيحة . وتراكيبه لا تخرج بصفة عامة عن قواعد البلغة ولا تسو عن الذوق . لكنه يورد فى احيان نادرة بعض الكلمات العادية فى مثل قوله :

اياك اعنى واحذرى يا جارة الوادى المقابل

فكلمة «مقابل» بالمعنى المراد ههنا من اللغة العامية ومعناها المكائد فى الحد وحرل . وكقوله :

قل لم راح حزينا بينكم لست منها انت عفريت الصور

فالكلمتان الاخيرتان فى هذا البيت تعبير عامى معروف .

ان ورود مثل هذه الالفاظ فى قلة من ابياته لا يقدح فى شعر الشاعر ولا يدل على قصور فى مقدرة أو عجز عن التعبير فقد ظهرت مقدرة فى قصائد أخرى وجاء تعبيره واضحاً وافياً . اننا قد نجد له العذر فى هذين البيتين فمقول انه ارد التيسر فى الاول كما اراد الدعاية فى الثاني .

احياناً أخرى يلجأ الشاعر إلى التكرار . تكرار الالفاظ كقوله فى الابيات :

لم النيل مزهوا ترف خمائله	وتشددو نشاوى ورقه وابلاله
ولم بسمات البشر فى كل صفحة	طمس الاسى من بعدما ران شامله
ولم يهرع الجمهور فى كل بقعة	واواخره فى دهشة ووائله
ولم ترقص الامواج يسبق بعضها	إلى الشط بعضاً تلتقيها سواحله

حيث كرر اداة الاستفهام اربع مرات الا انه تكرر يزيد من جمال لايات لان الشاعر فيما يبدو لنا اراد التعبير عن تعجبه لجمال المناظر وروعة المشاهد المختلفة

التي تخف مجرى النيل أو تبرز لعيان فوق سطح مياهه المتدفقة . انه مفتون بها ،
معجب بما تبديه لعينيه من روء يثير حيرته فيرتفع صوت هذه الاسئلة التي تدل على
ما تحيئ به نفسه . نه تساؤل المأخوذ ما يرى الخثر فيما يبدو لعينيه من مفتون
الطبيعة . عمد الشاعر إلى التكرار في نفس القصيدة فكرر كأن داة لتشبيه
ثلاث مرات في ابيات متتالية حيث قال :

كأن انعكاس الكهربية عشية على ماء سيف حتمه صياقله
كأن تحايد السم بوجهه لسرير وصاح احبين تقبله
كأن ورديس الجذن قنمست درجائه أو ان شئت يـمـثـله

وفي بيت من قصيدة أخرى يكرر أكثر من كلمة واحدة في ذلك البيت الواحد
واهزوز الشعب يساقط ثمر هزك النخل ففي الشعب الثمر
ثم يكرر الجملة الاسمية . انت حر « في بيت آخر من نفس القصيدة :
ايها الشعب الكريم المنتمى انت حر مستقل انت حر

وواضح ان المعنى يكتمل دون تكرار . ولاتدو حاجة لتأكيد بالتكرار لان كلمة
مستقل « تغنى عنه وتزيد عليه الانطلاق والاجابية يبعث الشاعر كذلك إلى
تكرار بعض ابيات قصائده . فالييت يرد في قصيدة ما ثم يرد في أخرى بلفظه
ومعناه ، وقد تغير احدى كلماته ومثال ذلك البيت :

يا نحلة في ربا السودان منبتها وفرعها بسق في مصر مياس
ان الشاعر يورده في قصيدة أخرى مع تغيير لفظية . فيقول :
يا نحلة في ربا السودان منبتها وفرعها بسق في مصر منسحبا
والبيت :

شعوب آسيا وأفريقيا تهش له ويقرأ الناس لتاريخ ما كتبنا
يرد بلفظه ومعناه في قصيدة أخرى :
شعوب آسيا وأفريقيا تهش له ويقرأ الناس لتاريخ ما كتبنا
كذلك البيتان :

أنا نؤم فيك العرب قاطبة والعرب تأميمها يعلو بها رتبنا
ولولا جمال ولولا صدق ثورته بنو العروبة أمي حبلها اضطرب

يردان في قصيدة أخرى بنفس الفاضل مع تعبير يسير جدا في ولهمما :

وقد نؤم فيك العرب قاطبة ولعرب تأميمهم يعنو بها رتبنا
لولا جمال ولولا صدق ثورته بنو العروبة أمي حبلها اضطربا

هنالك بيت آخر يورده الشاعر في قصيدتين من قصائده دون أي تغيير أو تقديم أو تأخير في لفظ من الفاظه فهو :

معلقات على الوادي قصائدنا مرابطات ترد الشك والريب

حيث نجده السابع والعشرين في قصيدته عيد الدستور والخامس والستين في
في قصيدته هدية العيد الأكبر . وفي ثلاث قصائد أخرى جاء الشعر يشطر
بيت مرة في كل منها مع تغيير في بعض الالفاظ . ففي أحداها ورد الشطر هكذا :
وقضت على فرق تسد في مهدها

وفي الثانية :

فرق تسد ابطلت باطلها

وفي الثالثة :

وقضى على فرق تسد في عهدهم

إننا لا نستطيع أن نجد عذرا للشاعر في تكرار الأبيات أو انصافها في أكثر
من قصيدة . ولأنحسب أي من تلك القصائد تسوء أو تقل قيمتها الفنية أو الوطنية
إذا اسقط منها أي من تلك الأبيات أو انصاف الأبيات . ولا نحسب كذلك أن
الشاعر أوردتها مكررة هكذا دون قصد . وعليه فالعذر الوحيد الذي يتبادر إلى
أذهاننا هو إعجابه بتلك الأبيات وتلك الانصاف .

أما من حيث النظم فقد سلس للشاعر قياد لاوزن . ولم يقف في أي بيت
من أبيات قصائده التي نظرنا فيها على خلل في وزن . كذلك جاءت قوافيه سليمة
خالية من القلق أو الاضطراب . ونحلا شعره من الزحرف اللفظي المتعمد لذاته
وأكثر ما استعمل من أنواع البيان التشبيه والاستعارة . ومال إلى التشبيه البليغ أكثر

من غيره لما فيه من قوة الدلالة فالمشبه فيه هو عين المشبه به . وجاءت تشبيهاته كلها
بسيطة لا تكلف فيها ولا مبالغه . وها هي ذى نماذج من البليغ :

هل مصر والسودان الا	في رباه عشيرتان
وربيستان بحجره	وعلى هواه مقسمتان
.....
ان في الوحدة توحيدا وهل	يكر التوحيد الا من كفر
فادخلوها بسلام انما	جنة المأوى وطيب المستقر
خلت السيوف سيوف الهند اوجهكم	لما اتخذتم من الاوطان اغمادا
.....
ورى العروبة كلها رحم	ودو العروبة هم نو امي
.....
الا من يقول النيل جامعة	تليت قضاياها على الضم
.....
مصر من السودان والسودان من	مصر سواد العين والانسانا
.....
اولا تراها كتلة طلعت	شها على انشيطان بالرجم
.....
هل جنة الخلد الا في ديار كمو	لقد نزعتم لها غلا واحقادا
.....
انا في الوحدة شيعي وهي

ومن غيره :

..... وهل	كجمال من امام منظر
.....
وقوافي النظم والسر اذا	رمتها جاءت كسيل منهمر
.....
كأن انعكاس الكهرباء عشية	على مائة سيف جلته صياقلة

اسارير وضاح الجبين تقابله
بارجائه أو ان شيئا يماثله

قص الرئيس جمال قصة عجا
قد يأفكون فكان الداعي الاربا

كأن تجاعيد النسيم بوجهه
كأن فراديس الخنان تنفست

لواقع عربي غير ذى عوج
القي بها كعصا موسى تلقف ما

ومن استعاراته :

اذ يتناوضــــــــــــــــان
الحسى ولا يتنزــــــــــــــــعان

مهما التوى تتصافحان

لا لغو فيها ولا تأثيم مرتقبا
والعرب تأميمها يعلو بها رتبا

وفرعها باسقى فى مصر مياسا
فانما انت جنس لست اجناسا

من فيوض التحرير لمحن جديد

بيض وجهك والثرائب
المرسلات من الذوائب

منك المنى فى موكب ضخم
يبنى ويهدم بلقنا الصم

اذ لم يكن فيه من يخنى لها راسا

مصر من السودان والسودان
يتنازعان اعنه

ويداهما مهما رمت

يا وحدة اورثنا جنة وسعت
وقد نؤمم فيك العرب قاطبة

ياخلعة فى ربا السودان منبتها
ان كان فى حوضك الاحزاب قائمة

يا سماء القنال صبى عينا

وعليك من نسج الشمال
وعليك من نسج الجنوب

يا يوم عمورية احتضت
قد جئت للدنيا بمعصم

ويقبل الشعب دفاعا بموجته

كنانة الله القت من كنانتها	سهما له اوجس الاعداء ايجاسا
على القدل قريبا من ديارهمو	نارا تراءت من السودان اقباسا
.....
نحت السمينة من اعاصير الهوى	ونجت بربان السمين المهر
.....
العرب من خنف المحيط إلى	شط الخليج إلى قوى العجم
القت على الجودى مراسيها	فمشى بها الجودى للسم

انما عندما نتأمل هذه الاستعارات وهى بالطبع قليل من كثير سقناه على سبيل المثال تبين لنا في جملتها من الطراز القديم المألوف من شعراء العصور الماضية والمعروفة في اوساط الأدب والأدباء فالشيخ الشاعر لم يصف جديدا إلى ما القنا وعرفنا الا في اثنين من استعاراته . اما الاخريات فالمعنى المستعار في كل منها واللفظ الدال عليه هم مما اعتبره الاقدمون مثالا يحتذى ويقاس عليه أو يشبه به لقربه من الكمال ففى قوله « يتنازعن أعنة الحسنى » يشبه الحسنى بالفرس ، وفى قوله « يا وحدة اورثند جنة » يشبه البلاد بعد الوحدة بالجنة . وفى البيتين « وعلىك من تسج الشمال ... الح » يشبه مصر فى ارتباطها بالسودان بالحساء ذات الوجه الابيض والثرائب البيضاء وقد زان هذا البياض سواد الدوائب اما يوم تأميم القناة فيشبهه يوم عمورية ويجعل من جمال عبد الناصر معتصما آخر . هكذا سلك الشاعر سبيل زملائه القدامى وانتزع بعض تشبيهاته من بيئة سائلة (تشبيه يوم التأميم بيوم عمورية) - اننا لا ننتقص من قدر اولئك الشعراء وفنهم ولا نعيب بيئاتهم . فقد نتجوا لنا أدبا حيا رفيعا فى تلك البيئات الفنية المتحضرة لكننا نأخذ على شاعرنا انه يكثر من الاتكاء على الاسلاف .

أما الاستعارتان اللتان استثنيناهما لانه لم يتأثر فيهما بالاقدمين فاولاهما :

يا نخلة فى ربا السودان منبتها وفرعها باسق فى مصر مياسا

انه يشبه فيها امتداد وادى النيل من وسط أفريقيا إلى حوض البحر الأبيض المتوسط بامتداد النخلة من مبيت جذورها إلى فروعها العليا . وهذا التشبيه يصور قوة الصلة بين مصر والسودان ويبرهن متانة الارتباط ، فالسودان يمثل الجذور والخذع

ومصر تمثل نفروع الخضراء بسعفها وبلحها . ولا غنى لاي من هذه الاجزاء عن الآخر . هذه الاستعارة في الاصل مأخوذة من قول سيسى بريطاني اوردته في احد كتبه . وتناقله الناس وانتشر في الاوساط السياسية في مصر والسودان بان المعركة السياسية التي دارت بين دولتي الحكم الثنائي بسبب وحدة وادي النيل . بنى الشاعر استعارته على هذه القولة . فقد اعجبته لدلالاتها القوية على مدى الارتباط بين القطرين . ولا صلة لها بالتقديم . وثانيتها في قوله .

وقد نؤمهم فيك العرب قاطمة والعرب تأميمها يعلو بها رتبا

هنا يستعمل الشاعر التأميم بمعنى التوحيد ومعناه المعروف في لغة العصر استيلاء الدولة على املاك الافراد والجماعات تحقيقا وتعميما لمنفعة . اما جمع الامة العربية بشعوبها واقطارها في كيان واحد او توحيدها في دولة فلم يقل عنه فيما نعلم « تأميم » . ولم يستعمل واحد من الشعراء أو الساسة فيما نعلم هذه المادة « امم » أو احد مشتقاتها في « وحد » أو احد مشتقاتها . ان الشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن ابتكر هذا الاستعمال بتوسعه في معنى التأميم وهنا ايضا لم يتكئ على اسلافه اولئك الشعراء الاقدمين المجيبين . مع انه اعتمد عليهم في مواضع كثيرة . وها نحن اولاء نورد منها قوله :

فقل لمن بات خوف الغرب يخذلهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

وهو من قول الخطيئة :

قوم هم الانف والادنانب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

وقوله :

فعلست ان المستحيل ثلاثة ابقؤهم والعول والعنقاء

من القول المنسوب لابن الفارض :

وعلمت ان المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخل الوفي

وقوله :

ومن يغرب يحسب عدوا صديقه جرى مثلا للغرب « دالاس » اقصد

من قول زهير بن ابي سلمى :

ومن يغترب بحسب عدوا صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

وقوله :

كلما انبت الزمان قناة ركب بورسعيد فيها الحديد

من قول المتنبي :

كلما انبت الزمان قناة ركب المرء فى القناة سنانا

وقوله :

يا صاحبي تقصيا نظريكما اذ تنظران

من قول ابي تمام :

يا صاحبي تقصيا نظريكما تريا وجوه الارض كيف تصور

وقوله :

اقبموا بنى أمى صدور مطيكم بصدق فعال لا يصدق كلام

من قول الشنفرى فى لامية العرب :

اقبموا بنى أمى صدور مطيكم فانى إلى قوم سواكم لامليل

وايياته الثلاثة الآتية التى ورد كل منها فى قصيدة مختلفة :

١ - اين النواطير التى نامت على قفز الثعالب

٢ - اين النواطير التى نامت على قفز الثعالب فى الزمان الغابر

٣ - نامت نواطير الامور وقد بشت ثعالبها من الكرم

من قول المتنبي :

نامت نواطير مصر عن ثعالبها وقد بشتن فما تفنى العناقيد

وقوله :

ما عاد مستنسرا فينا البغاث ولا عدن نفكر فيمن جد او لعبا

من قولة قديمة هى :

ان البغاث بارضنا يستنسر

وغير هذا كثير ، الا اننا نريد التمثيل لا الحصر .

اذا انعمنا النظر فى معاني الشاعر نجد انها على وجه العموم بسيطة لا تعقيد فيها واضحة لا غموض فيها ولا ابهام . كما انها خالية من العاطفة . انها لا تستعصى على القارئ . ولا تضطره الى التوقف او اعادة القراءة . ان هذه البساطة تقرب معاني الشاعر من الاذهان . لكن خلوها من العاطفة يبعد بها عن شدة الاسر ولعمق ولناخذ مثالا لذلك هذا المعنى الكبير الذى يتناوله الشاعر فى ابياته الآتية :

انما مصر والعروبة والسودان	ابقى على الزمان عهدودا
ما لمستعمر ها من سبيل	ما لمستعمر له ان يكيـدا
لا شمال ولا جنوب ولكن	هو شعب موحد توحيدا

قرر الشاعر ههنا ان مصر والعروبة والسودان تربطها عهود باقية بقاء الزمان لكنه لم يبين لنا كيف يكون ذلك . ولماذا يكون ، ولم يشعرنا كذلك بما يراه فى هذا القرار أو ما يثيره فيه من مشاعر . قرر فى البيت الثانى ان لثلاثة قوة تمتع عنها كيد المستعمر وترد عوادي الاستعمار ووقف عند قراره ولم يبين مصدر تلك القوة ومداها ، ولم يكشف لنا عن الشعور الذى تثيره فيه تلك القوة أو فى غيره من المواطنين . ولم يوضح لنا ما يتوقعه من تلك القوة أو ما يريد به ها من وقع على المستعمر وفى البيت الثالث جاء قرار ثالث لا يسبقه انفعال شخصى ولا يحيط به شعور ملتهب . ان هذا المعنى الكبير من صميم عقيدة الشاعر السياسية . فقد أعلن ذلك فى أكثر من قصيدة الا أنه — فيما نرى لم يتعمق فى معانيه فجاء بها سطحية .

وجدت ثقافة الشاعر الدينية طريقها إلى شعره فظهرت فى عدد من قصائده الا أنها لم تخرج بمعاني الشاعر إلى رحاب العاطفة الفسيحة ومسارح الخيال الواسعة مرة واحدة انما اضفت عليها شيئا من روح الكتاب الكريم وابانت مدى ما يعرفه الشاعر منه ، وها هى ذى ابيات ضمنها الشاعر آيات أو كلمات من اقرآن :

وتعالى ظلمات بعضها	فوق بعض — انها احدى لكبر
دقت الساعة وانشق القمر	قمر الصنعة لا اعنى القمر
.....
القي بها كعصا موسى تلقف ما	قد يأفكون فكان الداعى الارب

تزاور الشمس عن كهف وفتيته	ذات الشمال ترد الروح ان ذهب
.....
وقل عملوا فيها مذهج برة	يا ايها الانس انك كادح
.....
انا في الوحدة شيعي وهل	كحمال من امام منتظر
ان في الوحدة توحيدا وهل	ينكر التوحيد الا من كفر
فادخلوها بسلام انها	حنة المأوى وضيب المستقر
.....
وكأن الاله قال لنا في الحرب	كونوا حجارة أو حديد
اخرجوا من بلادنا صوت شعب	كان شيطانه عليهم مسريدا
.....
قد شربوا امس حب لعجل وفتنوا	واليوم قد نكروا الاضلاف وانذبا
ثبت يده ابو طب فلست ارى	كالغرب يحمل فيما بيننا الخطبا
.....
وقرأت في القرآن قيضا لهم	قرء قلست فزين لقرناء
انا وجدنا ريح يوسف	قسيما تتحركان
كم راعني سبع عجاف	تأكل السبع انسان
.....
دع الوشاة ودع ما يهرفون به	قميص يوسف مملوءا دما كذبا
.....
وقلت لهم يا ايها النمل فادخلوا	مساكنكم لا تحطمنكم ويد
.....
فقلست للمريد بناكرة	تلك اذن كرة خاسرة

ان الخيال في شعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن يتسم بالبساطة ويتعد عن العمق ناهيك بالحموح . وكثيرا ما حسنا ونحن ننظر في بعض لقصائد ان الشاعر لا يرغى لحياله العنان حتى ينطلق فيولد المعني ويبتكر المشاهد ويؤلف منها مشهدا

واحدا مكتملا رائعا . ففي قصيدته القاهرة المتحررة لا يصل خيانه إلى أكثر من تشبيه تلك المدينة الكبيرة العريقة بحساء « بضرة » ثم يأخذ في تعداد ما تمتاز به المدينة شيئا بعد شيء دون أن يغوص إلى أصول ما عدد أو جذور ما استهووه فيها من نهضة - قال :

شجنتنا بالحسانها القاهرة	وحيت باوجهها الماضرة
وجوه على النيل وضاءة	ودنيا جمالها ساخرة
والقت عصاها والقيتها	كلانا بها ساحر ساحرة
وطارحتها عن شهى الحديث	وحالستها بضرة سامرة
وكم من نواد تيممتها	فالقيتها حلوة المادرة
لئن كنت في جها شاعرا	لمصر احسيسها شاعرة
وجوه الحياة بها غضة	وفلك الحياة بها ماخرة
وفي كل واجهة كم يد	صنع وفي صنعها ماهرة
وفصحى اللفت على نورها	تحاك وانفاخ وانفورة
وانت من الارض ام ارضك	السماء وانجمها الزاهرة

كان في مكنة الشاعر أن يخلق بخياله في تاريخ القاهرة الملىء أو في ماضى مصر الخافل ففي كليهما مادة دسمة وأحداث جسام مختلفات . كل ذلك يمكن أن يستغل الخيال المنطلق فيخلق منه المثير الدقيق المعجب . الا ان الشاعر أثر التعداد - لذلك جاءت الصور - على كثرتها في قصائده - مفردة لا تعدو تشبيه شيء واحد بشيء واحد حتى ان كان المجال متسعا لصورة مركبة تبدو لوحة رائعة مع انها من الفاظ ، ففي الايات الآتية :

كأن انعكاس الكهرباء عشية	على مائه سيف جلته صياقله
كأن تجاعيد النسيم بوجهه	اسارير وضاح الجبين تقبله
كأن فراويس الجنان تنفست	بارجائه لو أن شيت يماثله

يصف الشاعر النيل وقد انعكست انوار المصابيح الكبرائية في صفحة مائه وهب النسيم مجمدا الصفحة ليتشبع بشيء من رطوبة الماء ثم يمر عليلا بليلا كانه خارج من الجنان وهذه مناظر متعددة يمكن ربطها ببعضها لتكون صورة واحدة يرى

فيها القارىء أو السامع نوحة جميلة للنيل هي النيل ناطقة بجمال الطبيعة الحى . الا ان الشاعر فرقها فافقدها . الكثير من الحيوية والجمال . يقد مثل ذلك عن قصيدته التي وصف فيها الطبيعة في السودان حيث قال :

كم للطبيعة في السودان من فتن	وكم لاطيارها من سحر الحان (١)
ما أكثر الملهمات الشعر فيه وما	اجدها للاديب الهادم الباني
الرمل عند ضفاف النيل تحسبه	لنفس الشفاء جلاها يفض اسنان
ما للكهارب سلطان على قمر	ولا على الشمس سلطان لبنيان
.....
كم بالجزيرة أوسهل التضاريف من	مزارع حلوة المرأى وغيطان
وقرية ذهب في جودها مثالا	ومنزل فيه تتلى آى قرآن
والقوم سمر وجوه يسرعون إلى	ما ينبت العز من اكرام ضيفان
.....
هناك في كردفان اى متسع	للطرف في بارة اوارض خيران
حيث البداوة فى احلى مظاهرها	والابل طالعة من بين كئبان
ما اجمل الريف مصطافا ومرتبعا	وغادة الريف فى عين وغزلان
الحد لم تجر موسى فى جوانبه	والجيد من حسنه عن زينة غان

هنا فى هذه الابيات يتغنى الشاعر بجمال بعض مناطق السودان ويبدو مفتونا بمظاهر الطبيعة فى تلك البقع فخورا باخلاق مواطنيه مما يدل على تمسكه بالقومية السودانية . لكن هذه الابيات أو القصيدة كلها على الاصح لا تروقنا من الناحية الفنية فالشاعر اتبع فيها طريقته التي تحسبنا عنها من قبل وهى طريقة التقوير والتعداد . فجاءت مجردة من الانفعال العاطفى خالية من الصور الجميلة الحية .

من شعراء الاتجاه الاتحادى حسن طه (٢) صاحب ديوان ، هدف الجماهير ، وقد ضم ديوانه هذا غناؤه لوحدة وادى النيل . وه نحن اولاء نعرض نماذج من

١ - ديوان العروبة

٢ - تخرج فى كلية ، اردون لتقديمه وعمل موصف فى اسكندرية ثم تركه واشغل بالتدريس

ولد فى ام درمان عام ١٩١٤ .

شعره ثم تناولها بالنقد فيما بعد .

قال في قصيدة عنوانها « الاسلام » :

ساغنى اذن باغنية النيل	لدى المهرجان فى كل عيد(١)
مزهرى حكمة الخيفة فى الناء	دى وللوحدة الحليلة عودى
فاسمعونى مع الزمان اغنى	يا لىالى البشير بالعز عودى
واسمعونى مع الحداة اغنى	يا سماء الفخار بالنصر جودى

وفى أخرى عنوانها « وخزات الضمير » قال :

كل من فى القطر مسجـ	سون وربى وكتابه(٢)
اى فرق بين من	فى السجن امضى فى رحابه
والذى لا يأنف الذـ	ل حرى بعقابه
ليت هذا النيل حر	وطليق فى انسيابه
انا منفى لاني	است ذئبا من ذئابه
غـلـلوه ، كبلوه	جردوه عن ثيابه
ثم هذا مبضع السا	سة يمتى فى احبابه
قطعوا اوصاله كى	يقنموا عند اغتصابه
زار الوادى زئير الـ	أسد فى آكام غابه
انسوا ان الدم المسفو	ح من بعض خضابه
ويحهم ضلوا سبيل	الحق مالاذوا بيسابه

وفى احد اعياد هجرة الرسول نظم قصيدة جاء فيها :

ما زل عرق اعرب فينا نابضا	حيا يعز على انتهى ان ييترا(٣)
من مبلغ اسلافنا وهم الالى	قهروا الزمان باننا كن نقهرا
عبث الزمان اذا اراد بهلنا	سؤا وابدى ناجذيه وكشرا

وقال فى قصيدة نظمها لما دعيت الامة لاجتماع سان فرانسكو الشهير :

١ - هتاف الجماهير - حين طه ٢٥

٢ - المصدر نفسه ٣٠

٣ - هتاف الجماهير ٥٦ - ٥٧

حرية ما احببها غدت وطرا
حرية هي نجوى كل مؤتمر
من دونه انخطى جل اوطارى^(١)
نيلية الاصل سودانية الدار

✽ وقال عن سياسة الحكومة في السودان :

أرأيت كيف الحكم في السودان ينكره القضاء^(٢)
ورأيت كيف العدل في ارجائه عمدا يساء
كيف الاسى والذل يفرضه علينا الاوصياء

✽ وقال عن معارضى وحدة وادى النيل :

حسبهم يا نيل نعمى
كلما ارويبتهم زا
ملئوا منها العيابا^(٣)
دوك هما واكتشبا
الى خانوا الكتابا
كيف يوفونك بالعهد

وخطب مؤتمر الحريجين في احد اجتماعاته قائلا :

قضية النيل قد فصلتها فغدت
فلن ترى النيل اشلاء ممزقة
حقا يمزق للمأجور دعواه^(٤)
الا اذا غير السكسون مجراه
لييك مؤتمر السودان امض بنا
وان شئت الدماء فانت اليوم ترعاه
من خلفك الشعب ان شئت القداء
السيف الوحيد الذى لم يبق الا
ما انت الا لسان الحال انت له

وفي احتفال بعيد الجهاد قال :

وحدة التاج والدفاع سلاح
قل لمن يرفض السيادة اعرا
يقرق الانجليز منه سدادا
ضا لكى يلبس البياض السوادا
سوف نحيا اخوة اندادا
ان معنى سيادة التاج انا

وقال في الاحتفال بيوم التعليم :

الانجليز هم قوم لبانتهم
ان يسحقوا الشرق أو تحنى نواصيه

١ - هتاف الجماهير ٦٢

٢ - المصدر نفسه ٦٣ - ٦٤

٣ - هتاف الجماهير ٦٥ - ٦٦

٤ - المصدر نفسه ٧٠

حسب البلاد عناء ما تعاناه
لنا شأن وكان لنا مما نرجيه

قالوا رفاهية السودان غابتنا
لو نبعث الصيحة الكبرى لكان

نظم الشاعر قصيدة طويلة ودع بها قائد الجيش المصرى . وقد جاء فيها :
من رسولى إلى الطغاة فكم ذا
افسدوا جادة الطريق ولو لا
ها هم الغاصبون قد تركوا النيل
غرسوا بذرة الشقاق بواديه
قل لهم خراب سعيكم فذرونا
نحن بعد الجلاء اهل وقربى

وقال فى أخرى :

حقير وانما هو ابتر
فى رباها كما تهادى الكوثر
ليغنى بخيرها مانسستر
ها بحرية المعز وجوهر

اجر يا نيل ان شائك اليوم
ان واديك جنة تنهادى
غير ان الدخيل يسلبها الخير
اجر يا نيل الكنانة ذكر

اما قصيدته « باقة الوادى » فقد جاء فيها :

عنا فيحيا مع الاحياء واديننا
متنا اذن قبل ان تفنى مبادينا
يا ليتهم حكموا هذى الموازين
بل انها السيف ذو الحدين مسنونا

فلتحى وحدة وادى النيل نخرجهم
تلكم مبادؤنا ان مسها عطب
الشعب افضل ميزان لدعوتنا
ارادة الشعب فوق الحاكمين اجل

ومن قصيدة طويلة القيمة فى جمع المتظاهرين نختار الايات الآتية :

ان يك الغاصب قبل اليوم ظن الشعب عبده (١)
فاستغل الجهل عوننا واستباح الفقير عبده
واذاق الشعب صابا وهو يستجديه رفده
واذل النيل بالقوة كى يحتل ورده
قل له قد هب وادى النيل لا يألوك جهده

وفي أخرى عنوانها « كفاح الشعب » قال :

فيا شعب وادى النيل حقتك ضائع
صراعا يرى المستعمرون مضاءه
إذا لم تقف دون الحقوق تصارع
عليهم جحيما تصطليه المضاجع
فليس الاماني دونها البون شسع
تحرك مليا ايها الشعب نحوها

خاطب الشاعر جمعا حافلا في ليلة سياسية قائلا :

يا شعب جلادوك ها هم
لم يكفهم ان نكافح
في السلاح مدججونا
للغذاء مصنفينا
في الدماء مضرجيننا
كما يشاء الحاكمونا
فليسفكوا دمنا الزكي

وقال في تأبين المجاهد علي عبد اللطيف :

فما الموت ان تذهب الروح عنا
ولكنه ان تعيش طليقا
وان يقبر المرء في خده
ونيلك يرسف في قيده
لقد سطر الخلد نارا تلظى
فاروى له الخلد من زنده

ودونك ان تستكين والا فاحشد قواك إلى طرده

ومن قصيدة وجهها إلى المغفور له السيد اسماعيل الأزهرى لما اعتقل مع عدد من زملائه المجاهدين نختار :

وضح الصبح جهرة للعيان
المواثيق لم تعد تتمشى
ورأت مصر محنة السودان
مع باغ يشتط في العدوان
والاباطيل لم تعد تتنافى
مع ما يدعيه من بهتان

يتضح لنا من هذه النماذج التي عرضناها ان الشاعر حسن طه آمن بوحدة وادى النيل ايمانا قويا فدعا لها دعوة ثائرة . نقول هذا لانه في شعره نقد حكام السودان نقدا مريرا مفصلا فقد ذكر ما يعانيه المواطنون على اختلاف طبقاتهم . فالموظف والعامل والزارع ، كل منهم عني من وطأة الحكم . وكبد ما كابد من معاملة الحاكمين . مثال ذلك قوله :

كل من في القطر مغبون يعاني اليوم سهره

طاويا الا اذا مرغ مثل الكلب خـ
 فاذا ما صاح فى وجه الطفأة المستبده
 جائع مترفع يشكو إلى الحاكم وجـ
 قال حـدوه فكان السجن والتشريد حـده
 ها هو الكاتب فى مكتبه يندب جـده
 قد رأى الغاصب يستترفه جهدا وجهـده
 ولديه من نعيم العيش ما يعييك سرده
 فاذا ما قال انصفنى غدا التنكيل رده
 غضبوا منه وقالوا انه جاوز حـده
 ها هو الزارع لا يحسنى برغم الكد كـده
 حظه الاشواك مـ الشهد فلا يطعم شهده
 حسبه البؤس الذى اضناه عدوانا وهـده
 يحصد العمر أجسيرا انما يجهل حصـده
 فاذا قلنا لهم اعطوه كى يتقذ ولـده
 غالطوا فى اجره قالوا لنا لا شىء عنـده
 ها هو العامل منهوك تحال الشن جـلده
 يتفاني كلما اغروه كى يبذل جهـده
 فاذا ما طلب القوت الذى يكفل زنده
 اعرضوا عنه وخلوه يعانى الموت وحـده

كذلك ندد بسياستهم فقال انها تحرم على المواطنين الكلام فى شئون بلادهم كما
 تمنعهم التنقل فيها وتحول بينهم وبين خيراتهما المباحة لهم بوصفهم الحكام ولغيرهم
 من الاجانب ويتمثل هذا فى قوله :

تلك السياسة طيها مكر وظاهرها رياء
 ايان حل ركايبهم فعلى المسرات العفاء
 تؤذيهـم ضحككاتنا ويسرهم منا البكاء
 قالوا البلاد فقيرة وجيوبهم ملئت ثراء

قد كمموا الافواه كيلا نملأ الدنيا استياء
وتفتنوا في القيد كي لا نذرع الارض الفضاء
وابوا علينا افة الشاكي وصيحات الرجاء
قد اياستنا رحمة الأرض فما شأن السماء

ويدو لنا من نقده ذاك المرير المفصل ومن تنديده بسياستهم انه لا يرجو منهم خيرا
ولا صلاح ولا يرى في مسلكهم واسلوبهم في الحكم بارقة امل لذا قال في غضبة
البائس أو يأس الغضبان :

قد اياستنا رحمة الارض فما شأن السماء

لهذا كله دعا إلى الثورة في عدد من قصائده والحث في الدعوة . ومن ذلك قوله
لشعب وادي النيل لا لشعب السودان وحده :

فيا شعب وادي النيل حقلك ضائع اذا لم تقف دون الحقوق تصارع
صراعا يرى المستعمرون مضاءه عليهم جحيما تصطليه المضاجع
إلى ان قال :

فليس الكفاح الحق تأليف خطبة وما هو نظم في الحماسة رائع
وبكنه سجن ونفى وشدة وضرب وحرب تصطفي ومواقع

وقال في أخرى :

ها هو النيل المفدى ظل يستنجد أسده
ها هي القوة تغلى في دم السودان حده
ها هي التيران تجتاح الالى ييغون وأده
ها هي الثورة كالبركان تدوى بل أشده

وقال حاثا على التضحية :

يا شعب دونك ان تموت وان تعيش مع الذينا
ساموا لوادي النيل أنفسهم فكانوا خالدينا

انه خاطب شعب وادي النيل لايمانه بالوحدة وهي في رأيه حقيقة تاريخية وهي

وحدة تكوين واثبت ذلك في قوله :

يا وحدة اثبت التاريخ نشأتها
مصر هي الرأس للسودان .. لهم
مذ عهد خوفو ومذ توت عنخ آمونا
كلاهما وحدة جسما وتكويننا

ودعا شعب السودان ووادي النيل إلى الثورة لتحقيق الوحدة في أكثر من قصيدة
ومن ذلك ما جاء في هذه النونية وهو :

يا شعب سر نحو الحياة وخض
ان كان للحق دون الموت من أثر
بحر الدماء فليس العمر مضمونا
نحيا والا فان الموت يدعونا

وهو في ثورته ودعوته للثورة يتجه احيانا إلى الزعماء يستحثهم على التمسك بها
ويعلن هم تأييد الشعب واستعداده لقتال ، ويتجه كذلك إلى معارضي الوحدة وهم
— خصومه في السياسة — باللوم والتقريع والاتهم احيانا — اما ما قاله لزعماء فتمثل
له بهذه الابيات التي خاطب بها السيد اسماعيل الازهرى :

وحدة النيل في يدك سلاح
فضحت كل مرجف يتعامى
سر بها مؤمنا فخلفك شعب
ليس يخشى كتائب الفرسان
كان أمضى من مرهفات السنان
ودعت كل من له وجهان

واما الخصوم الذين عارضوا الوحدة فقد قال فيهم :

حسبهم يا نيل نعمى
كلما ارويتهم زأ
كيف يوفونك العهد
الالى خانوا الكتاب(١)
ملئوا منها العبابا
دوك هما واكتسابا

جل وادي النيل اذيو
وى مع الاسد الذئابا
.....
.....

ومن قوله فيهم ايضا ذا ما ، مهددا :

جواسيس للأعداء عون وساعد
سماسرة هذا يساوم شاريا
وهذا يمني بالارائك نفسه
ولكن علينا أعين وطلائع
وهذاك في سوق السياسة بائع
وهذاك في ظل الارائك قابع

.....
وان كشفت يوم الحساب المراجع
متى ازدهمت بالكادحين الشوارع

.....
فياويلهم ان يحكم الشعب نفسه
سيلقون عند الكادحين جزاءهم

انذفع الشاعر حسن طه يؤيد وحدة وادي النيل بنفس الأسلوب — هجوم على حكومة السودان يخصى به مثاليها ويعتد أخطاءها ويكشف فيه نواحي قصورها ، ودعوة لثورة يوجهها لمواطنيه مبشرا بحياة أفضل ثم هجوم على الخصوم يضمه نقدا لاسلوبهم في السياسة وشكا في دو فечهم . سر على هذا النهج في معظم قصائده وبذل جهدا في التعبير عن رأيه واحساسه للأدباء والسياسة والمواطنين عامة مستعينا بمجموعة من التشبيهات والاستعارات ، وقد جاءت التشبيهات أكثر ومعظمها من البليغ ، وها هي ذى امثلة منها :

.....
من دونه سيفا صقيلا مشهرا
من دونه حكما نزيها مبصرا

.....
دين الحنيقة سيفنا لا نبتغى
وهدى الكتاب دليلنا لا نبتغى

.....
ساد يستجمع القوى ليلذبا
وكانت له الكنانة قلبا
نقض الفداة والله نجبا
ريخ حتى غدا اليها وربا

.....
وقف الشعب خلفه وقفة الآ
ان سوداننا هو العين للنيل
هو جبل الوريد بيننا متى نبتره
هو سر الحياة مجده التا

.....
في رباها كما تهدى الكوثر

.....
ان واديك جنة تنهدى

.....
يا ليتهم حكما هذى الموازين
بل انما السيف ذو الحدين مسنونا
نلنا الاماني واخضعنا السلاطينا
ان لم تكوني لهم صابا وغسلينا
كلاهما وحدة جسما وتكوينا
بحر الدماء فليس العمر المضمونا

.....
الشعب أفضل ميزان لدعوتنا
ارادة الشعب فوق الحاكمين اجل
فهى السلاح اذا صلنا بقوته
ماذا يضير الاعادى منك ويجهم
مصر هي الرأس للسودان ..
يايها الشعب سر نحو الحياة ونخض

صراعا يرى المستعمرون مضاءه
وليست حياة المرء الا وديعة

وخاض إلى المحدث بحر الدماء
ونادى بوحدة النيل البلاد

وحدة النيل في يديك سلاح

زُرْ الوادى زئبيرا

هـ هي الثورة كالبركان تدوى بل اشده

فليسفكوا دما الزكى كما يشاء الحاكونا
فكأنهم بين الورى اسد الشرى

انت يابن الحسين كالمزن تهطا
انت كالسيف غير انك سيف

ومن استعاراته نورد هذه الامثلة :

ثم هذا مبضع السياسة يمشى فى اهابه
زأر الوادى

ويجهم ضلوا سبيل الحق مالاذوا ببابه

عبث الزمان اذا اراد باهلنا
قامت حداة الشعب تحت لوائه

عليهم جميعا تصطلبه مضاجع
ولا تدبرها ان ترد الودائع

فشق الطريق على بعده
مناداة شيخ إلى وُسده

كان مضى من مرخفات السنن

سد في آكام عابده

وكأنهم علم عليه سدرا^(١)

لا على الشعب كم شفيت غلبلا
لم يكن مغمدا ولا مغلسولا

سوءا وابدى ناجذيه وكشرا
صفا الى ان تجلى المستعمرا

فتفجر الوادى عيونا شمسة
وانساب وادى النيل كترا خالدا
الخير يفعم نبعها المتفجرا
يجرى لجينا أو احمررا

قد كموا الافواه كيلا تملأ الدنيا استياء

جل وادى النيل اذ يؤوى مع الاسد الذئبا

حرية النيل ما إن قد هتفت بها
تراقصت شجنا منها او اذيه

غرسوا بلرة الشقاق بواديه
غضب النيل من منابه العليا
ليجنوا من الدسائس ابا
فشارت له الكثافة غضبي

قل لهم لا انقسام مادامت الاحزاب طرا
بوحدة النيل تزار

واذاق الشعب صابا وهو يستجديه رفته
هاهو النيل المقدى ظل يستنجد اسده
هاهى القوة تغلى فى دم السودان حده

يا شعب جلادوك ها هم
فى السلاح مدججونا

لقد سطر الخلد نارا تلظى
وزلزل ركن الطغاة بعزم
فاورى له الخلد من زنده
تجول المنية فى حده

تعال لنطفيء الخلف الذى
تعال لتجمع الشمم
قصد بسات يستعمر
اخاف العقد يستثمر

من رسول إلى الطاعة فكم ذا صديق صديري بهيم وقد كان رحماً

لاحظنا أثناء نظرنا في قصائد الشاعر حسن طه الواردة في ديوانه هتاف الجماهير به وقع في بعض الأخطاء النحوية إلا أنها قليلة في عددها ويسيرة ولعلها من قبيل خطأ الطبع أو رلة القلم . وقد يكون بعضها من قبيل الضرورات الشعرية . ومهما يكن الأمر فإننا نذكر منها :

قوله : دعها تقطب وجهها أما نا آليت ألا ارتضى بهون

انه يحذف الفاء من جواب أما .

وقوله :

كيف يوفونك بالعهد إلاي خانوا الكتابا

حيث جاء بماعلي للمعل يوفى « واو الجماعة والاي على لغة اكنوني ابراغيث »
وقوله :

حي مصر وهنأ برجال قد دعوا الشرق للجهاد فلبى

ذعير ضط نعل دَعَوَا إلى دَعُوا ليستقيم الورد . وقوله :

شهد لمصطفى وصاحبه قسما كما رأى بعينه (قيصر)

حيث وضع قيصر بين قوسين لتحية ساكنة فتستقيم مع قافية القصيدة

وقوله :

كم رأى مسلما يبايع في الله بامواله فلا يستكثر

ويبايع فعل يتعدى مباشرة وهو هنا يتعدى بحرف الجر في . وقوله :

بين الجهاد وهذه أعمالكم جنوبون يحملها لكم فتمصلون .

وفيه يحذف علامة الرفع من الفعل « فتمصلون » ولم يسبقه ناصب أو جازم وقوله :

وكان جديرا بن نعادي مذني نحاربه طوراً وطوراً نصنع

فقد حذف علامة النصب من « نعادي » وهي الفتحة وسكن الياء وقوله :

كفحهم فعل مضى فهو نقص واما كفاح الشعب فعل مضارع

باسقاط الفاء من جواب «أما» .

وقوله : ولو انصعوا قالوا الجونبول اننا بغير الذى يرضى البلاد نمانع

حيث توسع فى استعمال حرف الجر - الباء - فمراده من الشطر الثاني « اننا نمانع فى غير الذى يرضى البلاد » ، ولم نسمع بقومهم « مانع باو يمانع » ولعله استعمال « نمانع » وفى دمه لا نرضى « ليكون مراده من هذا الشطر : » لا نرضى بغير الذى يرضى البلاد . اما مانع فغالبا ما يأتي بعدها فى أساليب هذا العصر حرف الجر « فى » . كذلك اناح الشاعر لنفسه استعمال حرف الجر « من » فى البيت :

وان لم يكن حكم البلاد مؤيدا من الشعب اطلاقا فما هو نافع

بعد مؤيدا « وغالبا ما تأتي ابناء بعد ايد ، ومشتقاتها ولكننا نقول ان لغة العصر تزخر بمثل هذا الاستعمال - مؤيد من « و » مسود به « وهى لغة الجماهير التى يهتف بها فى ديوانه .

وفى قوله : غضبوا منه وقالوا انه جاوز حده

استعاض عن « على » بمن ، والمشهور استعمال « على » .

أما قوله : هل فيه ميثاق إلى استقلالكم ام فيه وعد بالجلء مجلجل فقد حشر فيه الشاعر حرف الجر حشرا . ولا مبرر لوجوده الا اقامة الوزن اذ يستقيم المعنى بقولنا « ميثاق الاستقلال » . « واداة الاستفهام » هل « لا يذكر بعدها المعادل الا فى القليل . لكن الشاعر جاء به فى بيته هذا . كذلك اناب الشاعر حرف الجر « إلى » « مناب « اللام » فى قوله :

ودونك ان تستكين والا فاحشد قواك إلى طرده

ثم ان الشاعر فصل بين الصفة والموصوف فى البيت :

وعفوت فى سنه انفعالات كما يغفو اخوهم لديه دفين

حيث حشر لديه « بين » هم « وصفته » دفين . وهى لا تزيد المعنى كثيرا اذ يكفى ان يقول « اخوهم دفين » .

لاحظنا كذلك ان الشاعر لم يتوخ الدقة فى استعمال بعض الكلمات مثل

« ضراب » فى قوله :

ومضى سوى توفى اذا لم دد عن حوضه يثم صرايى

وفى قوله :

جهاد لا يقل له ضراب واقدا ما تهون له الصعاب

اذ الذى تعلمه ان « الضراب » هو « الصرب أو المضاربة أو القتال بالسيف ، لا السيف نفسه ، والذى « يثلم » أو « يقل » هو السيف لا الضرب أو المضاربة اللهم الا ان اراد الشاعر معنى مجازيا لم يحظر على بالتا .

لم تسلم بعض ابيات الشاعر من خطأ صرفى فقد جاء فى بعضها كلمات دات وزن غير معروف فى تلك المادة ومن ذلك مشهر « فى قوله :

دين الحنيفة سيفنا لا نبتغى من دونه سيفا صقيلا مشهرا

وفى قوله :

ولوناه فى ابجهاد فقال الحق للسيف طالما هو مشهر

وورن ، مشهر « مفعول يأتى من الرعاى ، افعل » ولا نعلم كلمة من هذه المادة شهر « بهذا الوزن والمعنى ، فلا يقال فيما نعلم اشهر فلان سيفه ، انما يقال « شهر سيفه » أو « شهر سيفه »^(١) بتشديد عين الفعل وعليه يكون اسم المفعول انذى يستعمل وصفا على زنة مفعول أو مفعول فتقول : سيف مشهور أو مشهر . كذلك ورد فى بعض ابيات الشاعر تعابير أو كلمات عامية ، نذكر منها .
يايوم مولده خلافتك لم نجد يوما تنير مساءه اقماره^(٢)

« مخلافتك » بمعنى سواك أو غيرك كثيرة الورد فى اللغة العامية ، ومنها ايضا « نو من بينكم » فى قوله :

لا يرتضيه الحر لو من بينكم حر عليه فى الجهاد يعول

فالعبارة « من بينكم » تتردد فى حديث عامة الناس كثيرا بلغتها . وأكثر ما يعناها حيث يقال « لو فيكم رجل » . ومثل ذلك قوله فى البيت :

١ - القاموس المحيط مادة شهر

٢ - حشاف الجماهير ٣٩

لو عندنا ذهب بلدنا ، لا كما جادوا عليها منه وفضولا

والمثل العامي المشهور ، يبكي معارف الميت مضمون في قوله :

قم يا نحا الوادى ودرشامة تسكى ولكن تجهل امقتولا

ومن معانيه العامية ما جاء في عجز البيت :

يا ايها الشعب سر نحو الحياة وخص نحر الدماء فليس العمر مضمون

فكلنا يعلم هذه الحقيقة . حقيقة كون العمر ليس مضمونا . . . وهى مما يتدوله الناس خصوصا عامتهم في احاديثهم . وهى في هذا البيت بالذات لا تناسب ما سبقها من معنى كبير . فالشاعر يسعو لثورة . ويخص الشعب على اقتال ففيه حياة . وبعبارة أخرى يقول ناس قاتلو في سبيل وطنكم تعيشوا فيه عيش كريما هنيئا . فالحياة في نظر جهاد وقاتل من اجل البلاد . وواكتفى بهذا لاوفى الا انه زاد . فليس العمر مضمونا ، فأسف ان يبدو للقارىء انه يريد منهم ان يجاهدوا لان العمر ليس مضمونا . . ويبدو ايضا انه يدغم أو يحضه على مكسب عاجلة . ولو قال لهم ان موت آت وخير للانسان ان يموت مجاهدا لكان أحسن الا انه لجأ إلى هذا المعنى العامي المعروف فختم به دعوته للنضال .

هناك بعض الالتباس العامية . وهى وان كانت قليلة حد الا اننا نرى الاشارة اليها . فكلمة عديل « معنى مستقيم أو غير معوج شائعة في العامية السودانية وقد جاءت في البيت :

سد جبيع من يرد ترويصها يرسم لها سنن الكفاح عدبلا(١)

ان اوران الشاعر وقوفه في حماتها سيدة . عبر انه اتجأ إلى الضرورة في قبة من ابياته (وقد اشرنا إلى شيء من ذلك مع الاخطاء المحوية) . مثل ذلك قوله :

خرونا بما رسمتم نستجلى طريق سلكتموه فرادى(٢)

حيث حذف علامة المصب الفتحة — من آخر المعنى (نستجلى) نستقيم الوزن وفي قوله :

١ - متاف الجماهير

٢ - متاف الجماهير

و يضم في تحية المتخرجين جسد في عام ١٩٢٩ قصيدة ضوئية تختار منها . (١)

سوداننا خلف الشرى انظر غدا	عن اى شعب تنجلي غمراتها
يا ايها الوطن المسمى اننا	رسل المني قد جربت وثباتها
فأهنا بأبناء طغيت بقلوبهم	وطنية لا تنطفئ ثوراتها
وتسورت في الرأس منهم نخوة	عربية لم تنقطع سوراتها
يا فتية قامت لهم بحقوقهم	اوطانهم وسرت لهم دعواتها
صونوا لها عزم الفتوة والقوى	لنرول من صحف الوحدشكتها
اهلا بصف من جنود عبث	وتعانقت من قوتها راياتها
قد ابصرت في مقرن النيلين اظنان	المياه تلاطمت موجاتها
فتعلمت منها الكفاح واقبلت	تعدو ونادت بالجهاد دعائها
لا تشنى حتى تجاب لامة	عربية عصرية طلباتها

وفي قصيدته « لماذا التردد » دعا امته لحمل السلاح . قال :

يا امة آمنت بالذل فاستلمت	نعل العدو وطافت حوله طوفا (٢)
يا امة سدرت في اللهو وارثفت	خمر الفساد وعاطت كأسها صرفا
يا امة نبذ القرآن اكسرها	جهلا وبغيا وعادوا هديه سخفا
أطلبون نجاحا في الحياة ولم	تستسهلوا الصعب أو تستعملوا العنفا
لانجح ان لم تسل مهجرات انفسكم	فتغسل الظلم والارهاق والعسفا
كفى فقد صار قلبي لا يحبككم	وصار لي وطني السودان كالمنفى

وقال في تحية « احمد حسين » عندما اعتمر زيارة السودان :

شعلة انت من وراء الغيوب	رفع الله ضؤها للشعوب (٣)
فهي في مصر والشقيقات من جا	رائها قبلة لكل القلوب
.....
انت رغم الجميع قائدها الاعلى	فخض وانقا غمار الخطوب
ان ترى غير ثورة واكتساح	في شمال البلاد او في الجنوب

١ شاعر مصري ٥٥

٢ شاعر مصري ٥١

٣ شاعر مصري ٢٢٦

وان هددت بالاعدام شقيا

وان عنت بخل المتسبين

ستفهم ما أحاول حين ابدو

واشعل غارة الحرب الزبون

وتفهم ما اردد يوم سطو

واضرب في الشمال وفي اليمين

وانشدكم مقال اخي تميم

اخى الامثال والشعر الرصين

أنا ابن جلا وطلاغ الثنايا

متى اضع العمامة تعرفوني »

وقال من قصيدة عنوانها « ما أخافه » :

اني اخاف صحابتي

اني اذا ما مت أن(١)

لا يستمر جهادنا

ذاك الجهاد المرتهن

مستقل الوادى به

وخلاص ابناء الوطن

ورسم المستقبل بالآيات الآتية :

وتهب نبنى للبلاد حضارة

غابت عن الاعجام والقدماء

ونعيش نرقل فى هناء شامل

فى ظل ملك واسع الإرجاء

طبعت متاحيه بطابع امة

عربية عزت على الاعداء

فيكون موطننا الجنان لاهله

ويتم بين مواطنسى هنائي

وهناك تصهر عقر

يات نكل حتى قمن

دفنت على عهد الطاو

غيت المحركة لغتى

قوم هم الطاعون من

ولا هم يوما طعن

دخلوا البلاد مع الجها

لة والنذالة فى قرن

وقال عن الحكم الاجنبى فى السودان مسن قصيدة عنوانها « قسم عظيم » :

لا صلح حتى تستقل بلادنا

ونزيع عنها ضغطة الكابوس

وتجوس خيل الله وسط بلادهم

وتدوسهم بعمرم وخميس

فتدينهم وتداول منهم دولة

خداعة اربت على ابليس

ما كان فيهم مصلحون فلعنة

تسرى على الرؤساء والمرؤوس

اما « مطلبه السياسى » فقد أعلنه فى قوله :

امل يرف ومطلب منشود	تحقيقه بثباتنا معقود
ان يستقل النيل دون تحفظ	وتفك اغلاله وقيود
ويعود للسودان عهد مشرق	وتعود مصر لاهله ويعودوا
فيرف فى الوادى لواء واحد	يسع العناصر ظله الممدود
ونسير فى التاريخ شعبا واحدا	يمشى على هام الورى ويسود
كيف التفرق والروابط جمة	الضاد والارحام والتوحيد

وخاطب الملك فاروق فى احدى قصائده قائلا :

يا مليك السودان مصر	ليس بدعما قلت من شاردات (١)
ذاك قطر متمم ارض مصر	وهو من مصر من جميع الجهات
كذبت كل دعوة غير هذى	ووشيكاً تموت عوى الطفافة
ونراه على الضفافين شعبا	واحدا سائرا يهذى النفاة

نلصق فى هذه الممدج التى قدمنا العديد من المعاني القوية . بل انه يمكننا لقول بأن معاني هذا الشاعر فى حملتها تسمت بقوة ظاهرة ولعل منشأ هذه القوة ما كان يغلى بين حمى الشاعر من سحق على لبريطانيين مع ما تردد فى خاطره من افكار ورغبات محورها الوطن والمواطنون . من امثلة قوة المعنى عند الشاعر حسين منصور قوله :

سوداننا خلف الشرى انظر غدا	عن اى شعب تنجلي غمراتها
يا ايها الوطن الملقى اننا	رسل المنى قد جريت وثباتها
فاهناً بابناء طغت بقلوبهم	وطنية لا تنطفى ثوراتها
وتسورت فى الراس منهم نخوة	عربية لم تنقطع سوراتها

إلى آخر هذه لأبيات التى اوردناها ضمن الممدج . وفى كل بيت منها نجد ما يشعر بالقوة . فخالف الشرى « توحى بالاهوال والمخاوف التى تنتظر من يريد السودان شراً . وتدل على منعته . ثم انجلاء الغمرات يستلزم دفعا وانفراجا وهذان

يحتاجون إلى ضيقة . أم البيت الثاني ففيه رسل منى المحربة لو ثبت « وأرسل
مكلف ناداء مهمة معينة فهو مدفوع بقوة معينة هي قوة الالتره والايمان بمهمته .
ومنى تكتنفها دوافع معنوية تقيمها في النفس وتحضرها بلوغها . وفوق ذلك فلهذه
مى وثبات ولا بد من شد عصاء معينة في بخسهم ثم اطلاقها لتتم الوثبة الواحدة
فد كن أكثر من واحدة احتاح الامر إلى جهد بدني كثر ولا يكون الجهد البدني
لا بشيء من القوة قليلا كان أو كثيرا . مثل هذا يقال في الايات التالية . فقوله
طغت بقوتهم وصية « يصور الموران والخمر والاستيلاء وقوله لا تمطىء
ثوراتها يصور الاشتعال وانهب المتأحج والدخان المتصاعد . ومهم يمكن من شيء
فمن هذه الايات تزخر بالتعبير عن الدفع والشد والمقدرة التدكة . ويندر ان تخلو
قصيدة من شعره خصوصا الوطني والسياسي من مثل هذا للتعبير لذلك انتشرت
المعاني القوية في شعره . احينا نجد شيئا من معاني الشعر لتقديم وبعض الناطق
لا سيما البدوي منها في بعض قصائد الشاعر الواردة في ديوان الشاطيء الصخري
وهاهي ذى بعض امثلة على ما نقول :

وارفع دون الحق سيفا مجردا ^(١)	ولا قوة عندي لا منع ما أرى
ولكنهم ان قابلوا الموت عردا	سوى نفر عند العدو قلائل
اذا حرموا قلبا من الصخر جلمدا	وما كثرة الانصار يوما بنافع

ومن الامثلة ايضا قوله :

حفاظ هزبر ينزع الغاب زائرا ^(٢)	وكيف تطيق العرب هذا وعندهم
بابيض يوم الروع يبرز سافرا	كفى وتحرك واكشف اليوم غمة
بل المجد ان ترقى الجماجم نائرا	فما المجد احزاب وهذر صحافة

وقوله :

من اناس هم بن تيس وكلب ^(٣)	لم اجد إلى الخلاص سبيلا
وحرام ما نيش في ظهر غيب	فعلى انييث مبيغ الكلب بسر

١ - شملى الصخري ٦

٢ - الشاطيء الصخري ٢٣

٣ - الشاطيء الصخري ٣٥

وقوله :

ولاصقين لحنهم مكائهم وكأنه عندي نيب تيوس^(١)

ان لم اضارب كل عالج فاجر
ويرى الاعادى عصبة عربية
والف كرد وسا على كردوس
ما بين هماس وبين هموس

وكذلك قوله :

وترمين بى الاخطار اعزل لم اخم
وما ذاك أمر دائم بل مؤقت
فسوف يروني غازيا بينصادق
وقوله عن احد اصدقائه وقد توفي :

وابراهيم مطبوع فاخلق
به ان يزحم البزل القروما

خذوا ديوانه وتصفحه
تروا ودقا ورزاما هزما

وقد اخرج الشاعر جميع معانيه القوية هذى فى عبارة واضحة قوية وأسلوب رصين
يجذب القارئ فيبقى مع الشاعر فى قصائده يتابع احساسه وخلجات نفسه وفى
احايين قليلة يلجأ إلى تعابير ضعيفة كقوله :

اتطلبون نجاحا فى الحياة ولم تستسهلوا الصعب أو تستعملوا العنفا^(٢)

لان تستعملوا العنفا ، مترجم عن الانجليزية . وليس عربيا اصيلا . ان مما اعان
الشاعر على اخرج معانيه تلك الصورة تشبيهاته الكثيرة الدقيقة . ومعظمها من
نوع مبالغ فيه وهى ذى مجموعة منها تأتي بها كأمثلة :

ونعيش نرفل فى هناء شامل فى ظل ملك واسع الارحاء
فيكون موطننا الجنان لاهله ويتم بين مواطنى هنائي

قومهم الطاعون من والاهم يوما طعوس

١ - شطبي ، صحري ٤١

٢ - شطبي ، صحري ١٩

.....
رسل المني قد حررت وثباتها
.....

خمر القسود وعاطب كأسها صرفا
وصار لي وطني السودان كامنفي
.....

رفع الله ضئرها لنشعوب
.....

لا حفظها فقد فقد الحفاظ
وساس الناس اعلاج علاط
.....

ن حققت مثلي وعم خيء
.....

كان جدارها حال القلب
نجومها في المحافل والخطوب
.....

واجاهد الاشواق اي جهاد
.....

سيوف الحق للعداى تسل
.....

.....
يا أيها الوطن المفسدى انما
.....

يا امة سدرت في اللهو وارتشفت
كفى فقد صار قلبى لا يحبكم
.....

شعلة انت من وراء الغيوب
.....

سأقذف في حياض الموت نفسى
ولذا العيش فى ظل المويى
.....

هو جتنى وهو النعيم مضعفا
.....

فاعماق السجون له مقرر
لتعرف فنية بالامس كانوا
.....

لا ثور ثورة ضيغم مستبسل
.....

كان الشعر من فمهم غضابا
.....

كذلك تيسر للشاعر عدد من الاستعارات الجيدة وكثرت فيها التصريحة وهى
ذى نماذج منها :

مستهدف فى زاخر بلخى
ملح اجاج طائر النفسى
الا بصف صاخب الدوى
.....

وفى آثاره ابدا شواض
.....

قضيتها فى شاطيء صخرى
يرمى بالاف من الآدى
لا ينتهى صف من الآتى
.....

وآب الدين يارز مستجير
.....

.....
ونعلى نداء يعربى تقصير	وقومو إلى لافريج نرفع نيرهم
.....
ويأبى ان يفىق مع المفيق	ويرسف فى قيود الذر خوفا
يخف معيشة الشعب الطليق	ولكن بكه وابك لشعب
.....
واحفظ سدا رأيت ودينى	فاترك للكلاب دما وخما
.....
للربيع الذى اتى شامتا بي	يا سماء الحريف لا تتركينى
باسملى بنوره لا يخفى	لابسا سندسيه يتهادى
.....
وعرش لعد خدى اتصاعا	وهل انا مثلكم احبى مهنا
.....
وتخشى عند وخزتها انصدعا	تخاف يراعتى دول كبار
وتكشف عن سياستها القناعا	تفاجئها وتصفعها دراكا
فتلتقف الدسائس والحدعا	والقيها على القرطاس تسعى
.....
انى لها فى يقظتى وسهادى	فوحقها ان لم تكن لى مثاما
واجاهد الاشواق اى جهاد	لأثور ثورة ضيغم مستبس
غربا واسلك بعد نهج رشاد	حتى يقر الذل شرقا والموى
.....
سود خلفها شعب ابل	اذا ضغط الاعادى ثار منهم
تكذب عروشهم تـلـ	فتزأر زاره يدوى صداها
.....
.....
تروا ودقا ورزاما هزيمـا	خذوا ديوانه وتصفحوه

ويرسلها على الاعداء رحوماً يصيب بين شيطان رحيماً

وسواك يخضب وده ويعيش يضحك للصحاب

سلمت للشاعر حسين منصور اوزانه وقوافيه . ولم نقف له على خطأ نحوى و
صرفى أو عروضى الا القليل النادر الذى لا يستحق لتسجيل . فمن احتلال الوزن
قوله :

غير السات والاستكانة للعدا فمضى تهب وتستكين عدائهما (١)

أما صورة ومفرده . لا انه يأتي بها فى بعض الاحيان متتابعة فتكون مثل
الشريط السينمائي . ومن ذلك هذه لأبيات وهى من قصيدته : يوم مطير . .

عليه من الشتاء جناح تلج	يرفرف فوق اطياف الضياء
ضللت الشمس فيه وراء سحب	تقلع قرب نواب السماء
كأن رؤوسها مرفعات	ردوس العرب ترفع فى اواء
كأن رعودها متتابعات	دوى مدافع فى الأرض ناء
كأن بروقها متقالات	ظلى امم تتداعى للبقاء

ومنه ايضا قوله فى القصيدة « القلب الطريد » :

يستطير الذكاء منه شععا	ساكبا صوءه على اقطاره
يشرق القول من سناه ويمشى	شرطى العناف فى انواره
ويفيض الحنان نهرا دهورا	يجرف العاذلين فى تياره

وفى القصيدة نفسها جاء قوله :

طال تسياره وآب ولم يحظ	بغير الكلال فى تسياره
فأبى بعدها القلوب مقيلا	واستعاض الميوت من اشعاره
يشتكى دهره ويولع فيها	من سعير الغرام ألس ناره
كاحلا بالدماء من مهجة القلب	عيون القصيد فى اسطوره

ومن صورته المفردة المتتابعة قوله فى قصيدته لماذا التردد :

يا أمة آمنست بئذ فاستنمت نعل العدو وطافت حوله صرف
يا أمة سدرت في النهو وارتشعت خمر الفساد وعاطت كأسها صرفا

ووضع الصور هكذا مفردة متتابعة يدل على خيب مقتدر امتاز به الشاعر وهو ان لم يكن خلافا نعى هذا الخيال المقتدر لانه في اللاعب لاعبه غترف من فيض انقضاء فقد اعان نشعر على التعبير عن خطرات نفسه وفكره ويسر لنا تفهمه ومشاركته الشعور في كثير من الحالات والمواقف .

ان حسين مصور شاعر ثائر ظهرت ثورته في كثير من قصائده وهي معظم الايات التي عرضناها في 'سماذج' وهو في ثورته يميل إلى العنف اذ يدعو دعوة واضحة قوية لقتال في عدد من قصائده ، ومن لقصائده التي تظهر فيها الدعوة بعنفها ووضوحها دموية مجلجلة قوله :

فاين صواهل جرد(١)

واين شبابنا المرد

لتسمع سيفهم يشدو

واين قواضب الهند

وين قتابل الايدي

اين بنادق تصمي

هناك مدافع الحرب

تضاعف نشوة القلب

وتتركني بلا عقل

يطرب اشعر لفعل هذه الأسلحة نني يسأل عنها في رغبة ملحة وشوق حارق وينشئ بما تفعله نشوة تذهب بعقله . بدا عتف الشاعر هذا في مواجهة خصومه ومعارضيه ذ كان يصليهم حمما من هجائه ويصل به حيان إلى درجة الاقذاع . ولنا ان نتساءل عن السر في هذا العنف - أكان الشاعر يعتقد انه وسيلة لتحقيق رسالته التي اعلنها في بعض شعره حيث قال عن نفسه :

مجن دون موطنه اديب رسائته التجدد والوثوب (١)
فيغزوه بفن عبقرى ويمنعه اذا نشبت حروب

نعم يعتقد الشاعر الانجاح الا عن طريق العنف وقد وجه مواطنيه باعتقاده هذا
فى أسلوب يجمع بين التقرير والتشجيع قائلا :

أطلبون نجاحا فى الحياة ولم تستهلوا الصعب او تستعملوا العنف (٢)
لا نجاح ان لم تسلم مهجات انفسكم فتغسل الظلم والارهاق والعسفا

يريد الشاعر ان يحقق التجدد لا فى نفسه وانما فى المجتمع الذى يعيش فيه اذ لم يكن
راضيا عنه بل كان ساخطا متبرما فالبلاد فى قبضة حاكم أجنبي سيطر عليها وفرق
كلمة بينها . صور الشاعر هذه الحالة فى أكثر من قصيدة ، ومما قاله فى هذا المعنى
ايات منها قوله :

ولد العيش فى ظل الموينى وساس الناس اعلاج غلاظ

ومنه قوله :

ولكن ابكه وابك لشعب يعساف معيشة شعب الطليق
ويرسف فى قيود الذل خوفا ويأبى ان يفيق مع المفق

لا يرضى الشاعر لبنى وطنه ما هم فيه فهو يراهم يعيشون مستعدين فى بلادهم .
الاجنبى يستذلهم . فهو يصرف امورهم ولا يستشيرهم . ويتصرف فى خيرات
بلادهم لينفع قومه وبلده . اما اصحاب الحق فلا يتقون من تلك الخيرات الا النذر
اليسير ، ويلقون الكبت والعسف والبطش اذا رفعوا عقيرتهم بالشكوى أو طالبوا
بالخلاء . لذلك سكتوا خائفين . وامتنعوا عن الاحتجاج أو الشكوى فضلا عن
المقاومة . وهذا قال الشاعر عن شعب السودان فى ذات الزمن : . ويأبى ان يفيق مع
المفق .

وصف الشاعر النائر حياته وأسلوبه فى انضال وصفا منفصلا اذ بين ملاقاه من
صعاب وما تعرض له من هجمات قوية متصلة لم تلن قناته ها ، بل وقف يدافع

١ - الشاطىء . الصخرى ٤

٢ - الشاطىء . الصخرى ٥٧

ويهمهم غير هيب ولا وجل ، وثبت راضيا معتد ، مؤثر مواجهة الصعاب .
مقدرة تارة ومقدرة أخرى . فذاك في رأيه أشبه به وادعى لبلوغه مآربه في
التحدو لوتوب ، أبدر كل ذلك في قوله وهي الايات التي تحمل اسم الديوان :

قضيتها في وقفة الابسى ثبت الوقوف نافذ المصى (١)

سنين شر لم تنح لحي

قضيتها في شاطئ صحرى مستهدف في راخر لحي

يرمى بالآف من الاذى ملح اجاج طائر النقي

لايتتهى صف من الاتسى الا بصف صاحب الدوى

يسن في انهزامه الوحى

رصيته في سنى الفتى عن خافض من عيشى المنى

مستشقا في جوده النقى هواءه بالنقى الحمى

يكفى الهواء طيب الموى وشاطئ تمشيه كالوحى

للتائر المستسل الترى

رضيته للعز والحرى بصاحب الرسالة النهى

مقارنا بالسواضح الجلى مقارنا للقباع الحللى

محاربها فى شرعة النبى اعداءها وكل اجنبى

وفي آخر بيتين من هذه المقطوعة وصف شعره فاخر ابقوته مبينا سبب ما يبدو فيه
من خشوة تظهر احيانا في الالتاؤ والمعاني البدوية ، كما تطل من وقت لآخر في
دعوته لمعنف وقسوته على خصومه أو في شكواه الاليمة من بنى وطنه - قال :

فان تروا فى شعري القوى خشونة او نفثة الشجى

هانه هي الساطى الصخرى قرع الصفى تم بالصفى

قضى اشعر سنوات من حياته عشها كواقف فى شاطئ صخرى يصيبه ما يصيب
ذلك لواقف ، ويتعرض لما يتعرض له . ولا بد له والحال كما ذكرنا من سلاح
قوى يرد به الهجمات . ويكر به على اعدائه . اذ لك جاء شعره بتلك الصفات التي
ذكرها ومهما يكن من شىء فان الشاعر وقف حياته هذى على الشعب :

مقدرة خلاقة تستخلص من هذه الاركان الثلاثة - الحاضر - المستقبل - الماضي صور، وتبعث فيها الحياة، ثم تربطها ببعض شكلا ومضمونا لتكون شريطا ناصقا معبرا . ان ذلك الشعر لم يكن كذلك ، انه في الغالب الاعم خطب سياسية مظلومة في أسلوب تزيينه البساطة والوضوح وقد وفق الشعراء في ذلك اذ جاروا فيه ذوق عامة الناس ومستواهم . وهو على كل حال مساهمة محموددة في الجهاد الوطني والكفاح السياسي . فقد كان له دور كبير في تسييه المواطنين واثرة حماسهم . انه ايضا اضافة قيمة إلى الأدب السوداني الحديث القصيح . فيها اتسعت اغراضه وصار مجال دراسته ومجال الدراسات السودانية عامة ارحب . ويهده الاضافة خطأ الشعر السوداني القصيح خطوات نحو سلامة المبني وجودة المعنى .

١٠ الاتجاه الاستقلالي :

في حديثنا عن الاتجاه الاتحادي تناولنا انتج ثلاثة شعراء □ هم : عبد الله عبد الرحمن وحسن طه ثم حسين منصور . وشعراء هذا الاتجاه أكثر من ذلك . نذكر منهم المرحوم السيد محمود انيس والسيد أحمد سنجر . وقد نشرت الصحف انان احتدام المعركة السياسية العديد من قصائد هما طويلها وقصيرها . الا اننا لم نوفق في الحصول على بعض نسخ من تلك الصحف . ولم يصدر لاي منهما ديوان مطبوع لهذا رأينا ان نكتفي بما تيسر لنا وهو شعر اولئك الثلاثة . اما الاتجاه الاستقلالي فلم نقف له على شعر فصيح كثير . وكل ما امكنا الحصول عليه هو بعض قصائد في ديوان الشاعر يوسف مصطفى (١) التني الذي يضم كتابيه الصدى الاول و السرائر . . وليس في وسعنا الجزم بأن هذه القصائد هي كل ما نظم في تأييد الاتجاه الاستقلالي والدعوة له . فقد كان للحزب الاستقلالية صحافتها وكتابها وفيهم ادباء وشعراء مرموقون معروفون الا اننا لم نجد نسخا من الصحف الاستقلالية في مضافها . ولم نجد . كذلك في دواوين الشعراء الاستقلاليين المعروفين المرموقين التي اخرجتها المطابع ، شيئا من شعرهم يدعون فيه للاتجاه الاستقلالي ويؤيدونه به الا ديوان التني ففيه شعر يرفض به الشاعر الارتباط بمصر ويفضل لبلده الاستقلال . كما فيه شعر اوطنية الملتهية . وها نحن اولاء نعرض نماذج نختارها من بعض

قصائده الواردة في ديوانه (١) : قل في قصيدته ثورة شاعر ، ينعى على مواطنيه
قعودهم عن العمل الوطني :

فشلت أمة ينم بنوها
هام ببلجاء والثراء كبير
قنع الشعب بالكفاف ركودا
لاطماع إلى العلاء اكيد
أمة خيم الجمود عليها
وقال في أخرى بأسى لما أصاب وطنه .

وطنى شقيت بشبيه وشبيهه
قد اسلموك إلى الخراب ضحية
وطننى تنازعه التحزب والهورى
هذا يكيد له وذاك طغى به

لم يعجب الشاعر حال دلد الشرق عامة وهى وطنه الاكبر فقال فى قصيدة عنوانها
« الشرق جنة الله » :

وفجر الله فيها كل دافقة
فاشرق البيت فى بطحاء مكتبها
وابلغ الدهر عيساها واحمدها
منارة الحق من فرقائها سور
بها من الأثم والعدوان تطهير
كما تلاً فى اقداسها الطور
رسالة الله فانجابت دياجير
ومن فلاسفة الاسلام تنكير

أما الاتجاه الاستقلالى فقد ظهر واضحا فى ابيات من قصيدة نظمها تهنئة لصديق
بمنصب الوزارة ، وها هى ذى الايات :

وما كان عرفانه لصنيع
فن هب قوم يعينونها
فلس يجرأؤهمو ان تتول
لينسيه امته العانيه (٢)
لارجاع حرية عالية
إلى من اعان على الطاغية

التنى ، دار الكتاب العربى سنة ١٩٥٥
التنى ٢٧ . فى الديوان « ينوم بنوها » ، ولعله من خطأ الطبع .

فم عتق العبدان صار عبد لكف مدللة حانية

ان أول ما يلاحظه لناظر في شعر النسي الوارد في هذا الديوان هو قلة القصائد السياسية . وفيه واحدة . وهي التي جئنا منها بالآيات السابقة . يرفض بها الارتباط بمصر . وفي الديوان قصائد عاطفية ووطنية . وفيه قصائد أخرى . أما الوطنية — وقد اخترنا نموذج منها في ما تقدم . ففيها الثورة المتقدة إذ لم يكن الشاعر راضياً عن واقع الحياة في بلاده . وفيه السخط المديد لأن نبي وطنه تفرقوا حزابا وشيعا وغفلوا عن بلادهم وما تحتاجه في حاضرها ومستقبلها . لم يوجه الشاعر في أي من هذه القصائد وطنية أي قدر من ثورته أو سخطه إلى البريطانيين بوصفهم حكاما اجنبيين . ولم يتعرض كذلك لسيستهم في البلاد من قريب أو بعيد لأنه ذكر العدو الذي يعبث بوطه ولم يبين من هو العدو ولم يوضح كيف يعبث ذلك العدو ، جاء هذا في قوله :

وطى يعبث به العدو ولا ترى من دفع عن حوضه ورحابه (١)

كما أعلن في نفس القصيدة خوفه على بلاده من الدخلاء ولم يبين لنا من هم هؤلاء الدخلاء أهم الحكام أم هم الاحزاب الآخرون الذين ربطتهم بالسودان منفعة خاصة وجاء اعلانه هذا في قوله :

أو ظهر السودان من دخلائه لتظهر السودان من اوشابه
لم طفى على السودان من دخلائه خفى على السودان من احزائه

لم يحول الشاعر في قصائده تلك ان يثير مشاعر مواطنيه بتصوير مساوىء الاجنبى وتأليبهم عليه . كما نه لم يدعهم للثورة ولم يرين لهم الحرية والاستقلال . اننا لاحظنا ان شعراء من الذين نظمو في الوطنية ولسياسة محدوا ما ضى العروة والإسلام ونسودن فيه نصيب . مريدون بهذا التمجيد الهاب الحماس الوطنى . كما لاحظنا ان نفرا من اولئك شعراء استغلوا بعض الاحداث الوطنية لمعية لتوفير المواطنين واشعال جذوة الحماس في نفوسهم . غير ان الشاعر انتهى لم . هذا
انما لجأ إلى تفرغ مواطنيه وظهار ايس من منهم ومن جهودهم ظنا من
اجدى وافعل في اثارة الحمية من سواه .

ليس في معاني لشاعر التي جاءت في قصائده الوطنية والسياسية ما يثير أو يدعو إلى الوقوف والتأمل . والخيال فيها فاتر . يبدو ان يأس الشاعر كبح جماح خياله ولم يعنه على الانطلاق . أما القصائد الأخرى ففيها من المعاني ما يحمل القارئ حملا على التوقف عنده . يتحقق منها ويتصورها ، ومن أمثلة ذلك قصيدته عبوس التي قال فيها : (١)

أعبسى لى . ففى العبوس ابتسام
بجمال منوع السمات
ودفعينى ، ففى المصدود قتراب
من معاني جمالك الاشتات
ايه وادعى على دون جنات
فدعاء على منسك يواتي

يخلف الشاعر ههنا الشعراء العشاق الموكلين بالجمال والاداء المتونين بالحسن والمأخوذين بروعة ما أبدع الله وما ودع في بعض خلقه . كل منهم يطلب الوصول وكلهم يتحرقون شوق لبسمة من ثغر الحبيب الجميل . لكن التي يريد العبوس ويرغب فيه رغبة مسببه . يريده لان فيه ابتساما يكشف عن مفاتن من أنواع أخرى في ذلك الجميل . وهو يطلب المصدود ويعلل طبعه بان صده يقربه من معاني جمالاتها اذ هي المعاني البعيدة لسامية التي يتعلق بها عشق الجمال المعنوي ويسعون لتلاقيها منها . وكلمة صده هذه الحسنة ازداد تعلقه بتلك المعاني وشغل بها وملكت عليه اقطر نفسه فتبدو له والحالة هكذا . قريبة دانية . يقول الشاعر في نفس تقصيدة :

مرحب بالعبوس فهو ضياء
قد جلا لى محاسن القسمات
مرحب بالدعا تشاهه فيه
اثة العود رنة لكلمات
نا عطى نكي انال كثيرا
واصمى من الاسى فرحاتي

مرة أخرى ينتهج الشاعر للعبوس لانه يحلو القسمات فينكشف اوهام عينيه نور الملاحظة وبهاء حسن وروعة العظمة في غضب الجسد أو جسد الغضب . ثم يرحب بدعائها عيه لان كلماتها التي تدعو بها عليه ترون رنيناً يقع في سمعيه موقع اثبات اوتار العود - ان عبارات صوتها نغما فهو يطرب لها ويتلذذ بسماعها وان اعلت له عن السخط وانذرته بالشر - لم يطلب الشاعر كل هذا ويلج في الطلب ؟ لقد اجاب في البيت الثالث :

نا اعطى لكى انال كثير وصنى من لاسى فرحاني

يقف القارىء متأملا ايضا عند قصيدة الشاعر « فكرة فى الحب » (١) ففيها يقول :

يحبو المحب إلى العلياء فاتنه
اذا اصبت رضا حبي فان نزلت
واى خطب تحس النفس صدمته
غدا سيدفعنى حسى بنشوته
فكيف ينجح فى الدنيا فتى خالى
بي الخطوب تجذني ناعم البال
والنفس تمرح فى ظل الرضا الوالى
غدا سينصرني حبي واعمالى

هنا يجعل الشاعر الحب حفزا لعظم الأمور وجلائل الاعمال . وقد يوافقه فى هذا كثيرون . لكنه جنح إلى المبالغة فنمى النجاح عن كل من خلا قلبه من حب ، وذلك فى سؤاله فكيف ينجح فى الدنيا فتى خالى ؟ « ان الحب لن يكون الحافز الوحيد . ولنا دليل نأخذ من البيت الاخير الذى يضيف فيها عاملا آخر من عوامل النصر او الانتصار أو النجاح . وهذا العمل هو « الاعمال » .

هنالك قصيدة أخرى تستوقف القارىء فهى تهوية صوفية ، كما انها وحيدة . فيها يبحث الشاعر عن « المثل الاعلى » . ويعترف بأنه ساخط . وأن سخطنا كفر لان المثل الاعلى الذى ظل يبحث عنه ويتمناه بوصفه فتى حرا هو الله . فكيف يضيق بالحياة ويسخط وفى الحياة مجال البحث عن المثل الاعلى وسبله ؟ فى ختم القصيدة يسأل الله ان يعفو عنه ويغفر له كفره هذا الذى اعترف به ، وهامى ذى بعض ابيات منها :

وعدت اهِم بالارواح فى علنى وفى سرى (٢)
أليس المثل الاعلى منى نفس الفتى الحر
كفاني طيفه الذهبى فى احلامنا يسرى
كفاني الظمأ الروحى احسوه على الاثر

هذه نماذج من المعاني التى ضمنها التنى قصائده غير الوطنية وغير السياسية . وهو فى هذه التصائد وفى أخرى سواها يسلك سبيل الشعراء الرومانسيين . وخياله خيولهم . فهو « يغرق فى عالمه العاطفى مستغلا كل مواد الرومانسية المعروفة فيه

١ - ديوان التنى ١٧

٢ - ديوان التنى ١٩

من الطيف الذهبى وشتى أنواع الاطياف ، والقمر القضى والضياء والظلال والغمام والضباب والنسيم والورود والانغام وغيرها من عناصر الطبيعة اللينة الرقيقة الحاملة، (١) الا ان هذه المواد لم تتح لشعر التنى صوراً مركبة فحامت مفردة ويظهر ذلك فى تشبيهاته وأكثرها من التشبيه البليغ وها هى ذى امثلة منها .

حكمة انت ما ترشفت منها	رشفة لم تزد جموح ميولى
ان موتا لاجل ذاتك خسلد	اوراء الخلود من مأمول
مرحبا بالدعا تشابه فيه	انة العود رنة الكلمات
.....
ذاك المالك الذى بالامس قد	شخصت له اعيون با كبار واجلال
.....
اعرف الانسان ذئبا	واعرف الشهوة جوعا
.....
غزلوا من الليل البهيم خيوطه	ومن الضحى نسجوا لنا لمعانه
فسها كما تسهو النواظر للرؤى	والخاطر المفجوع فى فئانه
.....
نشرت على بحر الحياة اشعة	فتبددت بك فى الحياة دجنتى
.....
منارة الحق فى فرقائها سور	ومن فلاسفة الاسلام تفكير
.....
اصبحت كالاطل المقديم جلالة	فى انه ذكرى جلال أول
.....
كيف اسلوك فاني طائر	ما عرفت الخلد الا فى ذراك
.....
شهدت لهم وقفات الاسو	د تذود عن الوطن العاديه
.....

مثلما قد انكروا من لونه سمرة كالخال في خد حبيب

وتظهر صورته المفردة فى استعاراته . وها هى بعض امثلة لها :

كيف اشفى بالله منك غليل
فاض حبي وحر فيك دليلى
حكمة انت ما ترشفت منها
رشفة لم ترد جموح ميولى
او تمليت من سنائك جديدا
لم يجب فى المبهم المجهول

وتبدد اليأس المقيد خاطرى
ونشرت آفاق الصواب لنظرى
كم ظهرت قلبا سوى قلبى من
الحقد الدفين ومن بذور الرقة
وتشربت روحى الضياء فما رى
هذى الحياة سوى هوى ومسرة

رقص الشر يا حبيبي لما
ابصر الشر حالتي المنكوده
وازدهى اليأس ما يشاء ونادى
من قرار الجحيم نادى جنوده

امة خيم الجمود عليها
وعداها النهوص والتجديد

تدفق النور من شماء قبتها
واينعت فى روايبها الازاهير
وفجر الله فيها كل دافقة
بها من الأثم والعدوان تطهير
فاشرق البيت فى بطحاء مكنتها
كما تلاًلاً فى اقداسها الطور
وابلغ الدهر عيساها واحمدها
رسالة الله فانجابت دياجير

وطنى شقيت بشبيه وشبابه
زمن سقاك السم من اكوابه
قد اسلموك إلى الخراب ضحية
واليوم هل طربوا لصوت غرابه

فشربنا من افويق الحوى
سكر روحينا وما احلى طلاك

ليهنك ان عشت حتى تراه
وقد ففض الحلة البالية

والبس عزته واستعداد مكنته الفضة السامية

لا يكاد من يقرأ شعر التى يلمح اثر ظاهر تقدمى الشعراء ويبدو انه تخلص من المدرسة القديمة واخذ يتأثر طرائق المدرسة الحديثة وهذا فانتهى واجد اثره، واضحا فى ديوانه لا سيما اثر العقاد (١) يبين هذا الاثر فى بعض قصائده ذات الروح الفلسفية ومنها تلك التى سماها التوحيد :

عددت فى دين لغرام مذاهى من بعد ما عددت من اربابى

وكذلك قصيدته « عبوس » و « صلاة الفيلسوف » .

لم تسلم لغة الشاعر التى من المآخذ . فكثيرا ما يخلف قواعد الصرف ويأتى بكلمات - افعالا ووصافا ومصادر - فى اوزان غير معروفة فى اللغة السليمة الفصيحة ، وذلك مثل « افشال » فى قوله :

ان الحبيب عزاء النفس لو فشلت فمن تلين لاختفاق وافشال

ومثل « المتهم » وهى من العمية السودانية - فى قوله :

قدر اذن من الترب وصاغه واحط من قدر التنى المتهم

ومثل : اماسيه وهى ايضا من العمية السودانية - فى قوله .

على جبل من الوادى اغاديه اماسيه

و « يضوى » - وهى معروفة فى العامية السودانية - فى قوله :

يضوى على قسماتها نور الملاحه والفسادة

وكذلك « الفصادة » . ثم « الملاة » فى قوله :

فاتيت محكمة الضوامر والمشارف والملاة

ومن هذا ايضا « ثميلة » - وهى وزن غير معروف فى هذه المدة - فى قوله :

وثنت منك للعود على الايقاع اعطاف ثميلة

ثم « حذور » - وهى وزن لم تقف عليه فى هذه المدة - فى قوله :

رأيت بعينى الفخاخ معدة لحسنك فاحذر والكريم حذور

١ - ديوان التنى المقدمة ٩ . م . أ . محجوب

ومنه استعمال الفعل الماضي « اعاب » في قوله :

وانت مساك حجته اذا ما اعابوه بفقر في الرجال

ولم نسمع بهذا الوزن من قبل في مادة « اعاب » ، ما المبحو فاحطدوه فيه قليلة نذكر منها البيت :

لكي تلقين ما القى وكى تجدين ما اجده

وفيه اثبات نون الرفع في الفعلين تلقين و تجدين ، رغما عن سبق كليهما بكى ، وحققنا ان تحذف علامة على النصب بان المضمره بعدهم والفعل « اجد » .
يتى مرفوع في هذا البيت بضمة على آخر الدال وهى اى الدال فى الايات قبله
تأتى مفتوحة لان وضع الكلمة يقتضى لنصب وهن اولاء نورد تلك الايات :

هو الحب فلا ترضى لقيد ان يقيده

وان طاف بجنته دخيل فابترى يده

عبرنا امسه عطرا نديا فاطلعي غده

لكي تلقين ما القى وكى تجدين ما اجده

ان اختلاف الحركة ههنا - حركة الدال - يعنى عيبا فى القافية ، ومن عيوب القافية فى شعره قوله فى هذا البيت :

وبى حرمة محروم وبى حيرة مشدوه

وهو من قصيدته التى يقول فيها :

أهدأ وجهك الوضاح فى حلو تجليه

وهذا طرفك اللماح فى سحر مآقيه

فى هذه القصيدة نفسها بدأ الشاعر إلى الضرورة فسكن ما يجب فتحه لموقعه فى الاعراب وهو الياء فى « مراسيه » فى قوله :

لقد خف بنا البين وقد القى مراسيه

وفى البيت الآتى اضطر الشاعر لتسكين آخر المفعول المطلق ترى من اجل الوزن :

ثم ينأى عن العيون بعيدا يتراءى لنا تراءى الآل
ومن الضرورة قوله :

افقرت بعدك والله اللبالي يا ابا سامى يا زين الرجال
حيث اظهر الكسرة - علامة الجر - فى « سامى »
واضطر الشاعر فى هذا البيت :

قوم تحذوا الدهر ن يبدى لهم عيب فعد ذلة المهزوم
إلى ضم الدال فى تحذوا . وحتمها الفتح مع تسكين الواو لان الفعل معتل بالالف
- فعل الشاعر ذلك ليستقيم وزن البيت . لم تخل قصيد كثيرات فى ديوان النسي
من اختلال الوزن فى بعض ابياتها ، مثل :

الهي عفوك السابغ كاد يضلنى فكرى
ولكم نصبتك امنون جميعها ودعتك بالمثل الرفيع الامثل
قيل قد سبحت اله النصارى قلت سبحت باسمها فى قصيدى
فقد ابصرت كم قلوب كبار يفيض بحبك ايمنهم
هذه خامس دوراتك يا عيد فاهلا كلما درت سئقاني كما تعهد قبلا
واذا راجع قصيدته (رق الوظيفة) نجد خمسة ابيات مكسورة من بين ابياتها
الثلاثين « (١) وهى :

وعليه فى كل ما يأتيه	او ما يقول همسا رقيب (٢)
اثقل الفقر كاهلا منه با	رواح حياتها من شقائه
ان يخاطر بها يحطسرها	حوبائه وحدها ولا ندمائه
فهو ما بين برها وامانيه	طول الحياة حيران تائه
.....

ينقضى العمر وهو مدى العمر بحسب تعجب بين الصلوع
ها نحن اولاء قد عرضنا ونقدنا ما اخرجت لنا المطبعة من شعر الاتجاه
الاستقلالى النصيح . انه قليل . قصيدة واحدة بل جزء من قصيدة . ولكنه يمثل

١ - الاتجاهات الشعرية فى السودان - النوى ٩٨

٢ - ديوان النسي ١٠٨

ذلك الاتجاه خير تمثيل . ففى هذا الجزء وعدته عشرون بيتا يقر الشاعر بصنيع مصر الذى يتجلى فى معاونتها السودان على التخلص من البريطانيين لكنه يرفض ان تتقاضى مصر أجراً على عونها . لانه من قبيل عون الاخ لاختيه . ولا يليق عرفاً وانسانية ان يأخذ الاخ كحرراً على معاونته أخاه يرفض الشاعر الحرية ان جاءت شركة . ويمضى فى ما تبقى من أبيات يدحض حجة الارتباط بمصر متسائلاً تارة ومجيباً أخرى ثم مقرراً ضارباً الامثلة فى عبدة سهلة واضحة صريحة لامدارة ولا مجاملة واخيراً وبعد تلك المحاجة وابرهنة والامثلة يختم التنى قصيدته مثلاً شاكياً فهو لا يرفض الارتباط بمصر فحسب ولكن الدعوة له والمطالبة به تؤلمانه المامضاً وهذا يتجلى فى قوله :

أنا خالد ! تلك بعض اشجور وجئت ابثك اشـجانيه(١)
فليس يداوى جراح القلوب سوى كفك البرة الآسية

ان ابيات التنى تمثل كما قلنا الاتجاه الاستقلالى فى الشعر . وليس من الانصاف تقويم الشعر "الاستقلالى" كله بقصيدة واحدة . الا اننا لم نجد غيرها فى دواوين الشعراء المرموقين الذين عرفوا باتجاههم لاستقلالى ووقوفهم مع احزابه . ومهما يكن من شىء فبقصيدة أو الابيات قوية فى مدلولها الاستقلالى فهى ترفض رفضاً معللاً تؤيده الامثلة . وصاحبها ذو مكن مرموق فى المحيط السياسى الاستقلالى وعليه فلا مفر من احكامها على شعر الاتجاه الاستقلالى كله . انها بحجة سياسية يرد بها الشاعر على دعة الارتباط بمصر بغية اضعاف موقفهم بين الخماهير واظهارهم بمظهر المفروض فى حقوق الموصلين وحرية الوطن . ولهذا نراه يبرهن ويعلى ويمثل لكنه لا يعوص للمعاني فى شىء من ذلك بالمرة . وفى الوقت ذاته لا يصور تأذى المواطنين المعنوى والخسى من دعوة لارتباط ومن تحقق تلك الدعوة تصويراً واضحاً مؤثراً بل اكتفى بالتقرير فجاءت ابيته كخطبة سياسية بسيطة اللفظ والأسلوب لا كبحر الاديب فيها متعة ذهنية . لقد فت على لشاعر ان يستغل المستقبل فيذهب بخياله بعيداً يصور ما يكون عليه حال الوطن والمواطنين فى عهود الحرية والاستقلال المقبلة . ويعقد فى خياله مقدرات بين الصور التى يرسمها بقلمه لسودان المستقل

والسودن المرتبط بمصر الا انه آثر المحاجة والحجج على الصورة الفنية. ولعله يراعى بهذا الذوق العام ومستوى جمهرة الامة السودانية .

لاحظنا ان الشعر التنى تجنب - فى هذه الايات وفى قصائده الوطنية -
الاشادة بماضى العروبة والاسلام - بل انه انكر ذلك فى احدى قصائده حيث قال :
لا قديم من المحامد يوحى لا جليل من الفخار جديد(١)

وليس فى وسع احد ان يجزم بأن الشاعر انكر هذا الماضى لانه احد اركان دعوة
الارتباط بمصر أو لانه ضيق ذرعا ، بتنوع امته وركودها . فجردها فى قصيدته
من محامد كثيرة ليشحذ عزائم بنيتها . وليس لاحد ان يقول بن التنى لا يعترف
باجداد الشرق وهى اجداد العروبة والاسلام فقد نظم الشاعر قصيدة عنوانها - الشرق
جنة الله « وفيها يقول :

وجهة الله حبيب الله حنته	م بالها لا تواتيها المقادير(٢)
فى التمر من عمر هذا الدهر نسقتها	فحدثت عن ايديه البواكير
قد ارسلت نحو اهل الغرب ومضتها	والغرب فى جهله المضروب مغمور
رقته بل نور حتى شد واهنه	أليس يرقى بآى الله مسحور

١ - ديوان التنى - قصيدته « ثورة شاعر » ٢٧-٢٨

٢ - المصدر نفسه ٢٥

الفصل الرابع شعراء الوطنية المحدثون

استقلال السودان :

كان استقلال السودان عبر العصور مثار وحي الشعراء من ابنائه فقد نظموا — فصبحهم وعامهم — قصائد وطنية سياسية يدفعهم حبهم لوطنهم وغيرهم على شئونه ثم نفورهم من سيطرة الاجنب وما تجره عليهم من ويلات حسية ومعنوية نظم كل منهم في الاستقلال وفقا تقتضى الحال — بعض دعا للحفاظ عليه بالتقدم للقتال والثبات في وجه المغيرين كما فعلت مهيرة بنت عبود لما نظمت ابياتها بالعامية تثير حماس المقاتلة السودانيين ليدودوا عن حياضهم ويمنعوا تقدم الجيش التركي اثر احف لاحتلال اراضيهم . أو كما فعل احد شعراء الفونج برثائه مملكة سنار التي ذهبت ، وكنت مظهر سيادة وعزة ، وكان ملوكها عوناً للعلماء والأدباء ولما قوضت جيوش محمد علي اركانها افتقد الشاعر مظاهر تلك العزة فتألم ودفعه الله إلى تسجيل مآثر تلك الدولة شعرا اظهارا لفضلها فقد يكون في قوله ما يذكر المواطنين ويثير حماسهم في يوم من الايام فيهبون لاسترداد ما فقدوا .

شارك شعراء المهديّة بقصائدهم في الحفاظ على الاستقلال بالدود عن مكاسب دولتهم . فنظموا القصائد العديدة مخاطبين رأس الدولة مرة ، والامراء مرة أخرى . فلما ذاع خبر دخول الانجليز الاراضى السودانية ابان حكم الخليفة عبد الله التعايشى ثارت شاعرية بعضهم فنظم شعرا يحذرو ويدعو لصد العدو ومنعه من التقدم إلى داخل البلاد . ان مراده من ذلك هو الابقاء على الدولة التي آمن بها ، وقوام هذه الدولة مواطنون سودانيون . ارتضاها هو وغيره حكاما وقادة فصارت السلطة في أيديهم ومعنى هذا ان البلاد استقلت وانفردت بتصريف شئونها . وبما انه ارتضاها وعمل على توليهم فلا بد ان يعمل على بقائهم وهو بقاء الاستقلال لذلك هب يستعمل سلاح الشعر ليدكى شعلة الحماس في زملائه فيهبوا معه لحمل السيف دفاعا عن سيادة الوطن وعزته .

فقدت البلاد استقلالها بعد انتصار جيش كشنر ورفع علمى دولتى حكم
 الثنائى - بريطانيا ومصر . هذا الحكم ادخل النظمه ادعى انها لنفع العام . ثم ابتدئ
 سياسة معيبة لادارة شئون الحكومة الجديده . فشغل الناس بتلك الانظمه وفرقت
 تلك السياسة كلمتهم . والى التدهور الحزبى فريق منهم عن مصير بلادهم امد
 طويلا . الا ان البلاد لم تعدد للمخلصين بعيدى النظر اثنين لم يخدعوا بأساليب
 الحكام الجدد . بل تنبهوا لها واتخذوا يصرون مواطنيهم بها . لم تعدد البلاد كذلك
 اثنتين المتحمسين . ومن هؤلاء من غضبهم تسط لاجانب فرفعوا راية العصيان
 وحملوا السلاح وحاربوا السلطة الجديده وهم أقل منها عدد وعدة وضعف .
 وكانت الغلبة للاقوى فقضى على تلك الهدت . وكل حكام تدبرها واتباعهم
 قتلا وسحا وتشريدا وبهذا اوقفوا مقاومة الحرية اتى رادها اصحابها اظهار
 سخطهم على الحكام واعلان رفضهم سيطرة الاجبى . اما مقاومة البيان (لكلمة)
 لثى حمل لواءها فريق من المواطنين فى حسبياتهم وئديتهم وفى الاعياد الدينية
 فاستمرت ولم تتوقف . وكان لشعر قصب السبق اذ نظمته الشعراء قصائد عديدة
 والقوها فى المحافل بغرض اذكاء روح الوطنية واثارة سخط الاهلين على حكام
 الدخلاء .. كان لاقراء القصائد والخطب فى المناسبات الدينية كما قدمنا . وقع
 كبير فى نفوس المواطنين قبل ثورة سنة ١٩٢٤ وبعدها . وكان وقعه فى نفوس
 الخكام اليه مزعجا مما حدا بهم الى ابتداء وسائل تحد من اثر هذا السلاح سلاح
 الأدب . الذى شهده بنو السودان وظلوا شاهره رددت من الزمن فى سبيل استقلال
 وصهم الى ان قام « مؤتمر الخريجين » وصار له شعراؤه (١) وتبعته الاحزاب وظهر
 شعراء يؤيدونها ويدعون لها على نحو ما ذكره فى فصول سبقت من هذا البحث .

ان اشعر السودانى فى جميع اطواره شارك فى بث الروح الوطنية واذكاء
 الحماس . بدأت هذه المشاركة فى الزمن القديم . واستمرت فى العصور المختلفة
 التى عبرتها حركة الوطنية الى ان وصلت غايتها بتحقيق الاستقلال . شارك اشعر
 ايضا فى خلق الوعى السياسى وترقيته باندعوة لبعض الاتجاهات السياسية والدفاع
 عنها ثم بنقد اعمال الحكومة وخطوطها نقدا مريرا . كما جاء فى شعر حسن

١ - منهم الشاعر المهندس « على نور » ولم يخرج ديوانه بعد

طه وقد شرد اليه في حينه. كان بعض الشعراء في تأييدهم ودعوتهم يتعرضون إلى تاريخ العروبة والاسلام مشيدين بالامجاد القديمة ، يريدون بالاشادة جعل الامجاد وذكرها حافزا للجهاد في سبيل استقلال الوطن واساسا متينا يقوم عليه المستقبل وما فيه . فالسودان عندهم جزء من العالم العربي . ونصيبه في تلك الامجاد يؤهله لمستقبل مشرق ومكانة كبيرة بين دول العرب وبنيته لاحتلال مركز مرموق بين دول افريقية . لان التراث الحضارى الذي دخل السودان في الاخلاق والعادات العربية وفي التعاليم الاسلامية والفكر الاسلامي . وامتزج بعد دخوله مما كان عليه اهل اسلاف . كفيل بايجاد امة قوية عاملة متماسكة . جدير بخلق نظام سياسى فريد يربط تلك الامة باصولها ويقرب البلدان الافريقية من العرب . من الشعراء من اغفل ذلك الماضى في شعره ودعا إلى كين مفصل . فهل اغفلوه انكارا لذلك الماضى ولتنصيب السودان فيه . هل السودان عندهم بلد افريقى جغرافيا فيجب ان يستقل كيان خاص وان لا يرتبط بكتلة أو جهة ما . أو ان السودان افريقى عربى وعليه ان يبقى على افريقيته وعروبه معا دون ان يغلب واحدة على الاخرى .

السودان بين الاعتبارين الجغرافى والقومى :

التقى في هذا القطر - السودان - من الحضارات ما لم يلتق في كثير من بلدان العالم . فقد عرف الحضارة المسيحية في شماله ووسطه من قديم الزمان بابنيتهما وتمايلها وروحانياتها . كما عرف الحضارة الافريقية في اصقاعه الجنوبية بطقوسها وفنونها وقبليتها . جاء العرب إلى هذه البلاد بتقاليدهم المعروفة . وجاءوا بالإسلام وبذلك نقلوا معهم ثروة كبرى من الذخيرة الخلقية والروحية وثروة اكبر في العلوم والمعارف . ثم انهم - أى العرب - اختلطوا بسكان البلاد متزوجين من نسائهم ومجاورين في السكن ومشاركين في اعمال الحياة من زراعة وتجارة ورعى . بهذا عاشت الحضارة العربية الاسلامية مع الحضارات الاخرى فترة من الزمن ثم ما زجتها حتى غلبت عليها فصار هذا البلد الذى يتوسط القارة الافريقية ممنا إلى شاماها وشرقها وغربها ثم إلى مناطقها الاستوائية مربوطا بالعروبة اوثق رباط فهي منبته ومورد حضارته ومهبط عقيدته . وهو متعلق بأفريقيا لانها مهده ومقره . وهي مغرس الوشائج ومسرح آمال المستقبل .

لم يشأ أهل هذا البلد . ولا احسبهم يشعرون في يوم من الايام ان يتخلو عن عروبتهم أو أفريقيتهم فانرباط نكلا لاصدين اقوى من ان ينضم فالدم يعقده والثقافة تمرده . والصلوات دى منهما تتحدد وترداد عمق وقوة . تحددده . لمنافع المتبادلة ويقويها تشابه الوضع في عالم اليوم ان اهل هذا البلد لم يريدوا . ولا احسبهم يريدون في يوم من الايام . ان يكونوا عالة على منبت او تعال لاصل لان تلك الحضارات المتمازجة بما تعلموه منها تحميهم من الخضوع . وتقيهم الخنوع . وتحبب اليهم لاكتفاء بما يتحون بكدهم وتفكيرهم وان كان يسيرا زهيدا وترعيبهم في السعي الحثيث لاصلاحه وترقيته فلما قامت الحركة الوطنية واتضح معالمها . وسلكت سبيلها أسمى برزت الدعوة لاعتناء بالأدب السوداني وتبادل الناس اراى كتيبين أو متحدتين رابطتين لأدب دناس ونبيته . ودعا نقر منهم إلى . إيجاد ادب قومي صحيح يقبض من حركة ادبية إلى حركة سياسية تتوح جهودنا لبلد استقلاله السياسى والاجتماعى والادبي (١) فهم اذن يريدون ادبا قوميا يدخونه في الصراع السياسى . ليكون سلاحا بنارا . يثير المواطنين ويعددهم للمعركة كى يدحروا خصمهم ويبلغوا ما يريدون . ولا يكون الادب كذلك الا اذا استقى مادته من البيئة . لابلد لادب السودان اذن ان يتخذ من حوادثه واخلاق اهله وتقاليدهم مادة لفنه القصصى ولشعرى ومن مناظر عباته وصحاريه ووديانه مادة لفنه التصويرى ومن مشاعر اهله وحركاتهم وسكونهم مادة لموسيقاه . وكفاه الاسلام ديننا ينير له طريقه الروحى «(٢) . لابلد له من ذلك نبكون دنا قوميا كما اريد له .

ولد ان نتساءل عن المرد من قومية الادب . أهى التعنى بالاجناد والنباهى بلاصول العريقة النبيلة ووصف لمعارك بأنواعها في عبارات طنانة رنانة تثير المشاعر والخواطر وتملأ النفوس زهوا حتى يتصور الناس غير الواقع ويتيهون في نبداء الخيال والاهواء ام هى غير ذلك ؟ ولما نتابع التساؤل ونقول لم يراد الادب القومى ؟ اهو غنية فى ذاته ام وسيلة لغاية أو عايت ؟ يقال اننا اذا نادينا بقيام

١ . الحركة الفكرية فى السودان . م . أ . محجوب . ٥٥ .

٢ . الفجر ١٩ - ٢٣ ، ١٠٤٥ ، م . أ . محجوب

الادب القومى ذى الطبيعة المحلية . فاما ندعو إلى خلق شعب شاعر بكيانه يعبر عن مرثياته من سماء زرقاء أو ملبدة بالسحب ومن غابات كثيفة وصحراوات قاحلة ومروج خضر ومن حياة بدوية هادئة إلى حياة عصرية صاخبة .. «(١)». ان الذين دعوا لقومية الادب فى السودان ارادوا تنقيته من الشوائب واولها التقليد ونريد به تقليد شعراء العروبة الاقدمين فى الشكل والمضمون. وثانيهما سيطرة الثقافات الأجنبية « ولهم الحق فى كل ذلك لان التحرر الفكرى والاستقلال بالانتاج لعقلى وجعله قوميا دليل .. من دلائل رقى الشعب ونزوعه إلى الحياة واحساسه العميق بوجوب الاعتماد على النفس وشعور بالوجود وكلها صفات لا توجد الا فى الشعب الذى يحس بالحياة والنضال فيها »(٢) .

ان قومية الأدب — فى رأينا — تتمثل فيما يتضح فيه من سمات البيئة — خلقية وطبيعية واجتماعية . وغير ذلك مما خصصها الله به من مظاهر . ومما أودع فيها من صفات أو حباها به من تراث — تتمثل قومية الادب ايضا فيما يظهر فيه من ملامح المجتمع المختلفة من عادات وتقاليد واعمال كالزراعة والرعى والتعليم وغير ذلك مما يتخذه الناس ناقلين أو مبتدعين ويعتادونه زمنا طويلا . ان هذه كلها السمات والملامح عوامل خاصة تتدخل فى تكوين ملكة الادب وصقلها ولها دورها الكبير فى انحائه الفكرى وشعوره ثم فى حكمه على ما يرى ويسمع وعليه فان الادب المنبعث من اعماق النفس لا بد ان يكون قوميا . انه نتيجة طبيعية لشعور خاص انضجته ولونته عوامل قومية محلية (٣) .

تظهر القومية السودانية فى شعر كثيرين من شعراء السودان . وان خير من نذكره فى هذا المجال ونأخذ الامثلة من شعره المرحوم محمد سعيد العباسى . تعرض العباسى إلى تاريخ السودان وإلى شىء من جوانب القوة والاشراق فيه اذ نظم قصيدته المشهورة « سنار بين القديم والحديث » وفيها اشاد بماضى تلك المدينة والدولة التى اتخذتها عاصمة . مثنيا على ملوكها معددا بعض مآثرهم . وفى هذا

١ - الفجر ١٩ - ٢٤ ، ١٠٤٤

٢ - الفجر ١٩ ، ٢٤ ، ١٠٠٦ - ١٠٠٧ ، محمد عبد القادر حمزة .

٣ - محاولات فى النقد م . م . على ١٤١

اعتزاز بأجداد سودانية وبشر صفحات ناصعة من تاريخ هذا البلد . هي نفس القصيدة تقدير لعمل جديد قام به حكام البلاد آنذاك وثناء على خبرائهم الذين تولوا ذاك العمل حتى برز وبانت فوائده . وفي هذا اعتراف بالمقدرة وتقدير للأجادة حيثما كانتا . ومهما كان مصدر هذه الأجادة وتلك المقدرة . وانه لمن صميم الخلق السوداني الاعتراف بحق الخصم وإثبات ماله من فضل دون النزور عن الحق الخاص أو التخلي عن التزام . قد اقر العباسي للحكام الاجانب بحسن فعلهم وإثنى عليه وفي نفس القصيدة ايضا وصمهم وصما نالعي والطمع ودمغ عهدهم بالفساد ونكد العيش . وما نحن اولا في نورد اجزاء القصيدة التي تبين ما ذكرنا :

قال عن سنار في ماضيها :

كنت مثوى الماكرمين وميدا	نا رخيا لخيْلهم ومندى (١)
ورحبا قد زينت وقببا	زان ارجاءها مليك مفدى
عاش ما عاش وهو جد أبي	لم يعفر لغير مولاه خدا
عجمته الخطوب وهى شداد	فأثارت منه الخشاش الاشدا
وبنود تهفو وخيلا تترى	بالاناسى سادة وعيدا
ارخصوا فى هواك كل عزيز	فتباروا فى الحرب والسلم جندا

ثم قال عنها فى حاضرها بعد أن قام فيها الخزان المعروف :

قف تأمل هذى العجائب وانظر	شاعنا يحسر العيون استجدا
واجل ناظرىك فيما اصطفى	العلم لاحباره وما قد امدا
خاص بناؤهم فاخرج بالفن	وآياته من النيل طودا
بفسؤاد لم يدرع هيبه الروح	كأن سل او من الصخر قدا
وانسياب المياه بيضا عرابا	صيرتها عجاجة الحرب ربدا
بانحدار كأنه غير منقوص	اكف الكرام واصلن رفدا

ثم خاطب البريطانيين فى شخص المهندس الذى اشرف على بناء الخزان قائلا :

حسب اسمع اوليت قومك فخراً	وثناء يروى واوريت رنسا
نحن من قد علمت ودا وانت المرؤ	يولى الاحسان بدءا وعودا

١ - ديوان العباسي ، دار الفكر العربي ، ٢٧-٣١

جنت في ليل رُعجب فهلا
 قم تعرف قلوبهم ن فيه
 شدت بين لُعاة والناس سد
 ضمعا افسد الحية وحقـد
 ليس ياذا المهى العيش رغـد
 جعل الاولياء للمـرء اعدا
 ن داء الاطماع والطمع داء

تتصح القومية في قصائد عديدة من شعر الدكتور عبد الله الطيب . لا سيما تلك التي نظمها وهو في لندن يعلم في جامعته بعيدا عن اقرانه ومجتمعه ومراتع صباه . هناك في لندن وهي المدينة الكبيرة العريقة ذات الحيت البعيد في محفل لعلم والسياسة والاقتصاد صدق عبد الله الطيب ناعرة واشتاق إلى بلده شوقا مبرحا وحن إلى بعض مظاهر الحياة وظواهر الطبيعة فيها حبيد دافقا . وذلك في واحدة من قصائده حيث قال :

لولا التقدير كان احـررني
 ولم اقض الايام مدجـنة
 ولم علم نى الاعاجم من
 يظرفى الهم لا أيبـلا
 لو استطعت ارتفعت في جبال
 حتى ادود لدموه هـحسـة
 يغيل الضلح والسياب
 ومستق مائع ومحتطب
 وحيد مستقى يطارحـث
 يا ليت شعري متى عود فقد
 لا يبل العداة من امـه (١)
 في بلد قد سثمت من دجنه
 كل عبي لا بين من لكـنه
 قلب كليم العـزاد محتره
 ارقى إلى الفاعـات من قننه
 تنتهب اطرف من حمى وسـه
 لعينيك وهم يشب من عـه
 وذو جناح ينوح في فـننه
 لشعر بافلاله دوو فـطـه
 روح نأى ولج في شـطـه

ولما استب به الحين عاد بداكرته إلى مراتع صباه في مدينة كسلا فقال :
 سقى الحبا كل جرء عطر
 وجاد توتيل والاهـة من
 وحل النـمى انطل على
 متوجا باسحاب من دحـن
 بالنال تودى الطباء في دمه
 تكرون مرجى العيوث في مزه
 ودى الذى حله بـر حـنه
 الضلح قد عـج حول مدخـه

١ - اصداء النيل - الدار السودانية ، ١٤٠ ، ع . الطيب

املس صحيان ليس يصعده
 به رعيت الصبا وربسني
 راق شديد القوى لمتحنه
 ما شئت من شهده ومن لبسه
 يا ويح نفسي متى معاد أخى
 الغربية بعد النوى إلى وطنه

سافر الشاعر الدكتور عبد الله الصيب من لندن إلى قرية في واسط 'نجد' حيث
 تلال 'مالنر' المعروفة - موطن بعض شعراء الانجليز - اثار هذه الزيارة
 شجونه فقال يذكر بعض مناطق وطنه في فخر واعتداد :

بلى كنت الغمام يلذ نفسي
 وكنت ارى المطايا مرديات
 ويسكرني بر يا كردفان (١)
 بسهب كالصحيفة صحصهان
 ديار من فؤادي كنت فيها
 ارى في بدوها الاعراب شعنا
 وكان ابني وكان بنو لساني
 وفي فتياتها الغر اللدان
 إلى عيش الطلاقة والرهان
 رهائن في ضميري تائفات
 حويت وای ريع قد حواني
 ألت من البداوة ای علم
 فان لبانها ابقى لبان
 وان أك نلت من ثدي سواها
 ولم افتأ - وان انزع - اليها
 يحركني الحنين مع الحنان

الاعتبار الجغرافي وظهور أفريقيا في الشعر السوداني :

لم يكن شعراء السودان في اول الامر لياهاوا بأفريقيا وشؤونها وعلاقة بلادهم
 بها . وما كان ذلك استصعابا لهذه العلاقة . ولا انكارا لمكانة أفريقيا والافريقيين
 انما شغلهم مشكلاتهم الوطنية عن مشكلات الامم الاخرى . كما ان وسائل
 الاتصال لم تكن سهلة ميسرة لهم ولا للافريقيين في الافطار الافريقية حتى يتمكن
 الناس في بلد ما من الوصول إلى بلد آخر ، وحتى يتسنى للافكار والاحاسيس
 الانتقال من بقعة إلى بقعة حيث تعيش فترة من الزمن ثم تتفاعل مع غيرها ويتولد
 عن ذلك رأى مشترك واحاسيس متقاربة . لقد تعذر على معظم بلدان أفريقيا معرفة
 الاحوال في حاراتها قريبة كانت أو بعيدة بسبب ذلك . ولهذا لم تتمكن واحدة
 من مشاركة الاخرى في شيء أو معاونتها في مر . ولولا السيطرة الأجنبية التي
 انبسطت في جميع انحاء القارة لكان الحال غير ما نصف . لكن بمجرد ان انتشر

١ - اصداء النيل - الدار السودانية ١٤٠ ع . الطيب

الوعى وبدأت سيطرة الأجانب فى التفتص تعير لحد . ففى السودان اخذ الناس
يعنون بأفريقيا مدر كين ايم بمتون اليها بسباب قوية . وان مقل الايام يقتضى
تقوية الصلات القديمة وتنمية أخرى ينتفع بها أهل القارة .

التمت الشعراء فى السودان إلى ما يدور فى بعض بلاد أفريقيا من جهاد
فى سبيل الحرية فاشدوا به عملا جبلا ومثلا يحتذى من ذلك ما قاله الشاعر محمد
المهدى مجذوب فى ثورة كينيا ، وهو :

بى وطسى باشى فى كل بقعة	نسن دخن فى اسموت اسود (١)
يصيح بكم نورو على كل كفر	بدمع الصحايا و لدمع معمر
لكم حيرة فى كينيا قد تمردو	و شربهم (جو هو) سلاف التمرد
طوى الغاب من اسراره كل ضيعه	فى الدم الا ملىء خلد مورد
فلا ترحموا لم تنق فى لارض	رحمة والا هلككم بين عيسى واحمد

فى هذه الايات يعترف اشاعر دحى صلاتنا فى أفريقيا وهى صلة اجوار . وهى
صلة تفرص علينا الكثير وتثبت لنا الكثير . ويعترف بسبق أهل كينيا فى الجهاد
نطرد الاجانب من بلادهم متنب على رعيهم ممتدح شجاعتهم .

ما اشاعر تح السر احسن فقد كد وجود اعنصر الافرىنى فى الامة
السودانية اذ قال فى احدى قصائده (٢) :

ووجهت يا فرسى
يا عربى
يا رنجى
يا نوبى

ومضة بارق من شعبنا الخلاق
وفىضا من فؤاد النيل ،
غطى الدار

حريقا اشعل النيران فى الاعشاب

١ - فار المجاذيب ، م . م . مجذوب ١١٥

٢ - ديوانه القنب الاخضر ، ١٦

وكسر ذوب الاطواق

واستمر يؤكد وجود هذا العنصر وتفاعله مع العنصر الاخرى فى القصيدة نفسها
بقوله (١) :

لقد مرت مرور الضيف
رؤى اكتوبر الحمراء كانت فى ديارى طيف
ولكن الدماء تسيل
وتصبغ ارجوانا وجه هذا النيل
دماء الزنج والعربان
ووجه النوبة الاسيان
بظل امرأة سوداء
غطى ساحة الصحراء
وبقوله من قصيدة أخرى :

انا من أفريقيا بلدى تشوبها نار الاصفاذ
لكن يدى السوداوين تمردتا عبر الوادى
عانقتا موسكو والصين وكل بلاد الامجاد
والتقتا بنحيط الشمس المسكوبة فى الغرب الصادى
لشاعر قصيدة أخرى طويلة عنوانها ، فلتتحرر نجولا ، صور فيها مأسى تجارة
الرقبى . وتبدأها سخرام متخرا ، بأفريقيته ، وكأنه يتحدث بلسان احد أبناء
انجولا ، فقال :

تحرقنى الشمس
يقتلنى فى قبوة الامس
ولدت فى غابة لالوب
من الاسى قد نسجوا ثوبى
ومن عجيب الامر انى
ككل الناس لى رجلان

ومثلهم تطل في وجهي عينان نفاذتان
 واذا في تهوى اغاني الطيور
 ومن عجب الامر لو في عجب
 اسود كالليل الرهيب الرهيب
 ولم أدر ان الدر
 في مجاهل البئر العميق القرار
 يغوص في الظلمة
 لا يرى ولو اطل النهار
 الم أدر ان الشمس ام الضياء
 في لونها الزاهي يغطي الفضاء
 ابيض مثل الثلج مثل الحليب
 تنشر في جسمي هذا اللهب
 تضمني في عناق
 الشمس امي تضمني في اشتياق
 حتى اذا لفتني ضوءها الا
 ابيض اضحي قمرى في المحاق
 ولفتني هذا السواد الذي
 يظلل الاقدام والاحداق
 وعدت ابنوسة تزدهي
 في غابة مخضرة الاوراق
 واحترقت روحي على جمرها
 كفحمة بعد سنا الاحتراق

وهامى ذى بعض المآسى التي يصورها في قصيدته هذى :
 شيطان انجولا هدير البحار (١)
 في اللانهايات تذوب الحدود

الوطني ودخلوا المعتزك السياسي . من هؤلاء ، لومبيا ، أول من تولى رئاسة الوزارة
في بلاده - الكنفو - بعد ان استقلت قال عنه الشاعر جيلي عبد الرحمن (١) :

العذابات على قلب المسيح
في صلاة ، وصليب ، وضريح
صبيحة من فجر وهران الفسيح
من فدائي مليح الوجه
تسخو عينه صفوا وحبا
باسمك الغالي لومومبا
فجر المدفع فارتفعت على اليبداء ريح
صخرة في غاب كاتنجا يوشيهما الربيع
بالتلال البيض من رمل ، وازهار ، تضوع
خط زنجي بجبات الدموع
اسم لومومبا الوديع
حينما سالت على الليل مزاريب المطر
والضباب الجهم غطي كل اوراق الشجر
شق طفل رجفة السيل واحزان الشتاء
منذ عامين ابي يا ام لم يرجع بقمح
أو كساء !
في الضفاف الخضر يا روجي يذر الافق شهباً
بيته جيش لومومبا
وغدا يأتي الينا ، حاملا سمنا وثوبا
غرد الطفل فقد نام سعيدا بالغناء
في ظلام المعتقل
وغراس الصمت كالقضبان تغتال المقل
هب جومو يرقب النجم توارى في الجبل

فرت الدمة والحزن هطل
م اقبلت لومومبا كالعناقيد الامل
كفكف الحزن ونادى
ابن أفريقيا البطل
آه لومومبا البطل

وقال فيه الشاعر صلاح احمد إبراهيم رائيا معزيا متأسيا (١) :

كفكفوا ادمعكم يا اخوتي
فغدا فى ارض لوممبا الغنية
بينها .. بالبطولات بذكرى الشهداء
بالكنوز المعنوية
والكنوز
يحفظ التاريخ للابناء عن آباءهم خير هدية
ماسة حمراء فى حرز حرير
ماسة تومض كالقلب ضياء وبهاء
ماسة تومض كالنجمة اشراقا وحبا
وتنير الدرب ، ان اوصدت الظلماء دربا
اسم انسان عزيز
وهب الحرية الحمراء قلبا
ودعته امه الكنفو فلبى
قتلوه بعد ما ساموه اذلالا وضربا
قاهر الموت ونحزى قاهره
رقية الشعب لوممبا

ومما قاله الشاعر صلاح أحمد إبراهيم فى هذا الزعيم الكنفولى بعد مقتله هذه المقطوعة
وعنوانها « صلوات » (٢) :

١ - ديوانه - عصية اوسى ٢٠٠

٢ - ديوانه - نصبة هباى ، ٣٢

يا ماء عيون الكونغو ، يا عدا مشعله شق الظلمات
ساقاه تطير باجنحة نورانية
عيناه قذائف نارية
ويداه صواري ، مثل فنار ، يلمع في افق
ما فيه ضياء نجم سارى
مثل النفق

الريح تقاومه . والليل يساومه . والصحر تربص بالحيات
وتتألم حب الشعب وايمان وثبات
يا زرعاً لبن حين جميع الارض موات
ياكم ليلاً قضيت اذود بكف خيالى عنك الضربات
يرع قلبى ير كع حلف بولين « ويرتع فى لطف ررق انصاوت
لومببا عش ، يدعوك الجند وتدعوك الرايات
لومببا عش ، تدعوك المركب حين مضى عنها الجردان
لومببا عش . حيوان اخو يراقبها ويواكبها القرش الجوعن
لومببا عش ، ولقد عض الصخر الفارق والمرجان
لومببا عش . لم يبق سوى ليلين وتحضنا خضر الشيطان
لومببا عش ، نقتل شفاه المرفأ عن ناس ،
وتحمى بالاجراس
ترحب بالرقصات

تهلل وهى تنادى باسمك . باسمك انت . تنادى فى فرح وحنان
لومببا عش ، انتهت الرحلة يا ربان
والمركب ترسو فى اطمثان
لومببا عش ، لكن هيهات
لم نسمع غير صدى صرخات
تنمزق نازقة فالقائد وأسفا قد مات !

يُجمل الشاعر جيلى عبد الرحمن أفريقيا اما فى قصيدة من قصائده وفى

لكن يا أمى الغضبي
امامه الساحرة ، التعبي
والغابات الشلالات
القمح ، القصدير ، الكاكاو
يا أمى .. الماوماو
اني اتعس من قوقعة يحملها افريقي في الجيد
من تمتمة يعضفها في ليل اليد
من أنجرة ، احجبة ، وطلاسم
اشقى من طفل عار في ملكال
لما امتدت في قلبى اودية الصومال
اغفت في ذل الجذب القائم
افريقيا يا افريقيا
ان كان الصدر الداوى يشخب عرقا مسودا
يسقى ذهباً مطمورا في اوغندا
يشكو الظلماء إلى الانجم يفي ، نورا ، صيدا
واختال الانسان على المربخ
أشعل تبغا في الصاروخ
ألقي في الصحراء جحيما
أحرق بسمات الاطفال على موج هيروشيما
وصمة هذا القرن هيروشيما
في كل صباح تهوى في رأسى الدور
صياد ما تت في يده أنغام الطنبور
أيام كالنفق المهجور
كالأمل المكسور
أفريقيا لم استكمل بعد الصورة
الاسطورة !

ان دوت فى كينيا طلاقات مكتومة
غنى الافريقى همومه
فى وهران العمر قصير
طعم الزيتون مرير
لا يفنى جيش حتى يبدأ
قد لاحت اضواء المرفأ
لم يبق سوى بعض صخور
سيق الاطفال إلى سجن فى اورندى
رقصت نار فى اكواخ الزندى
وغراس البن انتفضت فى روديسيا
يا أفريقيا
طوكيو ام مدعورة
الوية ، غابات مسجورة
والثورة تولد فى آسيا
كالاشجار ، الامطار ، الثورة
الشمس ضفائرها كالسنبلى فى اندونيسيا
هل تحجبها سحب الذرة ؟
عادت هيروشيما ابنية مسحورة
اعلاما منشورة
عاد الشهداء ينحون على ارض اليابان
فاختلطت كل الالوان
مثل حقول الورد
السلم المجد لروح الانسان
فاحتضنى يا أم المجد
أفريقيا ما زالت فى الاعماق صباية شعر
ان كنت بكيت الموت خشيت القبر

فالحيلة ما أروعها .. ما أقصره العمر !
أدعو أشهد عصر المأساة
يخبو من لمستك الكبرى بالفرشاة
ترمين المبضع في قلبي حتى تنزح عنه الآه
قد كنا يا امه سلاحف هذا العصر
والآن نمد الايدي للشمس ، نصوغ النصر .

ان هذا الشعر الذى عرضنا نماذج له شعر تاج السر الحسن وجبلى عبد الرحمن وصلاح أحمد . نظم بالطريقة الحديثة وهو يسىء عن : ظهور أفريقيا فى الشعر السودانى الحديث . لانه يشيد بإيجاد أفريقيا ويتحدث عن الظلم الذى حاق بأهلها ويدفع عن حقهم فى العيش الكريم لانهم بشر ينتمون إلى آدم كما ينتمى اليه اجناس العالم الاخرى . ثم انه فى مجموعه يربط السودان بأفريقيا مؤكدا صلة الدم والخواص والمشاركة فى بعض الاحداث والمصائب . من اجل كل ذلك أصبح لهذا الشعر قيمة وطنية سياسية ، فى وسط عديدة فى العالم العربى لانه يحمل فى أبياته بذور الوعى الوطنى والتفكير السياسى . لكننا اذا قسناه بالمعايير الفنية الادبية البحتة فاننا واجدون فيه بعض مآخذ فى الشكل والمضمون . من مآخذ الشكل اغفال قواعد النحو اذ فى أبياته اخطاء نحوية . وذلك كقول تاج سر الحسن فى قصيدته التى جئنا ببعض أبياتها مع النماذج « وفيضا من فؤاد النيل ، حيث نصب « فيضا ، ولا نجد سببا واضحا لنصب — وكقوله فى القصيدة ذاتها « روى أكتوبر الحمراء كانت فى دبرى طيف » ويحق لنا ان نساءل عن خبر « كان » أهو « طيف فلمدا لم يحىء منصوبا اذن كما تقول قواعد النحو ؟ والا فأتين خبر هذا الناسخ ؟ من اخطاء النحو ايضا ما جاء فى القصيدة نفسها وهو قوله : ودعا يا قبور الحى فليطغى عليك(١) الماء . حيث اثبت آخر الفعل لمعتل وهو الياء بالرغم من اتصال الفعل بلام الامر ، وهذا الاتصال يوجب الجزم .

من الأخطاء ايضا قول جبلى عبد الرحمن : وهل نبتاعها العفة (١) حيث اعاد التضمير وهو الهاء فى « نبتاعها » على المفعول به « العفة » والمفعول به متأخر

لفظاً ورتبة . وعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة يخالف قواعد النحو . أباح الشاعر لنفسه استعمال الكلمة مقبض « في قوله : والثلج المتقبض كالأكفان وهو بهذا يفترض وجود وزن افعل . من قبض ثم يصوغ منها « مفعل وهذا الوزن لا يوجد في هذه المادة فيعلم وبهذا المعنى . والفيتورى يستعمل نعة اكلوني البراغيث في قوله : وليمضوا مثلى شهداء أولادى « في قصيدته أنا زنجى .

نجد في هذا الشعر أيضاً بعض الالفاظ والتعابير العامة . ومثل ذلك من الالفاظ « لبن » الكلمة العامة التى جاءت في قول الشاعر صلاح أحمد « يا زرعاً لبن حين جميع الارض موات » من مقطوعته « صلوات » والكلمة « مرميه » فى قول تاج السر الحسن . اقفاله مرميه فى الفضة « (١) . ما التعابير فمثل قول جيلى عبد الرحمن « مركب أحبابي تاهت أين » .

لا يحو مضمون هذا الشعر من مأخذ كما قلنا من قبل وأولها هذا الابهام لذى يظهر لنا فى بعض أبياته . لنا نقرأها ولا نكاد نتبين مراد الشاعر فقول الجيلى عبد الرحمن مثلاً :

واعجب كيف يثير الهتاف (٢)
صوتك حين يهز الشفاف
من القلب ، ذكرى فتاه !
وما نبشت بالبراع الورق
وتركض فوق الحصى والتراب
وقد ترئدى فى الشتاء الحرق

يحمل فى أبياته صورة إلا أنها مفككة الاجزاء لانه ينقلها اليها فى جمل تقريرية لا يكاد يربط الواحدة بتالياتها أو سابقتها رابط إلا ما نستنتج من وضع الابيت والشاعر تاج السر الحسن يقول :

ولكن الدماء تسيل
وتصبغ ارجوانا وجه هذا النيل

١ - ديوانه ، القلب الاخضر ٦٩

٢ - ديوانه - الجواد والسيف المكسور ٣٩

دماء الزنج والعربان
ووجه النوبة الاسيان
بظل امرأة سوداء
غطى ساحة الصحراء

اننا لا نرى ما يربط المرأة السوداء وظاها بوجه لنوبة الاسيان أو دماء الزنج اننى
تسيل وتصبغ صفحة النيل . قد يكون الرباط واضحاً فى ذهن الشاعر . لكنه لا
يوضحه لنا . وقد تكون هناك علاقة يعرفها الشاعر غير انه لا يعرفنا تلك لعلاقة .
ان القارىء ليحس غرابة فى بعض تشبيهات جاءت فى هذا الشعر من ذلك
قول جيلى عبد الرحمن :

وكانت النخيل مثل اذرع النساء
تضم فى جذوعها العجفاء ذكريات
وتلم المياه حين يغمض الرجال

ولنا ان نسأل كيف تكون النخيل مثل اذرع النساء هناك مشابهة حسية أم معنوية
وفى كلا الحالين ما هى المشابهة ؟ اننا لا نستطيع تصورهما . وان امكن ذلك
فالنزوق لا يقبلها . ولنا ان نسأل عن معنى الشطر الاخير . أيريد لشعر ان يقول
ان النساء لا يجرؤن على تناول المياه ليروين ظمأهن الا فى غفلة الرجال ام يريد
شيئاً آخر . وهل يفعلن ذلك حياء أو خوفاً أو تأدباً . ن كل ذلك حيز لكن العبارة
اننى احتارها لاداء هذا المعنى لا تصور حياء النساء أو دهن أو خوفهن فما تصور
الحركة الحسية فقط . وللقارىء بعد ذلك ان يتصور ما وراء تلك الحركة من دوافع
ويستنتج ما يحيط بها من أفكار . يقول الشاعر فى قصيدته فلتحذر انحولاً عن لون
الشمس : ابيض من الثلج مثل الخليب ، ويقول : حتى اذا لقيت ضوءها الابيض «
فهل لون الشمس ابيض ؟ وان كان فهل هو فى بياض الخيب والثلج وضوء الشمس
أهو أبيض . ثم ما الفرق بين لون الشمس وضوئها . لقد اغرب الشاعر ههنا
بلا شك .

يبدو الخيال فى نموذج هذا الشعر التى عرضنا بسياها لا عمق فيه ولا جموح .

و نه يُبلغ احدينا درجة السذاجة وذلك كقول تاج السر حسن في قصيدته « فلتحور
البحولا » :

وفي القرى

عجائز يبكين عند المساء (١)

« من يذهب اليوم بلحنى التمار ؟ »

من يحرس الغابة ان طوفت

فى الليل افيال بقرب الديار ؟

من يشعل النار من حولنا

الناموس والاسود والاشرار

من يعتنى بالصغار

للصيد من يذهب انا هنا

نموت جوعا فى اسى واندحار

يتخيل الشاعر ههنا حل قرية أفريقية بعد ان اختطف تجر الرقيق رجالها وخلفوا
نساء عجائز لا يقوين الا على التذنب وانتحسر لكن من العجائز من تحمل الراية
وتبث احساس فى الصعر وتقوم فى نفس انوقت مقام العائل العائب . اما شعرنا
فقد صورهن ضعيفات مستحديات وكأنه اراد استجداء العطف ولم يرد اثاره
الحماس . اننا لم نحس اثناء قراءة هذا الشعر نفعا قويا جاشت به نفس احد اولئك
الشعراء فننقل من دخليته إلى عبراته . قد سردوا مأسى أفريقيا سردا وقررنا مظالمها
تقريرا فجاءت العاطفة فى قصائدهم تلك فائرة .

✽ ظهرت أفريقيا فى شعر محمد مفتاح لعيتورى . وهو شاعر ينتمى إلى
السودان كما ينتمى إلى بلد آخر من بلدان العروبة . لا كما ظهرت فى شعر
الآخرين انما جاء ظهورها فى شعره أكثر لانه نظم له العديد من القصائد وافرد
لها دواوين من نظمه . وجاء اعمق لانه حمل بعض ما نظم لها شيء من ذات نفسه
وتقديرا لانتمائه إلى السودان وشيوخ امر هذا لانتماء فى بلاد كثيرة نرى لزاما
علينا ان نقف عند بعض شعره اذ لا يصح ان نتناول الشعر فى السودان ونغفل

مانظم . عبر الفيتورى فى بعض شعره وقد نظمه فى القوالب الحديثة عن نقطة أفريقيا
وبعثها وهذا يتمثل فى قواه :

يا أخى فى الشرق ، فى كل سكن (١)
يا أخى فى الارض ، فى كل وطن
انا ادعوك ..

فهل تعرفنى ؟

يا أخا اعرفه رغم المحن
اننى مزقت اكفان الدجى
اننى هدمت جدران الوهن
لم اعد مقبرة تحكى البلى
لم اعد ساقية تيكى الدمن
لم اعد عبد قيودى
لم اعد عبد ماضى هرم ..
عبد وثن

انا حى خالد رغم الزمن
فاستمع لى .. استمع لى
انما اذن البليغة صماء الاذن
ان نكن سرنا على الشوك سنينا
ولقينا من اذاه ما لقينا
ان نكن بتنا عراة جائعينا
أو نكن عشنا حفاة بائسينا
ان نكن قد اوهت الفأس قوانا
فوقفنا نتحدى الساقطينا
ان يكن سخرنا جلادنا
فبنينا لأمانينا سجوننا

ورفعناه على اعناقنا
ولشمتنا قدميه خاشعينا
وملأنا كأسه من دمننا
فتساقانا جراحا وافيئا
وجعلنا حجر القصر رؤوسنا
ونقشناه جفونا وعيونا
فلقد ثرنا على أنفسنا
ومحونا وصمة الذلة فينا
الملايين أفاقت من كراها
ما تراها .. ملأ الاقق صداها
خرجت تبحث عن تاريخها
بعد ان تاهت على الارض وتاها
حملت افقوسها وانحدرت من روايها
واغوار قراها .. !
فانظر الاصرار في اعينها
وصباح البعث يحتاج الجباها
يا أخى فى كل ارض عريت من ضيها
وتغطت بدجاها
يا أخى فى كل ارض وجمت شفتها
واكفهرت مقلتاها
قم .. تحرر من توابيت الاسى
لست اعجوبتها .. أو موميها
انطلق فوق ضحاها ومساها
يا أخى قد اصبح الشعب الاها
جبهة العبد ونعل السيد
وانين الاسود المضطهد

تلك مأساة قرون غربت
لم اعد اقبلها .. لم اعد
كيف يستعبد ارضى ابيض
كيف يستعبد امسى وغدى
طيف ينخبو عمرى فى سجنه
وجدار السجن من صنع يدي
أنا زنجى .. !
وأفريقيا لى لا للاجنبى المعتدى
انا فلاح ولى ارضى
التي شربت تربتها من جسدى
انا انسان ولى حريتى
وهى اغلى ثروة من ولدى
انا حر مستقل البلد
وسابقي مستقل البلد
ههنا واريت اجدادى .. هنا
وهم اختاروا ثراها كفا
وسأقضى انا من بعد ابى
وسيقضى ولدى من بعدنا
وستبقى ارض افريقيا لنا
فهى ما كانت اقوم غيرنا
نحن اهرقنا عليها دما
ومزجنا بثرها عظمنا
وشققناها بحارا وربا
وزرعناها سيوفا وقنا
وركزنا فوقها اعلامنا
وتحدينا عليها الزمنا

وسنهدبها إلى أحفادنا
وسيحمون علاها مثلنا
فاسلمى يا ارض افريقيا لنا
اسلمى يا ارض افريقيا لنا .

في هذه الايات يعلن الشاعر يقظة افريقيا إلى الملاء في عبارة واضحة قوية . يعلن على الملاء ان افريقيا رفضت الماضي البائد لدى عانت منه ما عانت من شقاء واذلال . ذكر الشاعر كثيرا من آلام ذلك الماضي ومآسيه وفصلها تفصيلا يشيع في الايات شيئا من حزن دفين . بعد هذا اعلن الثورة قائلا :

فلقد ثرنا على انفسنا
ومحونا وصمة الذلة فينا

وتدفقت كلماته قوية ناثرة تحمل الاصرار والعزم وترفض الاستعباد والمهانة وتؤكد سيادة الافريقيين في ارضهم وحريرتهم في تلك الارض . ان ايات الفيتورى هدى تكشف عن وطنية صادقة وثورة عارمة . والواقع ان الكثير من قصائده يفيض بالثورة والوطنية . الا انه كثيرا ما يرتد حزينا كئيبا في قصائده تلك كقوله :

يا اميرتي السوداء^(١)

.....
.....

لو تعرجت حوائط البيوت

لو رأيت شاعرا يموت

جثته طريحة

وقلبه حمامة ذبيحة —

ودمه على الثرى عباءة حمراء

تنقرها الغربان والسلاحف الحذباء

فما الذى كنت ستصنعين

فما الذى كنت ستصنعين ؟

١ - اذكرينى يا افريقيا ، الفيتورى ، ١٥

تنتزعين زينة العرس
وتلبسين زينة الحداد
وتنديين
وربما بصقت نقمة على الجلال
لانه اسكت صوت شاعرك
اسكت صوت رجلك
وربما ستذكرين مقلتيه كيف كاننا
ونشهقين يا اميرتي
لكن إلى متى ؟

انه ينشر الكتابة ويفيض حزنا دفيناً لكنه يشوب الحزن بانفعال قوى مكبوت نستشفه من السؤال الذى يلقيه على الاميرة السوداء بعد ان يصور لها ما قد يحدث ، يسألها « فما الذى كنت ستصنعين » ويكرر السؤال ثم يجيب على سؤاله بنفسه . وكأنه يريد ان يبين لها ما يمكن ان تفعله أو ما يجب ان تفعله . ثم يختتم اجابته بسؤال آخر : لكن إلى متى ؟ . وانه بسؤاله هذا لا يكتفى بما قد تفعل . بل انه ليراه قليلا غير كاف وغير كفاء للغاية السامية التى يسعى لها . هذا لانفعل التقوى المكبوت هو دليل الثورة التى تتمثل فى نفس الشاعر وشرارة من النار المأججة فى دخيلته . وانه ليمكننا حينئذ ان نقول ان عاطفة الفيتورى تبدو فى شعره قوية اصيلة . دعا الفيتورى افريقيا دعوة نائر متألم ، دعوة ابن لا يرضى لها حاضرها وينهر من ماضيها . ابن يريد لها النهوض لان « دورها قد اتي » وعليها ان تلعبه كاملا وتجيده وها هى ذى دعوته :

افريقيا(١)
افريقيا الغائبة
يا وطني .. يا ارض اجداديه
اني اناديك
ألم تسمعي صراخ الآلى واحقاديه

اني اناديك
انادى دمي فيك
انادى امتى العارية
اني انادى الاوجه البالية
والاعين الراكدة الكايه
فويلك ان لم تحضنى صرختى
زاحفة من ظلمة الهاوية
عاصفة بالايض المعتدى عليك
يا افريقيا الغالية

.....

.....

اجل فانا قد اتى دورنا
أفريقيا
انا انى دورنا

لكن الثورة والام ينقلبان إلى حقد . انه لا يدعو فريقيا لتنفذ عنها غبار
الذل والحمول والضعف وتعمل مع العاملين بخير بنى الانسان فحسب . انما يدعوها
لتهب وتعصف « بالايض المعتدى » وبذلك يريد نار العنصرية حطبا .

كذلك عبر الشاعر الفيتورى عن البعث لافريقى وعن نقطة الافارقة فى
قصائد عديدة ضمنها صفحات دواوينه . من هذه قصيدة عنوانها « ان زنجى »
جمعت هذه القصيدة إلى التعبير عن هبة أفريقيا الاعتداد بالاصل . وها هي ذى
اياتها :

قلها لا تخبى .. لا تخبى !

قلها فى وجه البشرية

انا زنجى

وأبى زنجى الجلد

وأبى زنجية

انا اسود
اسود لكنى حر امتلك الحرية
ارضى افريقيه
عاشت ارضى
عاشت افريقية
ارضى .. والابيض دنسها
دنسها المحتل العادى
فلأ مض شهيدا ..
وليمضوا مثلى شهداء اولادى
فوراء الموت .. وراء الارض
تدوى صرخة اجدادى
لستم بينينا ان لم تذر الريح رماد الجلال
لستم بينينا ان لم يحل الغاصب عنها مدحورا
ان لم تخلع اكفان الظلمة ..
ان لم تتفجر نورا ..
ان لم يرتفع العلم الاسود ..
فوق رباها .. منصورا
ان لم يحن التاريخ لكم جبهته فرحان فخورا
الفجر يدك جدار الظلمة
فاسمع الحان النصر
هاهى ذى الظلمة تداعى
تساقط .. تهوى فى ذعر
هاهو ذا شعبى ينهض من اغماءته
عارى الصدر ..
ها هو ذا الطوفان الاسود ..
يعدو عبر السد الصخرى

هاهى ذى أفريقيا الكبرى ..

تتألق فى ضوء الفجر ..

يجد الناظر فى شعر الفيتورى شكاة صريحة يعدد الشاعر فيها المظالم التى حاقت
بالأفريقيين فأورثتهم حقدا : يصور الشاعر كل هذا فى اطار من الكتابة يكشف
عما يعمل فى نفسه . والايات الآتية تمثل ما نقول . وعنوانها - « إلى وجه ابيض ».

الآن وجهى اسود (١)

ولان وجهك ابيض

سميتنى عبد

ووطئت انسانيتى

وحقرت روحانيتى

فصنعت لى قيذا

وشربت كرمى ظالما

واكلت بقلى ناقما

وتركت لى الحقدا

ولبست ما نسجت خيوط مغازلى

وكسوتنى التنهيد والكدا

وسكنت جنات القرايس

التى بيدى نحت صخورها الصلدا

وانا .. كم استلقيت فى كوخ الدجى

أتلغح الظلمات والبردا

كالشاة اجتر الكتابة

عاقدا حولى دخان نفاهتى عقدا

حتى اذا انطفأت مصابيح السما

وانساب نهر الفجر ممتدا

ايقظت ما شئتى الهزيلة

وانطلقت اقودها لمراحها قودا
فاذا سمن نعمت انت بلحمها
ونبذت لى الامعاء والجلدا
لا ياأخى !
ان التهاب مشاعرى هيهات بعد اليوم ان يهدأ
هيهات
لم اخلق عليها بومة
تقتات بالديدان أو قردا
انا كائن امى واملك طينة
والنور ليس لاينا جدا
فلاآم تحرمنى حقوقى ؟
بينما تلقى السعادة انت والرغدا
والام تستعلى بانفك سيدا ؟
وانا اطاطىء هامتى عبدا
انى صحوت ..
صحوت من امسى
وذى فأس مهد قبوره هدا
ساكون نارا .. فالحياة تزيدني نارا
وارقص فوقها رعدا ..
فاخلع براقع كبريائك ..
اننى اسكنت جيفة ذلتى لحدا
واضمم يدك إلى يدى
نشيد معا صرح المحبة بيننا شيدا
انى اخوك فلا تعق اخوتى
فتزيد بركانيتى وقدأ
اياك .. لا تبذر بذور عداوتى

فتعود تحصد شوكتها حصدا
اياك لا تزرع حقولك عوسجا
اني زرعت حقولي .. الورد

ان هذه القصيدة تصور كما يصور غيرها من قصائده ثورة النيتورى على
التفرقة العنصرية وما يتبعها من افتئات على الحقوق — حقوق السود ، وما ينجم
عنها من احتقار يلقونه . ان كل هذا ينتج ألما دفينا يصوره الشاعر بقوله :

عاقدا حولي دخان تفاهتى عقدا
حتى اذا انطفأت مصابيح السما
وانساب نهر الفجر ممتدا
ايقظت ما شيتى الهزيلة
وانطلقت اقودها لمراحها قودا

ويثمر حقد صرح به الشاعر حيث قال :

وتركت لى الحقد

كما صرح به فى قصيدة أخرى قائلا :

ولما أبى .. ! (١)

مزقته السياط
فحطم جمجمة السيد
وأخر كانت تنام الشياه وتصحو
على صوت مزماره
وفى ليلة ، كفرت روحه
بجزارها ، وبجزاره
فهب ، فاشعل احقادها
فسالت جحيما بوجه الصنم
وابصره الغد فوق الرمال

تكفنه عزة المنتقم

تبع ثورة الشاعر فمتها في قصيدته هذى . إلى وجه ابصر - فيعجز
مهيدا بقوله :

لا يا حى !

ان التهاب متاعرى هيهات بعد اليوم ان يهدا
هيهات

لكنه : غما عن كل ذلك يحتم قصيدته هذى دعوة قوية واضحة إلى تآح نسائي
وتعاون نشري يقومان على نسيان الماضي ولاقتل على الحياة فى نحاب وتزرد
ومساواة ، وذلك حيث يقول :

فاخلع براقع كبريائك
اننى اسكنت جيفة ذلتى لحدا
واضمم يدك إلى يدى
نشيد مع صرح المحبة بينا شيدا
اني اخوك فلا تعق اخوتي

.....
.....

اني زرعت حقولى الورد

ان محمد الفيتورى شاعر مقتدر يقص إلى القراء ما يعتمد فى نفسه على عبارة قوية
واضحة رائعة لكنه مع القوة والوضوح والروعة يهمل قواعد البحر احيانا ويخل
بعض الالفاظ العامة . وهو ذو خيال قوى اصيل ويشهد بقوة خياله واصالته
مسرحيته ، سولارا (١) ومما يبين مقدرته أو « طول نفسه » تلك القصائد الطوان
التي تزخر بها دواوينه .

الاعتبار القومى والتغنى بالعروبة :

تعنت كثرة من شعراء السودان بعروبة . ومن تلك الكثرة عبد الله محمد

١ - احزان افريقيا - الفيتورى

عمر البنا وعبد الله عبد الرحمن لامين وعبد الرحمن شوقي . وقد وردنا في فصول سابقة من هذا البحث آياتاً من شعرهم تضمنت تغنيهم بالتراث العربي الاسلامي . لم يكن التعنى محصوراً في شعر هؤلاء انما جاء في شعر غيرهم من مجموعة الشعراء الذين عرفوا بالتقليديين ، وجاء في بعض قصائد من شعر اولئك الذين عرفوا بالمحدثين أو المدرسة التجديدية التي ، دعت إلى الاهتمام بالعناصر المحلية في الكيان السوداني وابرازها بقوة غالبية . وفي هذا السبيل اتجهت اتجاهات قويا إلى الثقافة العربية لكي تكتسب من غناها العلمي والادبي ادوات تزيدها مقدرة ومهارة في انماء الأدب السوداني القومي الذي تريد انتاجه « (١) » لم تتح هذه المدرسة هذا الاتجاه انكرا للتراث العربي الاسلامي أو تجاهلاً لأثره أو استصغاراً لشأنه ، انما كانت تبحث عن ريادة المقدرة والمهارة . « انها تريد ان تصيف إلى ما عندها وللعروبة فيه نصيب كبير . ثم تخرج نتاجاً مستقلاً وان حوى بعض ملامح الاصول وشيئا من سمات المنات . وها هو ذا احد رجال تلك المدرسة يقول : « أي (٢) » لاقرر في تأكيد زائد ان اثر الدين الاسلامي والثقافة العربية سيظل ملازماً لحركتنا الفكرية ما بقيت هذه البلاد وما قامت فيها ثقافة وحركة فكرية . لكن هذا الاثر بلا شك سيكون عرضة للتفاعل مع المكتسب من الآراء الحديثة والافكار الغربية . وسيخضع كلاهما إلى جو هذه البلاد وما توحيه جغرافيتها وطبيعتها من افكار وتحيلات . »

ان هذا الاثر . اثر الدين الاسلامي والثقافة العربية . سيظل ملازماً لحركتنا الفكرية ما بقيت هذه البلاد لانه اصل اصيل في البنية السودانية ، وهو التراث الذي تشعبت به تلك البنية وظهر في المجتمع السوداني قويا واضحا في حياة الناس - في الدور وامكنة العمل وفي المتديبات . واتخذ بعض الشعراء وسيلة لاثارة حماس المواطنين وتبصيرهم بما كان عليه اسلافهم في الماضي حتى يبين لهم حاضرمهم فيهبوا لاصلاحه . لجأ هؤلاء الشعراء إلى التراث العربي الاسلامي لأن اسودان يرتبط بالعروبة والاسلام ارتباط الدم والثقافة والعقيدة . وهو في

١ - الاتجاهات الشعرية في السودان ، النوي ، ٦٠

٢ - المصدر نفسه ٤٤ (محمد احمد محبوب ، الحركة الفكرية في السودان .)

رجل كالرجال جاء بما
يأمر الماء بالوقوف فينصاع
وترى سكرا بفيه ولكن
ثم يخلي من المياه انساءين
يضع الشيء في يديك فتلقا
ويغطي الاناء وهو خلاء
ثم يذني الغطاء منه ويأ
ويمزق عمامة لغلام
ثم يملأ اشارة فسراها
ثم يغري فتاته فسراها
ثم تلقاه من مهارته رد
ولكم رص في الهوى اعلاما
كم خشينا عليه حين تحدى
قد عجبنا لفعله ودهشنا
وهو في فنه العجيب لقد فاز
مذر ما نراه ام هو جد
زعموا انه الخداع ولكن
وهي ملكى وكيف يخدع لبي
ايها الملحدون هذى امور
عللوها فان قدرتم فقولوا

يعجز عن فعله بنو الانسان
وان شاء لج في الحرمان
مثل جمر مسعر بدخسان
اذا شاء بعد يمتكسان
ه على الرغم منك في يد ثان
ثم يأتيك منه بالثعبان
تيك بزواج من الحمام يمانى
ثم يلتقى بها إلى النيران
رجعت عمة من الدبيلان
ما لها بالحياة قط يدان
لها روحها بغير توانى
زاهيات الأشكال والالوان
طاعنا كل جسمه بسنان
فأشسرنا له بألف بسان
لابداعه بألف رهان
ومن الناس ام من الشيطان
كيف فى الشيء تخطيء العينان
وشعورى وفطنتى وجناني
من صنيع الجهال والغلمان
انه لا اله الاكوان

ان العباب الحواة ليست قاصرة على السودان . وليس احتراف تقديمها وقفنا عليهم .
وقد يكون الحاوى المقصود بهذه الابيات غير سوداني . لكن عرض هذه الالعب
يكثُر فى المجتمع السوداني وبألفه الناس . والشاعر يصور ههنا فى دقة ما يعترى
المشاهدين من دهشة تحملهم على التساؤل عن اصل مقدرة الحاوى تساؤلا يتضمن
وصفا دقيقا لكل ما يأتي من ألعاب . اما الودع وضاربته فقد قال فيهما الشاعر (١):

أرت أم عباس اعجوبة
وما أم عباس الا عجوز
تبشرني وعلى وجهها
وتحلف ان لم ائل ما ترى
تجادل ان انا جسادتها
تلقتة عن ملك في المنام
نذرت لها شقة مؤمنا
فهازت بها رغم مطلي لها
فقد نباتني بما لم يدر
فواعجبي كيف نباتها
وواعجبي كيف في عصرنا
وان كنت صدقتها ما ادعته
ولست بمعترض بعدها
وفي الرمل اشياء لكن له
امور اري بعض أسرارهن
على انها خدع عندما
اصدق من صحيحاتها
ولكن من الحمق ان تترك

تضل كبير الحجى بالودع
تقى بها نزعمة للورع
يريق السرور يحظى لمع
فليست تعود « لخط الودع »
كمن هو في فته قد برع
فأى ملاك لهذا شرع
بأن الذي اخبرت لن يقع
مطرزة ليس فيها رقع
ببالي وها هو حقا وقع
وديعاتها بأمور تقع
تصح الخرافات في المجتمع
فما انا الا الالعلى تبمع
اذ اصبح الناس جميعا « شيع »
حساب على فهمنا ما امتنع
صدقا به من داره اقتنع
يزاولها بعض اهل الطمع
وليست تجوز على الخدع
اللباب مشايعة للبدع

ان شعر حمزة زانح بالصور المحيية كهاتين الصورتين وغيرهما من وصف بعض
المناظر والبقاع والمناطق في السودان . اننا نحمد له تعمقه في الوصف فهو يتعدى
ذكر ما يقع عليه النظر و يلتقطه السمع إلى ما يدور داخل النفس - ففي قصيدته
« ليلة ونهار » التي تبدأ بقوله :

الشمس خلف الجبال
والكون في العين امسى
كأنما كل شيء
غابت ولاح الهلال (١)
حقيقة كالحيال
مكون من ظلال

ثم يحدثنا عما يجول في ذهنه قائلا :

هذا سكون مريح	لن اطبال النضال
لكن نفسى تفانست	في حيرة وانفعال
اواه مما تقاسى	لجسدها بالمال
فهلى ترى الموت يشفى	من مثل دائى العصال
هذا سؤال ولكن	مد جواب السؤال

يسج حمزة على هذا لنوار بخديث عن ذات نفسه ولتعبير عن حيرته في بعض حقائق الحياة في معظم قصائده وهذا نفس حديد في الشعر السوداني .
لا نجد عند محمد سعيد العباسي أو عبد الله عبد الرحمن أو عبد الله محمد عمر البها أو غيرهم (١) . لكنه يخرج إلى العامة احبدا ومثل ذلك قوله :

الحمد لله راقت واعقب الحال حال (٢)

فلمحة الحمد لله راقت . تعبير يدور كثير في اسمة عامة الناس . ومنه ايضا قوله
رعمو به نخدغ ولكن كيف في اشيء تحطى العيين
فقد عدى الشاعر الفعل تحطى . بحرف حر في وهذا من اساليب العامة السودانية
اذ يقال فيها « تحطى في .. » .

كذلك نجد العامة في قوله :

ثم على اشارة فراها رجعت عمة من الدبالان

وفي قوله - ثم تقم هذه خرائب الافرقة منك عنه الكلام يظول في عبارتان عمة
من الدبالان و . الكلام يظول من اللغة العامة السودانية . وهكذا اذا تنعما
قصائد حمزة أو زردة في ديوانه نجد . العامة في عدد منها . ومع ان الشاعر
ينعمق في وصف احساسه وفي وصف مظاهر الطبيعة في وطنه السودان الا انه
لا يتحير لوصفه هذا بعض الانداز والتعابير خملية ولا يعنى دسونه العباية التي
تناسب دقة الوصف وعمقه .

١ - الشعر الحديث في السودان - الشوش ١٦٣

٢ - ديوان الطبيعة - حمزة الملك طمبل ، ١٠٥

وفي وصف الخلوة قال التجاني يوسف بشير (١).

هب من نومه يدغدغ عينيه	مشيحا بوجهه في الصباح
ساخطا يلعن السماء وما في الا	رض من عالم ومن اشباح
حنقت نفسه وضاقته به	الحيلة واحتاجه بغيض الروح
واهابت به الظلال وقد نشرن	في جلوة القرى والبطاح
طوفت في خياله ذكريات الر	وع واعتاده مطيف الجناح
ومشى بارما يدفع رجله	ويكي بقلبه للمناح
ضمخت ثوبه الدواة وروت	رأسه من غيرها المباح
ثورة صورت خوافي ما بين	حسايا صبيا من ريساح
ورمى نظرة إلى شيخه الجبار	مستبطا خفي المناحي
نظرة فسرت منازع عينيه	ونمت عما به من جراح
حبذا « خلوة » الصبي ومرحى	بالصبا الغض من ليال وضاح
رب يوم اغر يزهو بلدى	نطاق وعبرى وشاح
وظلال من الضحى ظفرت	منها بعقد من الصبا لملاح
زهرات شتى منوعة الالوان	من سوسن الربى والافاحسى
منعت شمسها فعاودها الف	هوى يستفيدها للمراح
ونفوس سجي الكرى فى حوا	شيها ودب الفتور فى الارواح
فارجحت مهومت وما	تبرح مركوزة على « الالواح »
كلما لفها النعاس واضفى	فوقها عالما ندى الجناح
قصف الرعد فى المكان ودوى	مرزما صاخبا قوى الصباح
فاستفاقت وهينمت بعض اشياء	وعادت وعاد قصف الرياح
صور للصبا الاغر موشاة	بأحلامه وضوء الصباح
يدفق البشر من مفاتن دنيا	ها وتفسر عن سنا وضاح

نظم التجاني قصيدة وصف بها مدينة الخرطوم هي ستة وعشرين بيتا لم يعرض فى قصيدته هذى إلى المناظر الحسية المحددة التى تتميز مدينة الخرطوم كموقعها بين

١ - اشارة ، التجاني يوسف بشير ، الطبعة الرابعة ، ٥٦

البلدين . وكم ينظر بشفقة أنياب لاسيم في زمن المضن . لم يذكر شعرا شيئا
 عما أصاب هذه المدينة من تقدم عمراني . وعما فيها من نهضة تجلت في بعض
 أدينتها وعبر ذلك مما يمس حياة ههنا أو يصور تلك الحياة . ومهما يك من شيء
 فهذا بعض ما قاله التجاني في مدينة الخرطوم :

مدينة كالزهرة المونقة	تنفح بالطيب على قطرها (١)
ضفافها السحرية المورقة	يتحقق قلب النيل في صدرها
حسبي غيبة مطرقة	نغمها الحسن على نهرها
مهمه حانها مطرقة	رجعها الصياد من طيرها
وتسمي الخمرية المشرقة	تفرغ كأس الضوء في بدرها

أحني عليها الغصن الفاره	وظللها العنقود من حادر
وهام فيها القمر الرافه	يعزف من حين إلى آخر
قصيدة الهمها الاله	يراعه الفنان والشاعر

مدينة السحر مراح العجب	ومفتدى أعينه الساحره
تنام فيها حجرات الذهب	على رياض نضرة زاهره
اضاءها الفجر فلما غرب	اضاءها بالانفس الناضره
وحققها الحسن بما قد وهب	وزانها الحب بما صوره
يا للفرير الحلو من ذا احب	ويا لذلك الظسبي من ساوره

ان هذا الوصف وصف جيد مع أنه لو استقطنا العنوان لما عرفنا المدينة الموصوفة .
 وسر جودته ما أودعه الشاعر من صور شيقة متعددة رسمها خيال رومانسي . يبدو
 من هذه الصور ان الشاعر معجب بمدينة الخرطوم وبما فيها من جمال نشري .
 لشاعر قصيده وصفية أخرى حصص بها جريرة توتي . ورسم فيها بشعره بعض
 مآثرها الطبيعية وما يدور فيها من حركة في أصبح في رنة واربعين بيتا .
 وما هوذا بعضها :

يا درة حفيها النيل
وصحا الدجى وتغشا
وصاح بين الرابي
وطاف حولك ركب
وراح ينفض عينيه
مماج دلايك عش
كم دتمارح فس
يخور ثور وتنعو
والهم تمسرح والزر
تجاوب اللحن والطحن
وهب صوت النواير
ان الجرار وقد ضا
تكسرت وهى تهوى
وضل قرنك يا
كل عين مصايح
ونور طر واحسر
وداب فى رمل وما
ترحل الريح
رملاء يسرق در
والملح فى حانيتها
هذا شرع مكر
واحتسواها البر (١)
ك فى الاسرة فجر
الغر عبرى اغر
من الكراكي اغر
من بنى الايك حر
وقه فى لعش دير
عنى يديك وسحر
ساة وتنفق حمر
ع مونق مخضر
والثغاء المسر
وهو فى الشجومر
ق بالقلب المر
فما تلاءم كمر
شمس آنذاك يأنز
من ندى يستر
فى ترى المحصر
ح فى تات عبر
ل من نقس او تذر
منها وييهـ در
كاهـ ما تستقر
وذا شرع مفر

فى هذه الابيت التى اخترتها من قصيدة توتى فى الصبح وصف حية
ايضا ففيه صور عديدة تسم القارئ جمادا وتستهوى السامع بالحكماء وحينئذ
يراه بجياله رائعة حية ان المناظر التى يصنعها اشعر نيكور منها صورة شبه
بحقائق الحياة فى توتى ان لم تكن منها بالفعل . وقد اعدت السعـ خياله تحصيل
التماذ فى تلك الحقائق فحتمنا بوصف سائق حى نرز حسـ الطبيعة فى نقـ من

بقاع بلادن . ن وصف الخروطوم جميل ووصف توتى جميل . وقد اعجب الشاعر
 بالخرطوم لما فيه من جمال حتى ساقه وجمال معنوى خلل لبه فهى حاضرة قومه
 ومصدر الكثير مما يتوفعه الشاعر لبي وطنه . وقد اعجب الشاعر بتوتى . راقه
 جمال الطبيعة فيها . وقتنه ما تصوره من الحياة القروية وما يتجلى فيها من سحر
 الريف السودانى وحياة اهليه البسيطة وما يزينها من صدق فى العزيمة والايمان
 وسمحة فى خلق . وانا نجد وصفه لتوتى احب الى النفس فالصور فيه ابهج
 واوضح وهى ايضا صدق لانها بسيطة بساطة الحياة فى جزيرة توتى . فقلوه :

رملاء يبرق در منها ويهر در
 والفلك فى جانبها كالدهر ما تستقر
 هذا شرع مكر وذا شرع مفسر

صورة حية ناطقة لشطىء النيل فى توتى ورماله تلالاً ذراتها تحت وهج الشمس .
 والقوارب المنتشرة فى الشاطىء بعضها ذاهب وبعضها الآخر آت . والواقف منها
 تحركة الامواج وتدفعه فيهنز أو يختلج ويضطرب مع حركة لامواج . يتأمل الشاعر
 هذه القوارب فى اضطرابها واختلاجها أو سيرها ذهبة آتية فيتذكر الدهر وصروفه .
 انه يشكو فى غضون اعجبه بجمال وافتتانه بهذا المنظر . وقوله :

مدينة اسحر مراح اعجب ومفستدى اعينه الساحرة
 تنام فيها حجرات الذهب على رياض نضرة زاهرة
 اصاءه البحر فى عرب اضاهها بالانفس الناصرة

صورة أو صور جميلة لكنها فيما نرى لا تنضح لعين الخيال . ولا نستطيع ان
 نعرف مراد الشاعر من قوله « حجرات الذهب تنام على رياض نضرة زاهرة »
 ولا نستطيع ان نتخيل تلك الحجرات دئمة وان موضع نومها رياض نضرة زهرة
 اما ثأت هذه لايات فلا يدخل فى لصورة السابقة الا انه يشيد باهل المدينة اشادة
 موجرة عامة . هم . انفس باضرة . تحل محل الفجر اذا غب . وهو يريد بالتمحور
 ههه ضوء الشمس والنهر لان ضوء الفجر يبقى قليلا ويعتبه النهار فهو اذن بدايته
 ونعل هذا هو ما نوح للشاعر استعمال الفجر ههنا فى هذا المعنى . ن شعر
 تتجاني جيد صنعة عامة من حيث المضمون والشكل فقصاده تنسم بوحدة الموضوع

وخصوصة الخيال إلا أن معانيه لا تخلو من الغموض أحياناً ويستيع في بعضها نفس صوفي . أما أسلوبه فسايم في الغلب الأعم فقد افاد مما قرأ من شعر الأقدمين وأدبهم ولم درس على شيوخ المعهد العلمي سلامة العبارة والورن وصحة التركيب اللغوي .

لم يطمع الشاعر في الوطنيّة ونسبته كما فعل كثيرون من شعراء السودان إلا أن شعره لم يخل من تعمق بالوطن وتفكير في شؤون المواطنين كاد تعلقه بوطنه يفوده إلى الثورة فقد ضاق ذات مرة بما يدقّ الأجنيبي في بلاده من ررق ميسر وعيش هيء . وعز عليه ما يجده السوداني من حرمان فقال :

قف يا غملاً البلاد حمداً ونقص من ركنها مرجحاً (١)
هي للتأحين مورد جود وهي للأهلين مبعث ضن
يستدر الأجانب الخير منها والثراء العريض في غير من
ابطرتهم بلادنا فتعالى ابن أثينا واستكبر الأرميني

غير أن ثورته هدى هدأت فجأة فقال يكمي ساه في بأس قتل :

يا بلادي اخمصك الخير وستصميت ودي ليك من كل مين
يا بلادي وانت اضيق من رز قى مجالا ودون اخرات اذني
حسب قلبي من الاسبى ما لاقى مرء جنبي من كلال ودين
وبحسبي من حاجة عوز يد فعن نفسي إلى فراق ودين

وهي قصيدة أخرى صرح بالتعبه من قومه . فمن سهر نفس يورنه لاجهاد والضعف إلى عمل متواصل يصيبه فيه النحاح حين والفشل أخرى . وذلك حيث يقول :

كم صبح نسجته ان وامجم ورسلت شمس من محطى
قلت سيري على امرة قومي واستحري على مصحح رهطى
ان جراعهم سهرت يستعشرا ومن جلهم اصعب واخطى

تدول نشعر محمد المهدي مجذوب بعض الاحداث التاريخية التي تصور

أمجاد بلاده ، فني فصيدته المصير (١) جاءت الايات الآتية :

أسمع من شيكان رعد تحدرت زمازمه حول النحاس المغرد
 مهاج بخلع قبر عتيد له كسيف على ثأر يناجيه مغمد
 وسمع شبح غابر من نشيده وهاج ابن منصور قتيلًا بمسجد
 وصبحت ، صاقت ضى واعينى تصيح الا انظر هبة الفجر واشهد
 وجمع اشلائي وذديت عرمة مبددة اثر الفؤاد المبدد
 وعن عجب لم استرح من هواجس يث بها فى الضوء ظل التردد
 وما صاحكتنى فرحة قد دفنها زمان الاسى هيهات انسى بملحد
 ولكننى - والامر لله - حاقد اسامر حقدى بالشمات المبرد
 وليس يرجى انما نحوانى تبسم شيخ حاقد الشيب ادرد
 جيبى صخر لايتانى ومن شنى سرى الماء يحرى بين احناء جلمد
 بذلت جيبى لارزاي واعينى على وطن دامى العشيات مقصد
 وياوطنى خمسون عاما تصرمت حملت بها حجل الاسير المصنف
 رفعت عليها راية النصر فى يد ومزقت ثعبانا من القيد فى يد
 فمن لى بلقيا من تولوا وازمعوا إلى كورى بينا على غير موعد
 غرسم لواء فى دماء خصيبة فجشن بغاب من رماح محشد
 وثرنا فهذا النيل ارسال موجه سيوف تنادى فوق درع مزرد
 تشير إلى اعدائنا فى قراره تصيح بسيف على كل مرصد

يذكر الشاعر ههنا « شيكان » و « كورى » كما يذكر بعض اشخاص الا انه لا بعدد. - ولا يرسلها فى نظم خاو حال من العصفه بل يدخلها فى هيض من عطشته حتى ان تلك الاسماء مع مله من مكانة ووقع تحتنى فى ذلك الخضم الملتهب . يبدو فى اوائل هذه الايات غضب مكتوم نحس به فى تساؤله : أسمع من شيكان رعد . له تساؤل نرغب لمنمى : انه يود لو جلجل رعد وقصف وهدل على لاعداء وحصدهم حصدا . لعل بعض ما حدث لهذا الشاعر هكذا ، فشفى

نفسه وابراً سقمها ، لكنه لا يكاد يصدق ومع ذلك ينتظر كرة أخرى . ثم نحس
ألماً دفيناً في قوله :

وجمعت أشلائي

وقوله : لم استرح من هواجس

وقوله : وما ضاحكتني فرحة قد دفتتها

وانما لنألم معه فإوصاله مقطعة . وعزيمته واهية لا يكاد يسترجعها لأن فزاده لا
يسعفه . ونزثي له لان التردد يعتاده فتكثر هواجسه ، فيذهب فرحه ليحل محله
الاسى والحق - فقد تميزجه شدة . حقق عتيق غدته السنون . رغم هذا الاوار
العاطفي متأجج في دخينة الشاعر نراه يسترجع قواه ويأخذ في فخر صلب عيب
وكانه يريد ان يعلن بذلك عن رفضه لاستسلام للضعف وعزوفه عن الشكوى
وكيف يضعف ويشكو وهذا هو ذا وطه يهب في وجه السخاء رغد عن القيود
وطول الامد .

في قصيد أخرى سماها الشاعر « عيد الحرية » (١) . قال :

وطنى الذى اهوى .. لعينى مسفر	يدعو رؤاى الغابرات فتبصر
فجر تخلق من ارادة أمة	وأهل تسمع ما يقول فتد كسر
صاف توهجت المنى بضياؤه	شتى كما عكس الاشعة جوهر
والنيل قد لبس الضحى من خضرة	متموج فيها العباب الاسمر
والرمل من ذهب يشف ، مآزر	تحت النخيل حريرها يتكسر
والزهر انفاس يطوف عيرها	متوقف ، متلفت ، متعثر
والزرع نور وعده لسواعد	أخشاء تورق فى الضفاف وتثمر
صور عشقت لها الحياة مريرة	وبقيت بين خطوطها انتظر
اصغى إلى الصبر الوقور وخلفه	كبد يذوب على شباب يدبر
واني وان فت الشباب فانه	وطن يدوم به صباى الاخضر
مهد لاطفالى وثدى امومة	متجدد يهب الحنان ويؤثر
عيد ولم يك قبله من عائد	يأتى الينا باسماء ويشهر

قد كان رهن محاجر من ظلمة
حتى اذا نضج الحفاظ اباحه
وافاق يشعل ناره في ليله
وبدا الصباح مهندا في لمعه
ضرب القيود فكل عى منطق
والنيل منبر ثورة اعواده
وطنى الذى اهوى كتاب ملاحم
وعماثم بيض تهل غمائمها
وقرى على النيل الوفى بررقه
معصومة فى خنوة ميراثها
قعدت ترقص مغزلا مترنما
وتعف عن ذل السؤال مروءة

وطنى اعود به كيوم خروجه
غمر التلال فكل تل مهجسة
وارن فى كررى نحاس كريمة

فخرا بنى وطنى واني شاعر
من مبلغ شهداءنا بدمائهم
هكس تهافت فى جبال مكره
يعلو مناكب سابح متمطر
نسر تطلع للقضاء ودونه
او مارأى بعد الهزيمة ثورة
اودى به قومي واصبح قصره
واقاه منا آمر نختساره
قصر تتوب ظلاله من ريبة

الصبح فيها اعين تتحجر
دن ، تكتمه النفوس ، معمر
تهدى الكرى للظالمين وتسهر
ضحك المغيظ بكل هول يسخر
يصمى العداة وكل سد معبر
غاب وراء ليوثة يتنمسر
كبرى تضىء على الزمان وتبهر
فى ظلها كرم يهش منصر
ترضى وتؤمن بالقضاء وتصبر
لوح وآيات عسه تسطر
وتغض عن مكر الماء وتغفر
ترضى وتؤمن بالقضاء وتصبر

فى الخيل مورده المنجيع الاحمر
غنى باضلعها الرصاص الممطر
زحل يكاد حماسة يتعطر

بالخالدات من المآثر يفخر
بقيت بنا تلقى العداة وتثار
وتلاه كتشتر الكفور الاعور
والريش من يافوخه يتحدر
كررى تسيل بها الخوف وترخر
لا تشنى وعزيمة لا تقهر
فى الشط تملك امره وتنبسر
جهرا يساند رأينا ويؤزر
وبياضه من فتنة يتطهر

ولقد نرى غردون في ابائه شلوا تناوشه اليرماح الشحر
يمضى البعير به ويعلم انه شح حباله على العيون مصور

مرة أخرى نجد العاطفة الملتزمة ولكنها هذه المرة حب جارف عميق . احب بلاده
بنيلها وزمليها ورهرها حاصور له وطنه فجر صديقا مسفرا . تحقق من ارادة امته
انه حب اساسه اعجاب قوى بمظاهر الطبيعة في موضه وايمان عميق بدينه وحقيقته
واعتماد بما اوتوا من تراث عريق مقدس . لقد ولد الشاعر ونشأ وترى بين هؤلاء
الذين ونعم بفضائلهم وسينعم اولاده بهم ويهلون منها :

مهد لاطفالي وئدى امومة متجدد يهب الختان ويؤثر

ان الشاعر مفتون بمآثر قومه . انه يفخر بها ويعدها واحدة واحدة متميلا ينهض
الشهداء من قبورهم ليشهدوا لامجاد الحديدة التي ستضاف إلى ما قدموا من مآثر
في غضون فخره يندد الشاعر بهكس وكثش وغردون في تيه وسخرية إلى حد ان
ينفذ بعين الخيال إلى الماضي ليرى مصرع غردون ويصوره اما بكلماته . حمد الشعر
في ابياته هذى ما قام به مواطنوه في سبيل استرجاع حريتهم واستخلاص ازمة
الامور من الحكم الاجانب واعادتها إلى نقر منهم :

وما رأى بعد المزيمة ثورة لا تنقضى وعزيمة لا تقهر
وئدى به قومي واصبح قصره في الشط نملك مره وندير
وافاه منا أمر نختاره جهرا يساند رأينا ويؤزر

وقد كان جهدهم صادق متواصلا ان الحكم الاجنبى وعسل الادران واعاد
إلى البلاد طهارتها ونقاءها -

قصر تتوب ظلاله من ريبه وبياضه من فتنة يتطهر

تبدو لنا عاطفة محمد المهدي مجذوب في قصيدته هذى قوية عميقة ساخنة . انه يبدأ
بوصف مفصل جميل يحدثنا فيه عن المعجز المذيق ورمي الذهبى . والرهز والفسه
دات البعير إلى غير ذلك من المشاهد المعجبة فيشيع المنحة في مطلع القصيدة وتنقل
منه الينا بهجته تلك الناطقة بحبه . ويؤكد ذلك بقوله :

صور عشقت لها الحياة مريرة

و فرط بهاجة لا يأسى على شبيهه الخائف ثم يسعد لان فناء نيه في هذا الوطن
وطبيعته الخالية و هله لاجير الابرار هي ستمرار صبه الاخضر هكذا
يتدفق لشاعر حاد جردا وتفيض عبراتة عاطفة تكاد تحس حرارة شها في معظم
اياته .

ننتقل بعد هذا إلى مقطوعة قصيرة من نظم الشاعر عمادها الطبيعة (١) :
قال فيها :

وطى وقك من الدخيل وضفرد
 خمسون من عمر الزمان تصرمت
 حتى اذا برح الخفاء تفجسرت
 خمسون قد طويت وعدت محاربا
 وبمسمى وما وهمت قصيدة
 وبأعيني كررى تعود كأنما
 وطنى هو الدم فائرا عتقتنه
 ان الألى خذلوك حين دعوتهم

هذا في هذه الايات مع قبتها - تتضح لنا براعة الشاعر فقد صور جهاد المواضين شيئا وشبها وعملهم المتصل من أجل بلادهم . جهاد تعبر كدفع لصباح فتكسر الظلام . مامها . والفرط اعجاب شاعر بوقفة مواضيه في كرري وشيكان نره يجعل جهادهم هذا استمرارا لجهاد اسلافهم ودفاعهم عن بلادهم في كرري ثم يربطه كدائك بمعركة شيكان هذا الربط العاطفي الخيالي اذ يقول :

وبسمعي وما وهمت قصيدة شيكان تنشأ رجوعها وتكرر

هذا كانت شيكان تشبه رجع القصيدة وتكرر فكرى تضح وتزجر .
بالدم اندثر « ود رال ، انواء يحظر فيها انواء النضر فكان اسلافنا الذين
اندحرو هناك لم يخسروا الآن احفادهم هبوا ووقفوا في وجه الدخيل ان انتصروا
عليه واجلوه عن بلادهم .

يبدو محمد المهدي مجذوب في هذه الامة التي عرضها شاعراً قوى
الخيال متأجج العصفه بارعا في نقل عاطفته إلى قرئه ومستمعي شعره وفي تصوير
ما يدور بخياله ، يزين كل هذا اسلوب سليم ناصع .

من شعراء الوطنية محدثين : جعفر حامد بشير ، صاحب ديوان : حرية
وجمال ضمن اشعار ديوانه هذا قصائد عديدة يتحدثنا بعضها عن افتتاحه بعض
مدن السودان وبقائه ، وفي كثير من قصائده لا حري يدعو لشاعر نبي وطنه
للاتحاد ويستحثهم لعمل على اخرج الحكم الخلاء ، ويوسع اوتنك الحكم
وحكمهم ذم و انتقام . كذلك يشجع في فئة من قصائده هبة الفتاة السودانية
إلى غير ذلك من الموضوعات الوطنية . لم يغفل شاعر عالم الاسلامي والعالم العربي
فقد نظم فلسطين وايران ودعا مصر والسودان لتكفح المشترك : . في الديوان
ايضا قصائد عاطفية تكشف عن حب الشاعر الجمال وتعلقه الشديد بمقامته في البشر ،
وفي المظاهر الطبيعية في المدن أو في الريف ، وهى ذى ابيات من قصيدته التى
نظمها لمدينة الخرطوم : قال :

رعى الله فى الخرطوم حسنا وفمة	وسحر ودنيا كلها بسمات (١)
إذا جثتها عند المساء وقد زهت	واشرق افق حولها وجهات
وطارد اطياف الدياجر جعفل	من النور رفاف له بليجات
سرى فى سلوك الكهرباء فابرت	وشعت انايب به وكمرات
وهبت من النيل الجميل نسائم	فهاجت جنان حوله نضرات
جنان ولكن است اغفل ذكرها	ولو انها فى اهلها حرمات
حنانك يا خرطوم كللك روضة	وحسن فهل فى روضك الحسنات
وما روع البيض الحسان سوافرا	مشين فكان الدل والخطرات
يطوفن فى وقت الاصيل تنزها	فتزدهر الساحات والطرقات

جمال يهز النفس انى توجهت	فللنفس فى محرابه سجادات
فما ابهج الخرطوم طاب غدوه	وطابت لدى مرتاده الروححات

ونبحث عن عضلة الشاعر التي اثرها جمر الخروضه الطبيعي . وجمال ما رأى
الشاعر فيها من بشر في هذه الايات فلا نجد فيها انما نجد وصفا سطحيا لا يكشف
عن عجب عميق أو افتتان . نلاحظ ان الشاعر انتهى وصفه للطبيعة الجميلة بالبيت
الخامس واجمله فيه فقال :

حنانك يا خرطوم كللك روضة

فهل انتهى اعجابه . أو لم يبق بعد هذه الايات الخمسة وما جاء فيها مظهر جميل
في خرطومه يستحق الوصف . . اما لجمال لبشرى فقد خصه بثلاثة ايات واختار
ابيض حسان لسو فر ولم يقل فيهن الا القليل ، وان لنا ان نتساءل عن السمرات
المحجبات . لقد احسن الشاعر وصف وتبيان ما يفعله الجمال في المعجيز ، اذ قال :

ففي كل عين خفة وتطلع وفي كل قلب نبض لعتات
جمال يهز النفس اني توحته فلتنفس في محرابه سجدات

الا لنا نود لو أن استمر الشاعر وتعمق قليلا فالجمال متسع .

للشاعر قصيدة أخرى هي ، ذكرى وادى الاراك . - تضمنت هذه القصيدة وصفا
لذلك الوادى وبينت شوق الشاعر وحنينه اليه . وها هي ذى ايات منها :

يا بلاد الاراك ما زالت الذكرى	بفكرى وما يزال الحنين
وغرامى .. فمانسيت غرامى	أو تشككت فيه ، فهو يقين
ان توالى منذ افترقنا سنون	فلقد الهبت هوائى السنون
كيف وادى الاراك والغابة الخضرا	والرمل والجبال الجسون
والسحب الركام ، والافق النائم	والطلل والنهار الضنين
والنسيم البليل يعبر فى رفق	فتنساق اذ يمر الشجون
والليالى بذى الاراك وبدر	انهكت ضوءه الحبيب الدجون
وصحائى بذى الاراك وقوم	انا صيب بجبههم مفتون

ان الشاعر ههنا اقرب إلى التقرير والتعداد منه إلى الوصف العاطفى الذى يصور
موطن الذكرىات تصويرا يشيع البهجة ويرسم لمظهر تلك الموطن صورا حية
معبرة يراها القارىء بين الكلمات بعينى خياله .

عبر الشاعر في أكثر من قصيدة من قصائده ديوان عن مسائل شغلت بذهنه .
اولاها تفرق كلمة موافقية فقد آتاه ذلك بلاما طلق لسانه في لومهم وحثهم على
الاتفاق - قال :

ياويح قومي الام الخلف يدفعهم	نحو الخوف وما يدرون ما صنعوا (١)
هل آثروا الخلف في اهدافهم جزعا	ام آثروه على اهدافهم طمعا
من لي بهم امة خرساء ان نطق	القيت شمل بينها ظل مجتمعا
حتام يا قوم حتى في تخلصنا	من ربقة الذل يغدو رأينا شيعا
اواه اني احس الغيظ يفجعني	من امة لا تحس الضر والوجعا

ان هذه المقطوعة رغما عما تنطق به من عيظ الشاعر وما يبدو في وها من حيرته
الا انها شبه الخطاب الوطني السياسي المرئى منها بالشعر اذ هي مخلو من الخيال
والعاطفة كما ان في أسلوبها شيء من الضعف . انه يذكر : « والمعدل بعد هل
وفي قوله « حتى في تخلصنا » رائحة العامية . وانما اشجار في ميريده لشاعر من
البيتين الثاني والثالث . نعى الشاعر على مواطيه خلفهم في أكثر من قصيدة وشكا
من تقصير بعضهم ومن ثقة بعض بالحكم الاجنبي ورجائه . كذلك اعس سخطة على
الاحزاب لانها اضررت بالبلاد ، قال :

وطني لئن فتك الدخيل فمثله	واضر منه تفاتك الاحزاب (٢)
ماضر لو كان الكفاح مبرءا	من هذه الاضرار والاشاب
وطني لو الاعداء كانوا وحدهم	حربا عليك فذاك غير عجاب
لكن ويا اسفا عليك فانها	حرب من الاعداء والاحباب

كذلك اعلن سخطة على الحكم الاجنبي واوسعهم ذم ونقدا ودعا إلى اخراجهم
وحت مصر والسودان على التعاون للوع هذه العذبة الا انه في كل ذلك كان خطيئا
أكثر منه شاعر فلعطفة برودة وتخيال ضعيف ولاسبوب لا يخلو من ضعف
احيانا وقد مثلنا لذلك فيما مضى ونضيف استعصم الكلمة « تفاتك » ولا تحسب ان
هذا الوزن يصاغ أو يستعمل من هذه المادة . ومن خلال اورد قوله :

١ - حرية وجمال ، الطبعة الاولى ٢٦

٢ - المصدر السابق ٤٤

فرقت بين الحياة ولكن ربطت مصر حلقة لاتصال^(١)
نحن جميعا بنو العروبة ان ننسب فما ثم غير عم ونخال

وقوله :

هيما مفتونا ولست اخاف بعد المزيد

وقوله :

ولكنما الشعب الابى سينتهى لغيته يوما والا فقد يفنى

وقوله :

انه المجهول فى الاحياء فليلق اذكارا

فاكرموا قبل ان تبثوا على الاموات دارا

هذه « انصابكم » لم تلق منا اعتبارا

الاحداث العالمية فى الشعر السودانى الحديث :

لم يقتصر شعراء السودان — على اختلاف مدارسهم الادبية وميولهم السياسية —
شعرهم على مشكلات السودان وموضوعاته بل خرجوا به الى العالم الافريقى
لادراكهم ان الشعب الافريقى ضعيف مستضعف وانه يشاركهم المصيبة اى السيطرة
الاجنبية . وانه يحاول جاهدا التخلص من تلك السيطرة . مثله فى ذلك مثل الشعوب
فى السودان ومصر والجزائر وغيرها — فوق هذا وذاك فان الشعب السودانى يمت
للعلم الافريقى اصلا ونشأة كما يمت للعالم العربى . وآلاءى جزء من افريقيا تثير
الحزن فى السودان . وافرأح اية بقعة فيها تحرك المشاعر فيظهر اثر ذلك كله فى
شعر الشعراء ونثر المترين . وهذا الذى يظهر فى شعر أو فى غيره يشد من ازر
اولئك المصابين المكافحين الصابرين . وفى الوقت ذاته يقص مضجع الخاكم
الاجنبى المتسلط . ويذيع امر ظلامتهم وينشر خبر جهادهم فى جهات متعددة
وبهذا ولهذا يلقى الدخيل المتسلط ويضيق باولئك المناضلين ومن يؤازرونهم فيفكر
فى مخرج ومن هنا يأتي الفرج .

عمد الشعراء السودانيون إلى مصصرة الافارقة والاشادة باباطهم وبجهادهم

ليحصلوا على ما يريدون في الحياة من حرية واستقلال تدفعهم إلى ذلك العواطف
الانسانية والطموح الشرى فى ان تكون لهم وقفات مثل وقفت بعض لافرقه
وزعماء مثل بعض زعمائهم . ها هو ذا جعفر حامد البشير يخاطب ثور كينيا
« الماوماو » قائلا :

وهب مناضلا جومو وقال لشعبه قوموا (١)
أيسعد عندنا الافاق وابن الغاب محروم
فرددها من الغابات موتور ومهضوم
واشعلها فما خمدت لها وقد وتضريم

.....
وقالوا انهم جاءوا إلى التمدين فى الغاب
وكيف يمدن الغابات ذو ظفر وذو ناب
وذئب يشبه الانسان فى شكل واثواب
وافعى تحرق الاجسام بالنفثات والصاب

.....
تحرك مارد الادغال وهو المارد الاكبر
شجاع لا يروعه لبيب النار والعسكر
خطير دونه المخشى والمرهوب والخطر
ربيب الغاب ترب الاسد يزأر مثلما تزأر

.....
اجومو يا عظيم السود انا نخفض الرأس
تحيات واجلالا واعجابا واحساسا
اجومو اننا نشكو من الزعماء افلاسا
فكن بالله يا جومو لهم هديا ونبراسا

لم يشر فى قصيدته هذى رغما عن طولها الى صلة بين السودان وكينيا أو إلى هدف
يسعى شعب كل منهما إلى بلوغه ، وفى القصيدة ضعف يظهر فى الأسلوب فقوله :

وقال لشعبه قوموا

شبه ناعمة . وقوله . وقافوا أنهم جاءوا من التمدين في الغاب . ركبك .
يظهر الضعف أيضا في الخيال حيث يقول :

وذئب يشبه الانسان في شكل واثواب
وافعى تحرق الاجسام بالنفثات والصاب

وسبب الضعف أو منشأه فيما نرى التشبيه في أول البيتين فهو تقديم المعروف الذي
كثر تداوله . وهي ثانيهما راد لشعر أن يجدد ويستكر فيجيد عن المؤلف ليأتي
بالعجب ولكنه يرى انه لم يوفق لأن لافعى لا تحرق بالنفثات والصاب «
بل تقتل سمها بعد رهاب ولام . وهي ناعمة لمس جميلة الجلد إلا أنها
مخيفة فتول ومظهره لا يتفق وفعله . وهذا موضع التشبيه بها لكن لشعر
تجده أكثر وروده في شعر كثيرين من القدماء والمحدثين . وكان أن جاء بهذا
البيت وقرر فيه أن لافعى تنث صاب تحرق الاجسام . وهي لا تنث صابا لأن
صوب شجر مر (١) . ولم يعرف عن الصاب انه يقتل أو يحرق الاجسام حتى يقال
او يض أن الشاعر يشبه ما تنثه الافعى وهو سم قاتل بالصاب .

لم يعجب الشاعر الدكتور عبد الله الطيب ، ارتأته حكومة بريطانيا في
امر الزعيم الافريقى سرتس خدام « بل سحق على الحكومة ورئيسه وحزبه ثم
عبر عن ذلك السخط بقوله :

لعمرك ان مالتقى ابن خدام	عشية قلوبهم ألا يعود (٢)
لموعظته اكل هستى رشيد	ومن لك ان تحس فستى رشيد
ارى اتلى والعمال ضلوا	ضلالا لا منار به بعيدا
في تب ضم ولا قسوا	كما لافى الاوائل من ثمود

ويبدو الشاعر حزينا لمصير الزعيم فى قسمه لدى بيتاً به ابيته وفى الامم
الذى يحدث به عن مصير الزعيم مالتقى بن خدام ويظهر رأس الشاعر فى البيت
ثاني . ما السخط ونحسه قليلا فى البيت الثالث حيث يرمى الشاعر كبير وزراء

١ - القاموس

٢ - اصداء النيل ، الطبعة الثالثة ، ٤٨

بريطانيا وزملاءه بالضلال البعيد ثم يدعو عليهم في "الرابع ويصل" السخط قمته
عندما يتمنى لهم مصير ثمود .

وجدت احداث لعلم العربي صريقها إلى نفوس اشعراء السودانيين وحركت
شاعرية عدد منهم مشما حركتها احدث لعلم الافريقي لنفس الاسباب ولأن
السودانيين يمتون إلى العروبة بصلة لهم وروابط للثقافة والعقيدة . وفي نكمة دمشق
قال احمد محمد صالح :

صبرا دمشق فكل طرف بك	لم ستيح مع افضالهم حماك (١)
جرح لعروبة فيك جرح سئل	نكست العروبة كلها نكك
جزعت عمان وروعت بغداد	واهتزت ربي صنعاء يوم أسك
وقرأت في الخرطوم آيت الاسي	وسمعت في بيروت نة شكي

مصورا بهذه البداية ما اصاب بلدن العروبة من حزن عميق والم ممض لضرب
دمشق . وقد تطور الحزن الاليم إلى غضب ثائر بعد ذلك . قال الشاعر .

ضربوك لا متعمقين سفاهة	لم تأت انما يا دمشق يدك
ورماك جبار يتيه بحوله	شلت يمين العجج حين رماك
اين لغساسنة الالى دانست لهم	عرب لجزيرة يلتمون حصاك

لقد اذكرته غضبته هذى جبارة كانوا يحمون دمشق ويخضعون عرب
الجزيرة كلها . انه يتدبرهم لينتقموا لما ان امكن أو يسرى عن نفسه مما لم بها .
قد عاد إلى الغساسنة ثم إلى الامويين فقال :

بن اين من مروان كل خليفة	لو يستطيع نتجه فقدك
قم يا ابن هند ومشى فيهم غاريا	في كل جبر لعزيمه شكي

ولما هدأت ثأثرته قليلا اخذ يعزى دمشق بن يعزى لعروبة كنها يهون على نفسه
وقع الكارثة قائلا :

صبرا دمشق فكل هم رائل	وعاد يوح مع الهجوم سنالك
تتألمين كما عهدتلك درة	في ترح روع من امية زكي

في الجاهلية كان عزك نادحاً و اردن بالاسلام عقد حلاك
يا حنة الدنيا وبهجة اهلها وحظيرة العبد والساك
يا معقل لاسلام في عليائه لا تدعى لغاصب السفك

هنا سكنت غضب الشاعر شيث ما فقد تأسى بذكر الماضي و مجاده ثم التفت إلى
فرنسا لأنما مقرعاً بقوله :

قوى لديجول مقاة شمت نسيت في بريس نوح الباكي
أنسيت كيف ترنحت « سيدن : من صرب على هام المرحال دراك
أنسيت يوم اتاك همتلر غوريا وهررت لم تصبر ليوم عسرك

وهكذا يفيض أحمد محمد صالح من حزن عميق إلى غضب نائر ثم إلى تصبر هادئ
ونحن نتبعه في وهاد عاطفته ونجدها إلى ان يختم قصيدته بالنصح بزجييه للعروبة شأن
الوالد العطوف والشيخ المحنك الشفيق ، فيقول :

قل لعروبة قول باك مشفق لا تركس لغرب في مسعك
الوعد عسهم جهنم خلب وعهودهم شرك من الاشرك
ان كنت تبعين الحية عزيزة صوني حماك وسددى مرمك

نظم الشاعر قصائد أخرى لعروبة في منها . فنظم لمصر عن « العدو الثالثي »
ولفلسطين كما خاطب قطاب العرب بشعره وفي ديوانه (١) مجموعة قصائد سماها
« عروبة » وهو فيها كلها عاطف غيور يفيض حماساً واعتقاداً .

لا يكاد شاعر واحد من شعراء السودان يقصر في مشاركة لعروبة «فراحها
وترحها . ولا يمكن لأى منهم ان يكبح جماح شعوره ازاء « يسور في بلاد
العروبة ، ولم يكن أحمد محمد صالح «الوحيد في هذا المجال فقد سبقه كثيرون
واعقبه كثيرون . فمن الذين سبقوه محمد سعيد العباسي بقصيدته «الطائر نلسية» (٢)
لما شن الطليان لاغارة على مدينة طرابلس ليبيا . ومن الذين اعقبوه الدكتور
عبد الله الطيب ومما نظم للعروبة قوله في فلسطين :

١ - مع الاحرار ، الطبعة الاولى ، ٩١-١٠٦

٢ - ديوان العباسي ، دار الفكر العربي ١٠٦

ما بال همك جنح نليل منتبا
 اما تسلى بكأس من معتقة
 وكيف يسلو أخوهم تؤرقه
 اذا حسا الراح هاجته هوانجها
 فى الشرق والغرب اخون أم بهم
 مشردين بأفاق رجائهم
 كم فى فلسطين موتور وثاكلة
 الدور صارت لاسرائيل خلصة
 واصبح القوم فى دهياء حائجة
 دهاهم ما دهاها من مواعد لا
 ام ما دمعك لا ينفك صباها (١)
 صفراء قد حبست فى الدن حقاها
 لواعج الهم لا تألوه انصاها
 وجددت حزنا منه واطرابا
 صرف الزمن فنحى لظفر والناها
 داج الراح جبين لشمس أم غابا
 ويأس شك فى الرحمن وارتابا
 والمأل عودر انفلا واسلاها
 يغالبون من الاقدار غلابا
 يوفى بها جعت مية وكذابا

ان عبد الله الطيب فى ابياته هذى كئيب معتم لا يكاد يعرض عييه حتى يتابه هم
 فيوقظه ويجرى دمه حتى لا يكاد يقف عن الخريان . واذا حاول ان يتسلى بخمر
 معتقة جيدة صافية . هاجت تلك الخمر : لواعج همه . ورادت التهابا . منها اكبر
 من ان تزاح عن صدره بكأس فقد آتاه . وآخته . والاخاء والمؤاخاة صلتان
 لا تنفصمان . بل تبقيان بقاء الحياة . لقد تكاثرت الهموم على الشاعر حتى ضاق
 بها و لنا لنحس ضيقه فى تساؤله : « ما بال همك .. » و « ام تسى بكأس ... » ثم
 « وكيف يسلو .. » . لقد تكاثرت عليه ولا رمته حتى لم يعد التخلص منها ممكنا
 اما ما اعتاد الناس على صرف الهموم به وهو الخمر فيزيده . ويؤجج نيرانها . لا بد
 ان مصدرهم الشاعر الذى يعتاده ولا يفارقه . وربما يزيد ان حاول التخلص منه
 لا بد ان مصدره امر عظيم هائل أو مور متعددة بذرت الحزن فى نفسه فعبير
 عن حزنه ذلك بهذا الاسلوب الرائع . ولنتأمل قوله :

مشردين بأفاق رجائهم
 داج الراح جبين لشمس ام غابا
 كم فى فلسطين موتور وثاكلة
 ويأس شك فى الرحمن وارتابا

لنحس فداحة الخطب الذى ثار عاطفة الشاعر فاتحنا بهذه لآبيات .

السودان كما قلنا من قبل . وهو امر معروف . جزء من العالم العربى .

وهو ايضا جزء من العالم الافريقى . وهذا الجزء مع كله الاول وكله الثانى فرع من الاصل الكبير - العالم وعليه فلا عجب بل ومن الطبيعى ان تثير احداث لعالم شعراء السودان . لعل اقوى هذه الاحداث وأكثرها تارة الحرب العالمية الثانية التى نشبت فى سبتمبر عام ١٩٣٩ ووضعت اوزارها عام ١٩٤٥ . اى بعد ست سنوات عانت فيها البشرية ما عانت . قامت هذه الحرب واسودت يحكمه البريطانيون وقد كانوا طرفا فيها فوق السودان معهم يتنوده ومدته وارضيه . وسحر الحكام الانجليز كل قدرات اهلهم لتأييدهم ومنصرتهم . وقد قتل السودانيون ذلك مع كرهتهم الحرب وبعدهم عن اسبابها . وها هو ذا يوسف مصطفى اتنى يعبر عن ضيقهم بالخراب وعن براعتهم مد تجره ثم يسأل الله عودة سلام لعالم :

الاقول لهذا الرحى وقفى	تجاوزت فى الطحن ان تسرفى (١)
هصرت الشباب قنيل الاوان	ولم تبقى من ظله المورف
واعمارنا قد تساوت لد	يك ابا لطفل والشيخ لم ترافى
.....
هنالك فى الغرب جاشت صدور	به حبس الحن . مثل التمدق
وقد اطلقت جننها للورى	فعاث بها واستبح انحسار
وساق إلى الحرب فتبانهم	على البر والبحر أو كالتشع
.....
الهى ! لقد ضاق ذرع الورى	فاين واين الغد المشرق
لئن علق الاثم ارواحهم	فقد طهروها لدن احرقوا
فهب عالم الارض برد السلام	وقل ليبارقه تحقق

لم ينظم اشاعر حسن طه فى احرب نفسها انما نظم فى مؤتمرات سان فرانسيسكو اسى انعقد عقبها لانشاء هيئة لامة . وقد قدم تقصيده بقوة : ولما كنت اول كاتب بها رأيت ان اخاطب الوفود المغربين بهذه القصيدة التى حالت السلطات دون القاءها فى المهرجان الادبي بالايض فى ذلك العام . عام ١٩٤٥ . وقد بدأ قصيدته بهذه السخرية :

هذه دموعي حيرى في محازها قد انكرت ما اعاني اى انكار (١)
سيان منهزم عندي ومتصر هذا صريع وهذا جائع عارى
كلاهما لم يضع حدا لغايته ولم يراع حقوق الجار للجار
كلاهما خان بالامس العهود ولم يرع الموائيق ، لكن تحت استار
هذا جزاء وفاق للذى كسبت يد السياسة آثار بآثار

ولكنه عاد فصور بعض احواله بأسلوب قرآني قائلا :

قد هالني شرر كالقصر تقذفه طير ابابيل مخلوق من النار
تساقط النجم شهبأ كلها رصد فاندكت الارض لم تحفل بديار
يغارة الله نار الحشر الطف في نزعة لتسوى لكن بمقدار
كم من دماء اريقت وهي آمنة في غارة فاجأتنا دون انذار
وكم صريع قضى نجبا بلا جدث وجنة تحت انقاض من الدار
هذا يتيم وهذا ثاكل جزع وتلك تبكى بقاني الدمع مدرار

ولعل أبشع ما يصفها به :

يا غرة الله نار الحشر الطف بي نزاعة نشوى لكن بمقدار

فالحجيم لا يدخلها كل انسان ولا يصيب لخبها الافنة معينة اما هذه فلا . وقد يعفو
الله عن بعض اهل جهنم فيخرجهم منها إلى حدان عدن . وإلى حد اشهر بقوله
« لكن بمقدار » ان الله يقدرها على بعض عباده . ويذكر الشاعر هيئة قامت قبل
ذلك وسميت « عصابة الامم » لا انها تعترت وسقطت في خضم طماع الدول
الكبرى فيقول عنها :

يا عصابة الامم الكبرى التي طلعت في سافرنسك نجما يرشد السارى
ردت بضاعتكم ان كان خالطها من الاراجيف ماقد يغين الشارى

يوجه الخطاب بعد هذا إلى اعضاء المؤتمر المذكرا بالامم الصغرى التي تتطلع نحو حرية
والاستقلال محذرا من اغتيال امر تلك الامم ومن الادعاء نطمع الضامعين . يقول :

هل جئتم بجديد في حقائبكم وهل حظيتم بدرس من سنمار

وهل شحذتم ضميرا قد يوفرون
وهل علمتم بان الحرب قائمة
وهل سمعتم بان الناس غايتهم
لا تجلسوا وقفوا في البهو خاشعة
واستلهموا الله في محراب قاعتكم
شحذ الحديد ورد النار بالنار
مالم يك العدل فيكم زنده وار
أوطانهم ليعيشوا عيش احرار
قلوبكم قبل ان تدلوا بأفكار
بقلب مسترحم لا قلب جزار

ثم يستقل إلى مطلب موطنه السودان وحق اهليه في الحرية بجلاء جيوش الاحتلال
وتولى بنيه السلطة كاملة غير متقوصة ويذكر دور السودان في الحرب بمناصرة
الحلفاء ، فيقول :

يا عصبة الامم الكبرى هنا فرد
يطارح النيل اشعارا باشعار

هل تسمعين إلى نجواي انشدها
هل تسمعين إلى الحان اوتاري
هي الاماني غدت سرا يضيق بها
صدرى ولولاك ما افشيت اسراري
هي الحقوق التي غنى الزمان بها
من عهد آدم عهد الكهف والغار
هي الجلاء ، وفك القيد عن وطن
قد ناصر الحلف لم يبخل بمغوار

أما الشاعر عبد الله الطيب فقد اختلف عن سابقه - يوسف مصطفى اتنى
وحسن طه - اذ رثي لمدينا بعد هزيمته في هذه الحرب رثاء معجب بمزون . ولمعرض
الآن ابياتا من تلك المراثاة لثرى مبلغ اعجابه وحزنه . بد' رثاء بأكيد . طرد الاسلام
الشهداء الاوائل الذين مضوا . وذم الحية لانها فسد قبل لا تصفو الاثام . ولام
الاقدار ايضا ، حيث قال :

مضى الشهداء الاولون وقتلت
يظنون في خثناء من شدة الاذى
وما زالت الاقدار ترفع باطلا
وكيف تلذين الحياة وماصفت
مضى كرماء الناس فابكى عليهم
بناة المعالي من لؤى بن غالب (أ)
ويعسون صرعى تحت ضوء الكواكب
وتطمس ذا نور من الحق ثاقب
بعلمك الا للثام الاشائب
بفيض الدموع كالغيوث الهواضب

ثم يبرر بكاءه عليهم بقوله :

لباك لا يامى وسود ذوائسى
حاثا وما يدرون ريب العواقب
إلى سنن عن سنة العدل عازب
وتصبو إليها وهى الأم صاحب

لعمرك انى يوم ابكى عليهم
وباك على ابناء قومي ادخلوا
وباك على الدنيا يصير مآلها
وباك على نفس تجيب نداءها

ويكى الالمان قائلا :

لها شرف على الذرا والمناكب
من المجد كانوا فخرها فى المواقب
اليهم ورسطاليس شيخ المذاهب
بدائع يعبى نسجها كل كاتب
صدور القنا فى الفيلق المراكب
مشائم فى عين العدو المحارب
حفاظ بعيد الهم وعمر المراكب
وقد غالبا ريب الصروف الغوالب
فهم بين مطلوب بئار وطالب
مصارع امثال الليوث الاغالب
ويبكوا بالعيون السواكب
كازباد بحر غيلم ذى غوارب
بنار تلظى فى يباب وعاشب

اسيت عليها امة عبقرية
اذا ما اربا فاخرتنا بغاية
جهابذ افلاطون يصغر شأنه
اذا حملوا الاقلام وفوا حقوقها
وان حركتهم سورة العز حطموا
وما فتئوا يستزلون إلى الوغى
اذا غفيت منهم كلوم اثارها
فقد حرصوا حرص الكرم على العلا
سقتهم حياض الموت كاسا شقوا بها
عجبت لقوم شامستين وقدرأوا
فان حياء ان يحبر فيهم المراثي
لعمري لقد ساروا جبالا وازبدوا
وضاعوا كاضواء النجوم وقد هووا

ن بكاء اشاعر شهداء الاسلام الاوائل وابطانه وحزنه عليهم حزنا يبعث الحياة
اليه امران طبيعين شبيهان بعبء الله الطيب الشاعر العربي المسلم ، لكن بكاءه الامة
الالمانية وحزنه على مصيرها الذى قادها اليه زعيمها « هتلر » امران غريبان فلم
يقن عن الالمان احد فيما نعلم - ما قاله عند الله الطيب بعد هزيمتهم فقد أخذ
الناس فى ذمهم وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى ونسوا ما قدموه للبشرية فى محيط
العلم والادب والاختراع . ولكن ابنت جرأة الشاعر الا ان يسجل ذلك فى شعره
ويعلن اعجابه بهم وحزنه لما اصابهم فقد كانت لهم امجاد وموقف حميدة كما
كان لعرب . ويختتم الشاعر رثاء العرب والالمان بالسخرية من المنتصرين قائلا :

فلا زالت النيران تشعل بعدهم بمضطرم الاحقاد بين العصاب
وغصت حلوق بعد نصر تسيغه بمثل المدي أو كالحميم لشارب

يستغل الشعر جعمر حامد البشير حالة احد ضحايا الحرب : . رجل معتوه يسير
فى الطريق والدم يضحكون منه فيكبل النوء للذين يقيمون الانصاب للذكرى
ولتمجيد الاموات ويهمون حيا مثل هذا المعتوه - يقول :

ضحك الناس وما أغباهموا إذ يضحكون (١)

ضحكوا منه ومن انفسهم لو يعلمونا

لم يزيدوا غير ان قالوا قتى جن جنونا

ومضوا فى شأنهم من حيث جاءوا غافلين

ثم يقول عنه وعن الحرب واهوالها :

وانبرى المسكين يشكو فى ذهول ويصيح

انه المدفع والبنج وفى جسمى جروح

ويحبه ما زالت الحرب لعينه تلوح

والضحايا حوله منها صريع وطريح

والشواء الآدمى الكره فى الجوف فوح

وشظايا برؤوس الجند كالسيف تطيح

وشهيق كلما فاضت إلى المجهول روح

هكذا كان خيال منه يغدو ويروح

ثم يوجه اللوم والسخرية لبناة « الانصاب » قائلا :

انه المجهول فى الاحياء فليلق ادكارا

فاكرموا قبل ان تبثوا على الاموات دارا

هذه « انصابكم » لم تلق منا اعتبارا

خدع اشبعها الوعي نفورا واحتقارا

عظموما شتمو منها : صغارا أو كبارا
فهى فى اعيننا كادت من الخزى توارى

وانها لسخرية مرة ، فبيد يسير احد الضحايا كميته ، لا مأوى ولا علاج
يجد الضحايا الاموات تكريرا بقمة الابنية والاحتمال بها فى صور مختلفة متوالية
يحتّم الشاعر قصيدته معنا منتصرين لان نلده لم تكن من الحرب شيئا مع انها شاركت
فيها وكان الشاعر كغيره من مواضعه - يتوقع تقدير الحناء عامة والبريطانيين
خاصة جهود السودان وما قدموا لهم . ولما لم يجد هن السودان ما انتظروه عبر
شعر وهم نيابة عنهم عن سخطهم ومن ذلك قول جعفر :

نحن خضنا حربكم تلك فماذا قد جنينا (١)
غير بؤس لم يزل ينصب فى جود علينا
وشقاء لم نزل نبثه منا اليثا
وكؤوس الذل مع انا من الذل ارتويتنا
قد عرفنا وغدا ان قيل يوم الحرب ايننا
عسكر السودان جاوبنا على بعد ايننا

اثر انتصار الحناء اشعر احمد محمد صالح فضم قصيدته . يوم النصر ، اعلن
فيها ابتهاجه قائلا :

هتمت ورقه وغنى هزاره	وضح الحق وسطل مناره (٢)
ليس سيف يثار فى نصره الحق	كسيف على الضلال مشاره
ان سنا من السنين تقضت	طاح فيها زيد واملق جاره
برز اللحم والعظام ولم تبق	على اخضر يسر اخضراره
حى عهد السلام يا بلبل الشر	ق فقد جاد السلام وقاره
وامش فى موكب السلام اختيالا	انت فى موكب السلام كناره

ثم انفت بعد هذا الابتهاج الى ثانيا المنهزمة وزعيمها نادبا حضها التمس الذى هيا لها
زعيمها طغية اوردها هذ مورد . انه لم يحزن لنا ولم يظهر اعجاز كما فعل عبد الله

١ - حرية وجمال ، الطبعة الاولى ، ٦١

٢ - مع الاحرار ، الطبعة الاولى ، ٤٨

الطيب ، بل قال :

قف بيرلين ساعة وانذب الحظ م. تقلبت اطواره
يا عروس البلدان يا ربة المنعة	اين العزيز ايان داره
اين من كان فى يديه المنسايا	والعطايا كيف استبيح جداره
عند رأى الزعيم تنخفض الهام	فلا رأى غير ما يختاره
.....
ضربوا حوله سوارا من الجند	فلم يدفع القضاء سواره
الصليب المعقوف قيد ليس الر	ب وسوى مع الثرى جباره
ذهبت ريحه وشالت مع الصبح	نعاماته واقوت دياره
تلك عقي الطغيان يا صاحب الحول	وهذا بواره وخساره

انه بهذه الابيات يسوق العظة للاخرين ولكل « صاحب حول » ويتجه بعدها إلى
حكام السودان وهم من الخلاء المتصرين مذكرا مطالبا فى لباقتة المعهودة - انه
يقول لهم :

قد رأيتم بلادنا يوم خضنا	معكم قسطلا شديدا اواره
واكلنا الحديد والنار لم نر	هب عدوا قسا وطال انتظاره
امة العرب لا تطيق هوانا	ما لهذا اعانكم احراراه
قد صبرتم على العدو كراما	لم يرعكم يوم الوغى بتاره
وانصرتم على العدا فأرونا	كيف لا يبطر الكريم انتصاره

انه لا يتحدث عن مطلب وطنه الصغير السودان انما عن بلدان العرونة كلها « انها
لا تطيق الهوان ولا هوان الا احكم الاجنبى . فليجلوا عنها ليثبتوا كرمهم الذى
بدر فى صبرهم على الحرب ليرونا » كيف لا يبطر الكريم انتصاره » انه طلب رقيق
مهذب يتفق وخلق الشاعر وسنه وحنكته .



خاتمة

تناولنا في هذا البحث الشعر الذي نظمته شعراء السور منذ عهد مملكة القونج إلى عام ١٩٧٠ ، وهو ذلك الشعر الذي كان له أثر سياسي صريحة لوضع معين تكون فيه البلاد . تناولنا هذا الشعر فنظرنا في شكل شعر كل شاعر واعقبنا هذا بالنظر في المضمون في كل ذلك مبيزين المحاسن والمآخذ حسب ما تراءى لنا .

لقد تتبعنا الشعر لشعرائه واحدا فواحدا . وبقصائده قصيدته واحدا فواحدا . الاحيان متأمين أساليبه في كل حقبة من حقبة الفترة (من عهد القونج إلى عهد ١٩٧٠) فبين لنا ان تلك الأساليب رقيت من حقبة إلى أخرى رقيت رقيت . واكتسبت في كل حقبة صفة مميزة . ففي أيام القونج ظهر الشعر الفصيح عن قلة المتعلمين وضيق محال القول وجاء ضعيفا في مبناء ومعناه اذ جاءت أوزان مختلة في الأغلب الأعم وشاع الخطأ في تعبيره وألفاظه مع قرب بعضها من العامية وجاءت معاربة مطبوعة بطابع صوفي مع بساطتها وذبولها . لكن شعراء الحقبة التالية وهي عهد الأتراك العثمانيين قربوا شعرهم من سلامة التركيب فقد قلت فيه الأخطاء الا أنهم مالوا إلى التلاعب بالألفاظ . وإلى اتباع نهج خاص في اختتام القصائد وايراد شيء من المصطلحات العلمية — كمصطلحات النحو والفقه والعروض ونقص معاني القرآن وألفاظه .

أما شعراء المهديّة فقد حرصوا على صيحة أوزانهم فجاءت قصائدهم سليمة لكنها احتفظت بالكثير من خصائص شعر الحقبين السابقتين كورود المصطلحات العلمية وختم القصائد بالتاريخ أو الدعاء تم اللجوء إلى التحسين البيديعي ، كما أنها لم تسلم من بعض الأخطاء . واتسمت بالتكرار — تكرار بعض الحروف والألفاظ .

في عهد الحكم الشائني تخلص الشعر من عدة سمات طغت على أساليبه في الحقب السابقة . فزايلتها العامية . وهجر الشعراء تعمد التحسين البيديعي وعنوا بصحة التركيب وسلامة الوزن . وقد برزت في هذا العهد فئة من الشعراء عرفت

ية . حملت هذه الفئة نواء الشعر عالي وشاركت به في
ت فلفت الانظار اليه وإلى موسيقاه وأساليه وإلى دوره في
بحر كلية غردون القديمة الذين تتلمذوا على نفر من علماء
عبد الله محمد عمر البند وعبد الله عبدالرحمن واحمد محمد
إلى هؤلاء عدد من شعراء السودان المحدثين ولم يقلوا عنهم
كيب وسلامة النور وقوهم باستغلال الخيال والعاطفة .

من شيء من الشعر السوداني الفصيح شرك في اشغال جذوة
في السبسي عبر تاريخ السودان وقطع بعضه برأى محدد في مستقبل
الآن عددا من الشعراء السودانيين لم يدع في شعره دعوة
كليات وصي معين . لذلك لم نتعرض لهم الا لماما . وهؤلاء
ببلادهم كيان في محافل أخرى غير سياسية . وأعلو من شأن أمتهم بما
هو " النوا " وقد تقوا في " الاجتماعات والمؤتمرات " .

ونحن نحمد الله الاستعانة وعليه الاتكال .

المراجع

(أ) الدواوين

أحزان أفريقيا

أذكريني يا أفريقيا

اشراقة

محمد الفيتوري - دار العودة بيروت

محمد الفيتوري - دار العودة - بيروت ١٩٧٠

لتجاني يوسف بشير - مطبعة التمدن - الخرطوم

١٩٦٤

د . عبد الله الطيب - الدار السودانية - بيروت

١٩٦٩

محمد الفيتوري - دار العودة ، بيروت

جيل عبد الرحمن - الدار القومية للطباعة والنشر

القاهرة ١٩٦٧

جعفر حامد البشير - مطبعة جريدة الصراحة

الخرطوم ١٩٥٣

تحقيق محمد عبده عزام - دار المعارف ١٩٦٤

عبد الله محمد عمر البنا - ١٩٢١

يوسف مصطفى التني ، دار الكتاب العربي -

القاهرة ١٩٥٥

حمزة الملك طنبلي - المطبعة الرحمانية - مصر

١٩٣١

محمد سعيد العباسي - دار الفكر العربي - القاهرة

١٩٤٨

عبد الله عبد الرحمن الامين

الكعبري ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ٥٦

حسين منصور - مطبعة البيت الأخضر - مصر

سعد ميخائيل مطبعة رعمسيس - القاهرة

أصداء النيل

أغاني أفريقيا

الجواد والسيف المكسور

حرية وحنان

ديوان في نداء

ديوان البند

ديوان التني

ديوان الضيعة

ديوان العسلي

ديوان نعرونة

ديوان المتنبى

نساء - الصخرى

شعراء سود

أحمد شوقي - القاهرة - ١٩٥٥ . ١٩٥٩	لشوقيات
صلاح أحمد إبراهيم - دار الثقافة . بيروت ١٩٦٥	غصبة الهبيى
تاج السر الحسن - دار الكاتب العربى - القاهرة	نقشب الأنخضر
أحمد محمد صالح وزارة الاعلام والشئون الاجتماعية بيروت ١٩٦٩	مع الاحرار
محمد المهدي مجذوب . وزارة الاعلام والشئون الاجتماعية بيروت ١٩٦٩	دار المجديب
حسن طه ، مطبعة كوركين اسكندريان . أم درمان - ١٩٤٩	هتاف الجماهير

(ب) الكتب :

الاتجاه القومي فى الشعر العربى الحديث - عمر الدقاق - دار الشرق حلب ١٩٦٣	لأنجاهات الشعرية فى السودان د. محمد النويى - معهد الدراسات العربية العالية - القاهرة - ١٩٥٧
تاريخ الثقافة العربية فى السودان - د. عبد المجيد عابدين . مطبعة الشبكشى القاهرة - ١٩٥٣	تاريخ السودان - نعوم شقير - دار الثقافة بيروت ١٩٦٧
تراث الشعر السودانى - عز الدين الأمين - معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة - ١٩٦٩	تقرير لجنة تنظيم الخدمة المدنية - المطبعة الحكومية - الخرطوم - ١٩٦٨
الثورة المهدية . جلال يحيى - مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩	الحركة الفكرية فى السودان - محمد أحمد محجوب - ١٩٤١
الخطط المقرريية . تقى الدين المقريرى - مؤسسة الحلبي وشركاه السودان فى قرن - د. مكى شبيكة - لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٦١	الشعر الحديث فى السودان - د. عبده بدوى - المجلس الاعلى لرعاية الفنون

والآداب - القاهرة ١٩٦٤

الشعر الحديث في السودان - د. محمد إبراهيم الشوش - معهد الدراسات العالية

القاهرة ١٩٦٢

الشعر السوداني في المعارك السياسية - محمد محمد علي - مطبعة النهضة الجديدة

القاهرة ١٩٦٩

طبقات ود ضيف الله - ابراهيم صديق - المطبعة المحمودية التجارية القاهرة ١٩٣٠

القاموس المحيط - الفيروزبادي - المطبعة الحسينية - القاهرة ١٩١٣

محاولات في النقد - محمد محمد علي - مطبعة التمدن - الخرطوم ١٩٥٨

مخطوطة كاتب الشونة - أحمد بن الحاج ابي علي - تحقيق الشاطر بصلي عبدالحلِيل

سلسلة تراثنا - وزارة الثقافة والارشاد القومي - مصر

مصر والسودان - د. محمد فؤاد شكرى - دار المعارف . القاهرة ١٩٦٣

ملامح من المجتمع السوداني - حسن نجيله . مكتبة الحياة بيروت - ١٩٦٤

منشورات المهديّة - د. محمد أبو سليم . دار الثقافة بيروت ١٩٦٩

المهدي والمهدوية - أحمد امين دار المعارف مصر ١٩٥١

نقثات اليراع - محمد عبد الرحيم . شركة الطبع والنشر الخرطوم ١٩٣٦

(ح) المجلات :

الفجر

النهضة السودانية .

الملاحق

(١)

شعراء العهد التركي

يمدح محمد سر الختم المير غني

بليت وطرفى للمحاسن يقظان
 عفى الدهر بعد الاكرمين وما عفى
 رعى الله دهرا كان بالحظ مسعدا
 وللنفس مرعى فى التصابي ومرتع
 ليال تقضت بالاماني واننى
 صبرت على خطب سبرت الورى به
 شكوت زمانى بالاسى وشكرته
 وهبت له نفسا غدت مطمئنة
 على اننى لم انزعج فى صفائه
 فسيان عندى احسن الدهر أم أسا
 وهل بعد تهذيبى على المجد اتقى
 ولى جيش عزم ثابت متألف
 قدير على خصم الحصوم مبارز
 وسهم ردينى قويم مهفف
 يروى به ظامى الوغى غير انه
 وسيف يماني صقيل مرهف
 بمن يا رعاك الله ان لم يكن به
 وللمجد ركن منه لا زال ثابتا
 وللرفد وفد فى حماء معزز
 وفخر تليد آتست منه نوره
 فله ذاك الغوث والفيصل الذى
 سليل رسول الله طه كفى به
 ومن ذا الذى يرجو شفاعته جده

وطرف الليالى عن ذوى المجد وستان
 كمالى ولكن للسعادة إيان ..
 وسامر ليلى العامرية عمران
 بربع مريع للصبا فيه افنان
 على العهد باق بالصباية نشوان
 فلم يخف عن علمى من الناس انسان
 وتهذيبه لى فى الحقيقة إحسان
 بحزم عظيم عنه يضعف هيلان
 ولم اكترث يوما اذا هو غضبان
 متى صح لى بالله عقل وإيمان
 من الدهر اناسا ان دنا الناس او بانو
 عظيم له فى الخطب بالحرب آذان
 له عند وقع البؤس نور ونيران
 به عجز للحادثات واعكسان
 لنهل الدما يوم الوغى هو ظمآن
 يجرده للنصر مولاي عثمان
 يغاث ضعيف او يدارك حيران
 توطد منه بالولاية اركان
 ضيوف توالياها على الحظ ضيفان
 رجال كرام فى الفضائل اخوان
 على الدهر تاج من حلاه وعنوان
 فخارا وحسبى منه ما نال حسان
 اذا لم يكن فى الحب منه له شان

وحسبك غوثا في الخطوب وناصرا
 جليل المزايا واسع الفضل والندى
 تقاصر عن جلدواه معن وحاتم
 امام همام واحد العصر لم يكن
 تجلت له ذات العلى عن حقيقة
 تبدت له منها علوم جليله
 وما شاهد عين اليقين بعينه
 إلى شيخه ابن ادريس يعزى كماله
 وفي جده المحبوب قل كيف ماتشاء
 رجال كرام في البرية عهدهم
 تأدب وسالم يا زمان فشيخنا
 مزاياه لا تحصي وآيات مجده
 بنوه الكرام الغر حازوا مقامه
 بنوا فوق هام الفرقددين لذكره
 فالله اصل في العلى طاب فرعه
 افادوا صوابا واستفادوا اصابه
 ابانوا وبانوا في السلوك طريقة
 هم الصيد آل الميرغنى معدن الخلا
 محبتهم فرض على كل مسلم
 فكيف يخاف الضيم مثلى وحبهم
 ومن حسن الافعال لى حسن ذمة
 ولى عزوة فى حبهم وعشيرة
 ولا زال فى بيت السلاوى حبهم
 انخشی بورا أو تخاف كريمة
 وهل نتقى فى لحادث الدهر سطوة
 الهى بهم فرج أمن الهم كربتى

اذا بان من صدم الشدائد خسران
 جليل المحيا فى الشدائد معوان
 نقاعس عن دعواه قس وسحبان
 على فضله المأثور فى الدهر رجحان
 بها نال فضلا قصرت عنه أقران ..
 جللتها كرامات لدينا وبرهان
 كمن هو عن علم الحقيقة ذهلان
 وحسبك من أهل العزائم انسان
 وكافيك فى مدح القرابة فرقان
 تحلت به الاقطار مصر وسودان
 غيور له فى الامر رشد وعرفان
 حلاها على صدر الاكابر نشان
 سواء بذلك الفضل شيب وشبان
 مكانا عليا لا يوازيه كيان
 تدانت الينا بالحنى من اغصان
 وصانوا غن الاغيار اعظم ماصانوا
 على كل حزب عن طريقتهم بانوا
 اذا فآخر الاقران بالمجد وازدانوا
 مودتهم فى الله لله قربان
 غدا رأس مالى وهو بالله رجحان
 ومن هاشم عهدي نوال واحسان
 وأهل واخوان وصحب واخلان
 علينا به بين البرية تيجان
 ونحن لهم ابناء عهد واخوان
 ونحن لسر الختم فى مصر جيران
 وحقق رجائى والرجا منك غفران

عليهم سلام من علاك ورضوان
لطيبته الغرا رجال وركبان

وصن «سره» واحفظ «خديجة» بنتهم
وصلى عليك الله يا خير من سعى

وقال ايضا يمدحه :-

والمجد يؤمر أو ينهى فيأتمر
حتى تحاط بتعداد فينحصر
شواهد الحال والاحوال تعتبر
والكل منا بذاك الرشد مفتقر
من الأمر وهذا مدرك عسر
عن وصف حسنك تعينى فاختصر
يا حبر يا بحر يا ضرغام يا قمر
لكن على نية التعظيم يتغفر
وقر عينا بذكر نشره عطر
فيهن للمدح اسواق ومنجر
فليس بعد النهى عبلا ومفتخر
لا تستطاع وشأن شأوه خطر
لا زلت فى شكرها اثنى واعتذر
وأنت زخر لربب الدهر مدخر
فى سلكه انتظمت اخوانك الغرر
فى مدحه ترشد الايات والشور
فضل ابن ادريس ذاك السيد القمر
وقل ما قل من فرع الحياة ثمر
كالشمس تمتد منها الانجم الزهر
والسن الخلق لا تبقى ولا تسدر
للناس فى سوحها حج ومعتمر
بها على شكرك الميمون يقتدر
يحيى السلاوى لكم فى امره نظر

بمثل فخرك هذا الدهر يفتخر
وفضلك الجسم لا شىء يقاس به
وطيب اصلك مشهود تؤكده
ورشد عقلك يهدى كل مقتبس
ونور علمك لا تخفاه خافيه
وفرط مدحى عبارات مقصرة
فغاية الأمر أن ادعوك محتشما
يعز اسمك ان يطريه سامعه
دم للندم يا بن سر الختم مبتهجا
لك العلا والحلا حالان لم يحلا
فاظهر بما شئت وافخر غير مكثرت
ماذا اقول ومدحى فيك معجزة
أما أنا فأمرؤ اوليتنى متنا
والناس صنفان مدحور ومدخر
والمجد عقد نفيس أدن جوهره
أبوكم الغوث عثمان الكرامة من
عد جده الميرغنى المحجوب اورثكم
والشبل من ذلك الضرغام مكتسب
لا زلت ركنا لنا فى ظلمة متع
فاحفل بذكرك ان الله رافعه
واشكر على أن حباك الله مكرمة
فللندى منك اسباب موفرة
والمخلص الشاكر الداعى لعزتكم

اثني عليكم وان ابديت معذرة
خذها اميري رعاك الله سالمه
زفت لعلياك والاجلال يقدمها
سوى جنابك لم اختر لها احد
فاقبل ثنائي وخذا يا سيدي بيدي
ولا تكلني إلى من ليس يسعفني
هذا واستودع الرحمان جبرتك
دم للمحبين والانجـال مسندا

فلا ملام ولا ريب ولا ضرر
من كل عيب عروسا زاتها الخضر
والعز والبشر والتكريم والظفر
والناس غيرك لا ذكر ولا أثر
فالامر يا عدتي صعب به خطر
وفي ارتكابي على من دونكم ضرر
وذمة عندكم في الحب تعتبر
يؤوى إلى ركنه ما دامت لك البشر

في ثورة احمد عرابي

والله ناصرنا بسيف عرابي
للحادثات فهم أولو الالباب
حتمنا على كل أمرى أواب
والفتح أذن باتباع صواب
هزموا وقد نكصوا على الاعقاب
والفوز فى العقبى بغير حساب
كم من عدو آب شرايب
والحر يظهر عند صدم مصاب
ذل لمن يرضى بهتك جناب
تحتاج للاعوان والاصحاب
متطوعين لهم من الاعراب
عمد البلاد وسائر الاجاب
شمس الفاخر شيخنا الانباني
هذا بعفتخر ولا مرباب
يسطو على كل امرى متقاني
النعمان بالايضاح للطلاب
الاشراف أهل المجد والانساب
عقدت له العليا رفيع قباب
جمعت نظام الفخر والآداب
شكرت أياديكم كغيث سحاب
الجيزا وذاك محمد بن عراب
فى حضرهم نصب على الكتاب
والمجد يرقل فى رفيع ثياب

شغل العدى بتشتت الاحزاب
القطر فيه من الرجال كفاءة
وحمة الاسلام تقضى بالوفا
وحبة الوطن العزيز تحتهم
والمشركون خواسر فى سعيهم
هيا بنا يا أهل مصر إلى الرضا
أنتم أولو الهمم التى يسهامها
أنتم ولاة المجد أرباب النهى
لا تشغلنكم الحياة فانها
ولقد نرى اخواننا فى حالة
أعنى عساكرنا الكرام ومن أتوا
والعاملين لهذه الخيرات من
حسب الاعانة فى الافاضل قدوة
فعل الحميل ولم يكن فى فعله
وجناب قاضى مصر سيف شريعة
ومحقق الفتوى محرر مذهب
والشيد البكرى تاج بقابة
والخيرة السادات بيت مناقب
والهجرسى له سوابق همة
أنعم بطائفة التجار وقل لهم
واذكر لتميم الكرام فتى من
وافاضل بذلوا الاعانة غيرهم
وبمثلهم فى الناس تفتخر العلا

نعم البرنسات الكرام وما لهم
 جمعوا بتنظيماتهم شمل الورى
 هو من عملت مجاهد بمهند
 وسيوفهم مسلولة باكابر
 يكفيك قدوتنا عليش وشيخنا
 جبلان مرتفعان دونهما الورى
 شدا عراه وايداه وسددا
 والشهم ابراهيم فوزى انه
 وعلى الروبي الرضا وسميه
 يا ربنا عجل لديك نصره
 وبال بيت محمد رد العدا
 وبعبد غفار بلى شمل العدا
 وامدد عساكر باعظم قوة
 واشدد عراهم بالخليفة انه
 ولنا به ثقة قوايل سعدده
 هذا ونحن الخاضعون لحكمه
 يا ناصر السلطان دونك والعلا
 رد الطغاة وكيدهم فى نحرهم
 جرد لهم سيف اليقين فاتهم
 واسلم ودم فى حظوة يحيا بها
 هذى مآثرك الجميلة زينت
 لثمان عشر منه قد ارختها

فى الدهر من شرف ومن آداب
 من بعد ما انحلت عرى النواب
 ترك الرؤس مواسىء الاذئاب
 فى المجد من علمائنا الاقطاب
 حسن الوفا العدوى خير مثاب
 كالشمس من زحل بلا اطناب
 ما يتقى من كل فرجة باب
 فى ضبط مصر أصاب خير صواب
 يرضيك فهمى فى سديد جواب
 واجعل له الحسنى بخير مآب
 وارسل عليهم منك سوط عذاب
 وارحم برحمى معشرى وصحابي
 يا عالما بالقانت الاواب
 متكفل بالنصر للاحزاب
 ترمى شياطين العدا بشهاب
 لا ترتضى بتعدد الارباب
 فجنايها بك ثابت الاطناب
 بعظيم بأسك من اليم عقاب
 خسرنا وسيف الحق ليس يناب
 يحيى السلاوى منك بالترحاب
 رمضان بالترغيب والارهاب
 بالله نصرتنا وسيف عرابي

في ذكر والده

ولو هازلا واطرب به قلب غافل
طلاوة ما يبدو لأهل القوابل
أذاك أذاك الخزي اتيان وابل
يفرق أجزاء تلى كل آكل
وايدانه بالحرب للمتجاهل
بتأخير مفضول وتقديم فاضل
ترى رفع بعض فوق بعض المقابل
تقرب بالمفروض ثم النوافل
فرب أخير جاز بحر الاوائل
روائح عطر فاح بين المزابل
ولم يدرك الاسقام طيب المأكـل
الذين أتوا من ربهم بالرسائل
وحادوا ولم يصغوا مقالا لقائل
يؤمن دفع الفضل عن كل كامل
شياطين أنس عصبوا كل خامل
يراهم غبى القوم مثل الأمائل
علاماتهم عن حالهم كل عاقل
وفي بعض أقوال تجمل بخامل
نعوه طريق القوم اهل الفضائل
وعما حكاه الله فى فعل فاعل
عليه ومن آداب اهل القواصل
ولم يظهر الدين القويم لنائل
وما فر موسى من عدو لباطل

أدر ذكر اسماعيل بين المحافل
يعنه من ذكره من نحو قلبه
وقل لزنيم كان يجهل نفسه
فهل علمت السم كان بلحمه
وغيرة رب العالمين لغاية
لم تر أن الله ميز خلقه
فقال رفنا بعضكم فوق فاذكر
نعم درجات خصها الله بالذى
فلم تحضر الخيرات فيمن تقدموا
ولكن مزكوم الخلائق لم يجد
وأعشى الورى لم تبصر الشمس عينه
فلم أنصف الكفار ما أنكروا على
وما قبلوا بعض الذين فاعتدوا
فلا عجب من أن بعض أولى الشقى
ولا سيما من بعض أهل زماننا
ظواهرهم مصلوحة باحتيالهم
ولكن ذئاب فى بواطنهم يرى
أراهم اعابوا فى الخروج ونحوه
ألم يعلموا أن الخروج ونحو ما
عماهم عن القرآن محض شقاؤهم
أما علموا أن التأسى مجسم
فلم تعرف الانصار الا بهجرة
وهجرة خير الخلق كانت للحكمة

نعم قوله صدق فرار أناله
ويونس لم يأت إلى الفلك عابثا
مكهم من صحابي حتى عد هجرة
هم من نبي و من نجهزوا
لهم ما يعصموا من ثلاثه
وكم من من أخرجه موعلا
وقد نص أهل الشرع من قول ربهم
من رغبة من أسوة قد تقدمت
وإلى سماعيل عوت رمانه
ومن حضرة الرحمن ونصفتني أني
وكان دليل الاذن صولته التي
أطاعوه قهرا ثم بالقول أسلموا
وكيف ولم يؤذن وان مقامه
فما من تجل أو شهود وحضرة
وصحو ومحو ثم سحق ومحققهم
وكل فناء أو بقاء غير ما
فلما عصره لا تم فيه معاصر
ولا تعتبر أقوال غمز ومنكر
يقوم يدفع الاذن ينفي صدوره
ويزعم أن الاولياء كان فعلهم
لذلك عندي سيف نصر موضح
ولو كان ذو الانكار عالم عصره
ولست أبالي من تعنت بعضهم
فبحري طويل حيث صرعت وزنه
فها ابن اسماعيل أحمد مادحا
يروم بها منه الرضاء لنفسه

رسالة مولاه وأحكام مسائل
تي نبذة بعد التقام لساحل
من البلد المكي من ثقل حامل
بأمر قضاء الله فيهم لقاتل
بدينا فما قد شاءه حكم عادل
وكم خارج من كيد أخت عاضل
وأقوال من سادوا يهدى الخصال
أكابر قوم قد رقبوا بالوسائل
له أسوة في خير أفضل عامل
له الاذن حتى سار بين المحافل
عليها ثوى في أرض كفر أسافل
وكانوا الوفا ما اهتموا بلقائل
تقاصر عنه الان أيسل بأسل
وديوان سر أو نكات جلائل
وجمع وفرق تم حوز منازل
ذكرنا الا أنه باب داخل
فقم نحوه واترك هوى المتكاسل
على أولياء الله من غير طائل
من الله المختار في أي نازل
عن النفس لا بالاذن من غير فاصل
أجز به رأس الجهول المجادل
سأدرعه درعا بأوقي دلائل
ولو كان قس منهم وابن وائل
بثاني ضروب من فحول مفاعل
ذخيرته في كل ماض وقابل
واخوته اهل الوفاق الكوامل

خليفته المكي فهو محمد
وكل محب جاء ينصر حزيه
وأنصره من نادوا بوصفه
وأصاحبه أهل الشهود الذين لا
هم عین الدليل بأنهم
صلاتي وتسليمي على أشرف النوري
وأصحابه وآله قال قائل

كاذب مصطفى البكري مع كل واصل
من لاقرء أو شئت نفسك
ومهدية من حار قمع المنحوس
يرى مثلهم في الارض من متصاوم
وينقذني من سوء خب لرد ثل
محمد من وى ليوم أعظم كقول
أدر ذكر اسماعيل بين المحوس

الشيخ الامين محمد الضرير . قال :

يمدح الخديوى

والصادقون لدى الآداب اخوان
فهى الشعار حظوا بالوصل أوبانوا
غير الكلام له كشف وتبيان
وان تناءت يبعد الدار ابدان
والناس فى غفلة والدهر وسنان
ما للامين بهذا الدهر خلان
لا يستوى عاقل فيه وسجان
وجعفر الفيض بالخيرات ملآن
تضمنوا النفع كى يرتاد ظمآن
فى نشر ما يرتضيه الله اخوان
والمعتنى عارف والوقت ابان
أبعد توفيق رب العز خذلان
كما يورى وله للنصح ديوان
فى العلم نافعة بالطبع تزدان
الم تيسر على التدريج اثمان
اذ ليس يمنع مما رام انسان
اسبابه اذ بدت للخير اعوان
وما رجاء الامين الأهل حسان
فاننى باقتناء الكتب فرحان
عنى رسائل ميراث لها شأن
دهرا لكان والله وجدان
نشر العلوم كما أبداه اعلان
توفيقه وله عز وسلطان

الود مآدبة والصدق اخوان
اشعارهم ذات اشعار بحالهم
فالمرء محتبىء تحت اللسان وما
قلوبهم حاضرات حيث ما علموا
لكن علمهموا قد كان فى دعة
خان الاخلاء حتى قال واصفهم
يا ليت شعرى هل يبقى لنا زمن
فقلت قد لاح لى والله ذو كرم
حسن التخلص من أهل الزمان بمن
فيا أولى الجمع أهل العلم انكموا
ومصركم مصر والتوفيق حافظكم
أما حويتم بتوفيق العزيز حمى
أليس عار فكم يبدى معارفكم
ألم تورع عنكم كلكم كتب
ألم يكن جمعكم أرعى لئصحنها
ألم يبع لكم فيها تناولكم
فحاصل القول ان العلم قد سهلت
لذاك قلت رجاء نيل وصلكم
عسى الأجابة ان يرضوا مشاركتى
مع اننى آلف التأليف اذ صدرت
وفى الزوايا خبايا لو وجدت لها
ما قلت ذلك الا من محبتهم
فالله يحفظ هذا الجمع متبعا

في ظل والده الممدود في عمر
 يدى الافاضل للقوم الأفاضل لا
 حتى يرى دهرنا فوق الدهور علا
 حتى تقول على عكس الذى زعموا
 فالعسر يقلبه يسر ان اوضح ذا
 من معشر ما زهت مصر بمثلهم
 بحور فضل بلامن ولا علل
 فالجد جد عليا في محامده
 لما غدا رافعا اعلام نصرته
 فصار يكسر بالتقويم شوكتها
 هذا وجودهما مستعبد بشرا
 وصاحب الوقت اسماعيل زاد على
 محائل الخير في توفيقه ظهرت
 عين الفضائل لا تحصى فواضله
 صان المزاطن توفيق العزيز كما
 — لذاك حسن ختام القول أرخه

له مع الطول بالخيرات عمران
 يشنيه عما يريد الشهم شأن
 وأهله فوق أهلها الاولى بانوا
 من ساءه زمن سرته أزمسان
 ما فى الحديث وما أخفاه قرآن
 من الملوك ولنتحقق برهان
 نعم خم عمن باحسن مردن
 وسيفه الشهم ابراهيم معوان
 مع نصبها انخفضت بالفتح بلدان
 فلم يعد اهلها للحرب بل دانوا
 اذ طالما استعبد الانسان احسان
 ما كان اضعافه والدهر جذلان
 اكرم بشهم له التوفيق عنوان
 لأنه فاضل الأعيان محسان
 حمى أولى العلم مهما كان أو كانوا
 صون المواطن توفيق وعرفان

يمدح الخديوى

والكون نار وقد زادت بشائره
لما بدا طالع الاسعاد نائره
والغصن اعلن بالتغريد طائره
فى عاشر الشهر قد لاحت مفاخره
قوافق الاسم معنى طاب ذاكره
لا سيما مصر تعلوها أوامره
وصب فى بربر منها جواهره
لم لا وذا منبع الاحسان ماضره
عمت جميع الورى منه ستائره
لنيلها فضل من تسطو بواتره
والنور يلعب فى الاكوان زاهره
جلالة المجد سامتها عساكره
وسامر الفخر من كانت تسامره
سارت مزاياه نعم الفضل ناشره
على الرعية مذ فاضت بواكره
فى راحة الخلق حتى قام ناصره
ونال ما كان فى الألباب ضامره
لم لا وفيها ملا الامر ظاهره
بمولد فيه نال الخير ناشره
مذكرا للمليك عز شاعره
من نجل هاشم من طابت عناصره
فانظر له نظرة تعلو شعائره
اليمن اقبل بالاحسان طائره

اليمن اقبل بالاحسان طائره
والبشر بدى سروراً من عجائبه
والكون قد رقصت فيه محاسنه
لما اتي مهبط الخيرات فى رجب
« محمد » من بتوفيق الاله سما
بمولد منه كل الكون فى طرب
قد ضاء سوداننا من حسن برأفته
والسعد خادمه فى كل آونة
ذاك المليك الذى أنوا سلعته
كل الممالك أمت باب سدته
حيث المفاخر مضروب سراقها
ملك حسن واحسان وأبهة
تمدنت مصر من آداب سيرته
نامت رعاياه فى ظل الأمان كما
هذا الخديوى الذى سحت فضائله
موفق لامو الخير مجتهد
تبارك الله من بالفضل كمله
سامت به مصر أفلاك السماء علا
تباشرت بربر فى يوم مجمعها
أعاده الله فى كل العصور لنا
آيات شعر بدت فيه على عجل
مقامه بربر فيها بمرسة
ما انشدت يا ملك الفخر فى ملأ

يرثي أحد السادة الادارسة

والنور أضحي عن الأكوان منسلبا
يا صاح ماذا بهم هل تعرف السببا؟
فأشعلت في القلوب الحر واللهيا
تبكى بدمع يفوق البحر والسحبا
من قام لله بالاخلاص محتسبا
وفي العلوم كبحر موجه اضطربا
يوما وينسبك حسانا اذا خطبا
من الاكابر فاسمع واطرح الوبيا
للنبي والزهرا قد انتسبنا
ومنه ولا سالك الارقى رتبنا
واظهر خضوعا وراع الذل والادبا
كذا هبات تزيل الهم والنسبا
اذ عم كل العجم والعربا
نظما قليلا وللتاريخ قد حسبا
والغين بالتقط عام الموت قد كتبنا

مائي أرى رونق البلدان قد ذهبا
والناس مشغولة الافكار حائرة
نعم مصيبة أستاذ بنا فزلفت
وصارت العين بعد النوم ساهرة
على الوسيلة عبد العال عمدتنا
حاوي الفخار ومن بالجوهر منفرد
يسر عقلك أن وافيت مجلسه
له الولاية قد جاءت سلسلة
لأن أحمدنا بن ادريس والده
ما بناء مستمنح الأحوى كرما
يا طالب الخير عرج نحو تربته
يفز بنيل مرامات ايست لها
يا سيدي احمد يرجو مراحمكم
اهلدي جنابكم مقدار طاقته
بالهاء والصاد ثم الراء بعدهما

هجاء المهدي وانكار دعوته

لقد جاءني في عام «زح» لموضع
 يروم الصراط المستقيم على يدي
 فقام على نهج الهدية مخلصا
 وأفرغ في نهج المحمد جهده
 أقام لدينا خادما كل خدمة
 كطحن وعوس واحتطاب غيره
 وكم صامكم صلى وكم قامكم تلا
 وكم ^{بوضوء} نضوء نيل كبر للضحى
 سلك سقى من منهم القوم شربة
 وكان لدينا عيشه صدقاتنا
 إلى الخمس والتسعين أدركه القضا
 بصحبة شيطان من الجن ايسر
 ولا تنس داعي الاحتياج فتالث
 فقال أنا المهدي فقلت له استقم
 وخادعني بالقول كالمهد ابنكم
 فقم لي لتصر الدين تقتل من عصا
 فقلت له دع ما نويت فإنه
 وقال له الشيطان بشر ولا تخف
 وقد فهم القولين فهم أولى النهي
 فقال أنا كائن في الطمع نارد
 وان يستخفوا بي وان يقتلوني
 ومن ذلك النادي أي وايته

على جبل السلطان في شاطئ البحر
 فبايعته عهدا على النهي والأمر
 وقد لازم الاذكار في السر والظهر
 فرقته جهلا بعاقبة الأمر
 تعزّ، على اهل التواضع في السير
 ويعطي عطا من لا يخاف من الفقر
 من الله لا زالت مدامعه تجري
 وكم ختم القرآن في سنة الوتر
 بها كان محبوبا لدى الناس في البر
 وخادما عشرين عاما من العمر
 على ما مضى في سابق العلم بالشر
 وشيطان انس وافقاه على الضر
 وكم ساقط في الشر من ألم الفقر
 فهذا مقام في الطريق لمن يدرى
 ومحسوبكم في الحب في عالم الدر
 فأنت لك الكرسي ولي دول الغير
 وتالله شر قد يجر إلى الخسر
 فانك منصور على البر والبحر
 ومال إلى حب الرئاسة والجبر
 واما يسخن كان كالنار في الحر
 فقبلي علىّ والحسين ولي أمرى
 وأفتيت فيه بالضلال والكفر

وإني أذنت الجيش أن يضربوه إن
وقد جاء للعلتوب في سفهائه
وكان من الأسرى لديهم نياقه
وكنت نصحت التتمقام بحبسـه

أناهم بما يهواه من واضح النكر
وقد رده الاتباع بالخير والقهر
وراياته والجيش قد صر في البحر
فما جاءني من غير داع صاحب الخضر

عمر الازهرى قال فى :

مدح النبى

قرب البعاد وهاج اليوم اشجاني
العشاق لم يختلف فى ذلك اثنان
او البنان فقد بانوا عن البنان
يا برق مالك قد فرغت خلاني
حتى المواجهر فى أفياء أفنان
علم ولا علم عن جبههم ثاني
صب عدت الذى فى الحب يلحاني
والدمر اقصاهم عنى وأقصاني
ام طنبوها باشكال وألوان
فى الشعب من بعدهم قد قيل شعبان
مجيب الا صدى صوتي قلباني
فما فتى فات بي عنهن افتاني
استرجعت جهدي واستنجدت اجفاني
وردت ماء العذيب العذب أظماني
سفحت بالسفح عنهم دمعى القاني
عاء والمنحنى اوقفت قعداني
حتى سرت نحو خير الخلق ركباني
من أرسله للانس والجان

غدا القصور قصارى كل انسان
الصاردي فعامله باحسان
يرجو نتيجة عفو شكلها ثاني

تأتى البرق من نجد فاشجاني
والضحك منه التوى فى البرق تعرفه
فان اشار بطرف العين هم حملوا
هاجوا وماجوا كأن قامت قيامتهم
ظلت قباهم بالرقمتين لسدى
وبعد ذا قيل اموا الجزع ثم ولا
فصرت أحير من ضب واذهل من
ياليت شعري مذ شطت ديارهم
هل قوضوا بعدنا يوما قباهم
تنكر العلم المعلوم بعدهم
وقفت بالغور لا داع هناك ولا
مستفيا جئت فتيانا فنتت بهم
وطفت نجدا فلما ان عدمتهم
وحسن ظنى بسكان العذيب فمذ
وكم اطلت وقوفى بالمضاب وكم
وكم يحزوى وسلع والعقيق وبالجر
فما حصلت على صاب ولا عمل
محمد صفوة البارى وخيرته المختار
ثم اختتم الشاعر قصيدته هذه بقوله :-

وبعد ما قد أتى التنزيل ممتدحا
الازهرى بن عبد الله ذا عمر
بالحمل من كل ذنب جاء متصفا

واستغفر له فهو عبد مسرف جاني
الزوجات ثم ذوى سقرني واخواني
يوم القيامة من أثم وعسوان
والآل والصحب ماكر الحديدان
والمسلمين كذا واختم بإيمان

فاشفع له في غدا يا ابن العواتك
واشمل بفضلك أهلى والبنين مع
اذ انت أكرم من ترجى شفاعته
صلى عليك الهى يا ابن مدركة
يارب واختم بخير فى الممات لنا

ومن مدائح فى النبى صلى الله عليه وسلم :

صب تفرق بالنوى اخذانه
حمرا وحن إلى الوصال جتانه
رهن طن وطيفهن رهانه
ايدى النوى فتفرقت سكانه
والصبح قد صدع الدجى سرحانه

باد هواه وزائد خفقانه
فجرت بوادر مقتلته لما جرى
لم يدر قبل البين ان فؤاده
عجا لربيع بالنوى لعبت به
نادوا الرحيل وقوضوا لخيامهم

إلى ان قال :-

دهره بالمصطفى ايمانه
ص شية الحمد غدا جثمانه
للخلق طرا انسه او جـانه
نزرا يسرا حاكه حسانه
ملك ولا ملك ولا أعـوانه
شيث ولا نوح ولا طوفانه
لعمري اذ جفا خلـانه
حتما فما فرعون فى هامانه
ظلم البحار فكان منه أمانه
ايوب يوما فانجلت احزانه

حسب الفتى من كل ما قد جـنا
بحر الصفا ذاك المصطفى من مصا
المنتقى المبعوث من خير الورى
من معجز المختار يا قوم اسمعوا
لولاه ما كان الوجود ولم يكن
حتى ولم يك آدم كلا ولا
ونجا الخليل بجاهه من نار نمرود
ونجا نجى الطور موسى باسمه
ودعا به من نومه ذا النون فى
وبه دعا من كيد ضـرمه

تم اختتمها قائلا :-

يا عين هذا الكون بل انسانه
زانت بمدحك فى الورى أوزانه

يا سيد الثقليـن يا مجلى العدا
الازهرى الصاردى عمر الذى

مما جناه قلبه ولسانه
 معه كتابا منك فيه أمانه
 طالت عليه دهرت لها أركانها
 اهل واصحاب كذا اخوانه
 والآل ما برق أضواء لمعانه
 ل يوم معركة فهم شجعانه
 قد سح قطرا واتي ابانه
 واغفر لنا ما يرتجي غفرانه

يرجو النجاة بفضل جاه محمد
 واذا وعى لكتابه يلقي غدا
 وبذى الدنية يرتجيك لعله
 ويفيض فضلك عم من يعينه من
 صلى عليك الله يا نور الهدى
 وعلى الصحابة من اذا دعيت نزا
 والتابعين وتابعيهم كلما
 واختم بخير ربنا لعمومنا

وهذا الشيخ الشاعر قصيدة نشرتها مجلة الجوائب المصرية لأنها كانت
 جائزة تلك المجلة ، يقول فيها : -

فقد ضاع من بين القلوب الذوائب
 ولا كان جفن دمه غير ساكب
 له لفتات دونها كل غارب
 بنتها على كسر جميع المذاهب
 اعدت لتفويق السهام الصوائب
 هداني محيا منه مصباح راهب
 رماني بسهم من قسى الخواجب
 سمعتا ببحر السين يعزى لذهاب
 فوجدى قديم لم يزل غير كاذب

سلوا عن فؤادى مسيلات الذوائب
 فلا سلمت نفسى من الحب قد خلت
 سبي مهجتي لدن المعاطف أهيف
 ولا عيب فيه غير ان جفونه
 وكم اتقى كسر الجفون لانها
 اذا ضل على فى ظلام شعوره
 رفيق رحيق حصره ورضبه
 نحر فؤادى سير طرته وم
 فلا تحسبوا اني تصعت فى الهوى

كحب العلا مصباح أفق الجوائب
 بفارس ميدان الوغى فى الكنائب
 باوصاف مجد لا تعد لحاسب
 وهمته اضحت بهام الكواكب
 لتحرير الفاظ اصطلاح التخاطب
 على صفحات الحسن من دون حاجب

وحى له لم يخف فى الكون أمره
 هو الماجد المفضل احمد من دعا
 له الله من مولى تفرد فى الورى
 سجيته نصح العباد لامرهم
 فتى كلما أجرى يراعا بنانه
 ترى الدر يزهو من سموط سطوره

.....
فيا سيد قد طاب في الناس سيرة
فضلك فاقبل نيت فكر تزينت
ودم سدا في بسط عيش مؤيدا
ولارنت اصلا للحميل ومحتدا

.....
كما انه من نسل قوم أطايب
بمدحك لا مما حوت من عجائب
بأمن وحفظ من جميع النوايب
حميد المساعي في الورى ولعواقب

(٢)

شعراء المماليك

والموت في شأن الاله حياة
 للمرء ما اقترنت بهما العزمات
 ومقدام الرجال تهابه الوقعات
 لا يستطيع لنيلها غايات
 يقضى فليس تزيد خشيته
 نفس الكريم وحانت الاوقات
 العلى وأجرها الجنات
 شهدت بمحكم اجرها الآيات
 صحب الامام السادة القادات
 شم الجبال وللضعيف حماة
 شهدت به يوم اللقا الغارات
 قتل الاعادى عندهم عادات
 اثر السجود عليهم وسمات
 اسد واسل رماحهم غابات
 رزق النصور ولحمهم اقوات
 تختال في ميدانها فتيات
 وأغرر صبحا اذ علت اصوات
 رعت دما وجلأؤها الهامات
 غير الجماجم والشعور نبات
 وتوهموا ان الصعود نجاة
 ان الشوامخ عندهم صخرات
 نزلت بهم عقولهم اشبات
 شكر الاله له وتلك هبات

الحرب صبر واللقاء ثبات
 الجبن عار والشجاعة هبة
 والصبر عند اليأس مكرمة
 والافتحام إلى العدو مزية
 والعمر في الدنيا له أجل متى
 فعلام خوف المرء ان غشى الوغى
 والفخر كل الفخر بين النفس لله
 ان الجهاد فضيلة مرضية
 قد حاز هذا الافتخار جميعه
 قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم
 ولباسهم زرد الحديد وبأسهم
 وخلفهم صدا الدروع لحزمهم
 في السلم تلقاهم ركوعا سجدا
 وتحلم يوم الجلال ضراغما
 ركبوا الجياد وغادروا شلو العدى
 والخيل ترقص بالكماة كأنها
 فائزون تقع الموت في عرصاتهم
 وذباب اسياف المنية فوقها
 والأرض سالت بالدماء وما بها
 ظنوا جبالهم المنيعه تقيـة
 ذهلوا اصحاب الامام ومادروا
 عميت بصائرهم وتلك مصيبة
 يا أيها الانصار ان صنيعكم

أعليتم دين الاله وما بكم
 وشرحتم صدر الرسول محمد
 ورهبتهم العسلج الكفور بسيفكم
 وسقيتم الأعداء كأس منية
 فصعودكم متن الجبال دلالة
 فالفخر فخركم وفخر سواكم
 انتم جهابذة كرام ما لكم
 واذا العناية قارنت عزم الفتى
 خالى متى انتم قعود تنظرون
 السيف أصدق ناصح فى حقهم
 قوموا لهم وتأهبوا للقائهم
 اجلوهم من دورهم فلانهم
 فخذوهم قهرا وسوموهم أذى
 هانت جبالهم ولان شديدهم
 فتحت لكم فتحا مينا واضحا
 يا سيدا وسع الانام بحمله
 فانص إلى الخراطوم ان بسوجه
 بطروا راءوا ثم صدوا معشرا
 وتكبروا وعتوا عتوا فائقا
 نبذوا الشريعة من وراء ظهورهم
 الله اكبر لئن يلدوم صنيعهم
 خذ جيشك المنصور لا تحفل بهم
 فتسوروا لهم الخنادق وافعلوا
 فتحوا حصون الخير بين التى
 صدقوا من الحرب استقى مرعبا
 فتكا وضربا بالسيوف وطعنة
 ونكاية الأعداء احلى من عناق

الا الثبات تزيته الوثبات
 بالفتح وانكشفت بكم ظلمات
 والدين تصلح شأنه الرهبات
 عبراتها ما مثلها عبرات
 اذ لا يحط لقدركم درجات
 محض ادعاء ماله اثبات
 فى الصديق من سبة ولا شبهات
 نجحت مساعيه وهان ممات
 لوعودهم وهم للجميع خزاة
 والفنك فيهم حسسته اساة
 ولتقصدهم فى الديار امات
 كتب الجلاء لهم وحق شتات
 فلكيدهم لا تنفع الحسنيات
 وتحيرت ألبابهم والذات
 سرت به الارضون والسموات
 واستطرتهم بالهدى بركات
 اهل الغواية والمقاسد باتوا
 فى الله لم تعرف لهم رغبات
 والله اكبر والسيوف هداة
 عن دينهم شغلتهم الشهوات
 هذا واتم للانام رعاة
 ولتقدم امامه الرايات
 فعل الصحابة اذ ات غزوات
 زعموا بان حروبهم هلكات
 موتا وما علمت لهم سطوات
 ذاقوا مرارة طعما الليات
 خريدة لعبت بها نشوات

فجروا ولم تصلح لهم حالات
الدين القويم وهؤلاء بغاة
ورشاد اهل البغي تمويهات
بربكم قد امكنت فرصات
فلقد تسابق روحه الرحمات
وتزينت لقدمهم جنات
وتعرضوا فاتهم التفحات
وتعمرت بشناكم الايات
ارجو الاقالة ان بدت عشرات
سرت خطاه بحبكم سكرات
ما هب ريح النصر والنسمات

شوقا وقلبي للملاح طروب
فتن المشوق وفاته المطلوب
وسواى ينعم باله ويطيب
سهر الجفون كأنتى يعقوب
ما رابنى فى عشقهن مريب
اثر الحمول وان علا التأنيب
قد مسها نحو الحبيب لغوب
كهلال شك ينجلي ويغيب
وانت تذرف دمعك المسكوب
حيث الزهادة والتقى المرغوب
زهّدوا الدنا فاتاهم التقريب
بنفخاره والظاهر المجذوب
نجابة وابن النجيب خيب
شم الثوابت ان الم خطوب

قوم اذا ما السيف فارق رأسهم
جلدوا ولا تهنوا ولا تبغوا على
فرشادكم عين الحقيقة واضح
قووا عزائمكم وكونوا واثقين
وليكن بالخبر الخزيل شهيدكم
والخوّر تنتظر اللقاء فرحا بهم
رضى الله عليهم من فضله
الفاظ شعري شرفت بمدحكم
قد قلتها وانا الفقير محمد
ان لم اكن سلمان بيتكم الذى
مدح دمت ودام ثناؤكم متابعا
(وقد مدح الشيخ البنا عثمان دقنه بقوله :

ما بال طرفى للدموع مسكوب
ولقد فتنن وما ظفرت وربما
انا فى هو الغيد الحسان معذب
متواصل الاحزان ألبأ للبكا
متعمف عن فعل كل دنيئة
ماضرنى ان لو حثت العيس نى
وزجرت للسكرات دامية الخطا
أو جفتها فسيرا فصارت ضمرا
فسألتنى اين المسير ومن تريد
فاجبتها عنى اليك فيمضى
ففساك تلقى نفحة من سر من
عثمان دقنه من رقى اوج العلا
ومحمد ابن الطاهر المجذوب خل
وحماة ذلك الثغر أجمعهم فهم

ما شوقهم دوما لطلعة فارس
 والدين اصبح ضاحكا في ثغرهم
 فلأم اهل الشرك حزن دائم
 بعثت لهم همم الجهاد ملابس
 وامدهم جيش الملائك ناشرا
 فسوفهم مسلوثة ورماحهم
 فعدوهم دوما يغص بريقه
 ان نوزلوا كانوا الليث معاركا
 او حربوا فالرعب من اعوانهم
 واميرهم عثمان اهلك ملّة
 ان صال فالفرسان تحجم دونه
 او جال في الميدان تحسب لئه
 او جرد السيف المهند مؤمنا
 فالحلم فيه سحبة مغروسة
 فظالما عين الشريعة اسهرت
 فانامها عثمان وانكشفت به
 وافاد ثغر سواكن امنا وايمانا
 وكفاه فخرا ان من اعوانه
 يتفجر العرفان من اسرار
 صدقت عزائمهم واخلص نية
 قد سالمته يد الثواب فازنت
 وغدت تناضل دونه اعداءه
 لا شك ان الله اكرم ذا الفتى
 فاد في حفظ الشريعة بل ابي
 ما ضر عثمان الهزير اخا التقي
 فالسعد يخدم جيشه بشهادة

الا كشوق العاشقين يصيب
 والشرك حل بربعه التخريب
 ولا سهم منح السرور نصيب
 النصر العزيز يمدّه التصويب
 رايات نصر للبلاد تجوب
 مسنونة وعدوهم مرهوب
 والرعب منهم للقلول يذيب
 او غولبوا فعُدوهم مغلوب
 دوما وعقل عداتهم مسلوب
 عدم النصير صريحها المكروب
 فرق الهلاك ولللسان لعوب
 اسد تفرس والرجال تثوب
 لاوى القساوة فالرؤوس نجيب
 أما لدى حرم الاله غضوب
 ذلا وذرف دمعا المصبوب
 احوال حرب للصغير تشيب
 ويمنا وليس فيه عزوب
 ذاك الذى هو للقلوب طيب
 للرائدين ومنه اليه يؤوب
 فى الله ثم مرادها المحبوب
 جدلاثة بوادره وتطيب
 قد كشرت منها لهن نيوب
 واقامه للدين نعم رقيب
 ونفوس قوم حظهن لهيب
 من بعد ما افسده قط عصب
 من نالها ابتسمت اليه عروب

فجزاه رب لعرش عنا خير ما
وتراحمتم من ربه الجبابه
عثمان هذى حلية الفمكر التي
ويعشر معشر الذي 'وتيته
حامت نخبر عن غراه محمد
ويعتدى المدح الذي قد حزته
وبطول احسان غرست وسودد

وفد بدأ هذا انشاعر قصيدة مدح به لأمير الزاكي بأبيات الغزل الآتية :-

أبدا يؤرقني عبير شذاك
ويورقني من حالة العقلا إلى
ويزيديني طربا وحسن مسرة
يا ربة الحسن الذي فتن الورى
عذبتنى بالصد والهجران ما
كفى فقد نزل السلو بخاطرى
وظللت اروي من احاديث الندى

كما بدأ قصيدة أخرى بقوله :-

دعوني اجتنى ثمر الرقاد
الا يا حادى عيسهم رويدا
ويا دار الاحبة خبريني
متى رحلوا واين ثووا وقاموا
وليل بت فيه سمير انس
كأن ضياء انجمه علينا

وخلوني اميل إلى الوساد
سلمت من الملمات العوادى
سقتك هرامع السحب الغوادى
على هجرى ام اقترحوا ودادى
قريب العين مشروح الفؤاد
ايادى الشهم عثمان الجواد

/ برح الخفا ما الحق فيه خفاء
 / فالامر جد والقلوب مريضة
 / والحائات مصاعق بمنابر
 / والحق اظهر ان يرى بشواهد
 / والشمس في أوج العلا من مغرب
 / والبلد قابلها فم كماله
 / ودارى أفلاك العلا دارت على
 / وتكاملت في كل مجد انجد
 / ما ان ترى الا جميلا زاهرا
 / وسقته من خمر الهوى بعيونها
 / بالآية الكبرى التي بظهورها
 / مهدي رب العرش منتظر الوري
 / السابق ابن السابقين إلى الهدى
 / ولهم تبلج كل غصن مشمر
 / تسقى بعذب رائق من البحر
 / وهمى وجاد على الانام بما ترى
 / بشرى لنا بظهور مهدي الوري
 / جمعت حذافير الولاء للناب
 / رفعت منه يد بقدرة قادر
 / بمكانه الامن المؤيد وقته
 / انعم بأمر كان من جد القضا
 / وله الاشارة من الست بركبهم
 / ما حالهم ما بالهم لم يسمعوا

وتوالت الآيات والانبياء
 والداء داء والدواء دواء
 بعظاتها تتواضع الاشياء
 لم لا وقد قامت به الاسماء
 بهرت عليها هبة وبهاء
 وتقلدت بعقودها الجوزاء
 اقطابها فزعت بها العلياء
 لما استقام زمانها الاشياء
 بهرت في حلل البها زهراء
 ولما ثغور شفاها لمياء
 كمل الرضا وانجابت الاسواء
 وإلى الولي والاكرمون وراء
 من معشر نتجت بهم زهراء
 بجلاه تزهو روضة خضراء
 من فيضها ملأ البحور الماء
 من غيثه الهامى عميم سماء
 آية ونعمى بعدها نعماء
 وعلى الجميع من الامام خباء
 فوق المباني ما علاه بناء
 والارض ارض والسماء سماء
 جار وقد حكمت به الاسماء
 طوعا له وليسمع العلماء
 نقسى لهم مما يشين فداء

من يحفظ التنزيل من بدرى الذى
من يحفظ الاخبار على اهل النبى
ويرد اشكال الامور لشكلها
ويرى للقيح بداية ونهاية
مثل الذى فى بحر ليل جهله
لا والذى خلق النوى وهدى الورى

فيه ومن لم يدر ذاك سواء
وتعين ذلك فطنة وذكاء
ولها عليه من الثناء سناء
ويروم احسن ما الاله يشاء
دح وشرق ما يرد مساء
وله ورد مجانبه احياء

مهدي امة احمد بي لم تذر
فتنكرت من ذاك كل مقاصدى
ماى سواك وليس بعدى من جفا
وأنا المصغرين ظهرا نيههم
لم تعرف الايام قبلك منزلى
واستعملتنى اليوم فى عادتها
اجملت فيما لا ارى اجماله
ومواضع التفصيل دوني شأوها
فلسان حالى الكنته فهاهتي

خلا يدوم له لدى اخفاء
فاذا الجميع سوى علاك هباء
لكن بذاك جرى على قضاء
حسبى التصاغر انهم اكفاء
ولذلك لم يرفع على لواء
فاطعنهن ولى اليك رجاء
حقا ولكن للامور مضاء
لعبت بها من دوني الامواء
بعضال داء ما لديه دواء

وامانة الجح الغفير مهاجرا
نتناوله من اللثام واعطه
واشترط عليهم ما اردت من الهدى
رسم ترققق بالسنا فله الهنا
وكسته أثواب الرضا مهدي
فغدا بها يختال فى حال البها
كم ارتعى من روض دائية الجنا
عطرحتها تحف الكلام فنوعت
واذا نسيمات الصبا دعت الصبا

وله بماء سمائك الاحياء
صنف الكرام فاهله العلماء
يعطوا العهود لانهم امناء
اذ ناله بعد القضاء بقاء
تتلو المضرة اختها السراء
ولكل شيء شدة ورخاء
تمر الرضا تدينه لى وجناء
تحف الملام وهاجها ادلاء
لوصالها تنصل الاعضاء

ترتاع ان هتفت بها من كسوة
عاش ابن سينا جهده اوصافها
دقت ورنث وارتقت فى سكره
كيف التواصل والقوى نبت السرى
فتترلت حاجاتها فى سوح من
وتركتها وكفى لقائى مرة
تلك التى جهد الزمان لوصلها
حتى بالطاف المهيمن مكنت
فغدا بها متصرفا فى اهله
ودعا بها لله دعوة قاهر
فاجابه اهل النهى فى طاعة
وديار من نادى الهدى منقضة
حاكت بها يسرى الشمال عجائبا
فى ثانى ايام الدنية عطلت
فى تاسع من رابع فى الثان من

سحرا لتجديد السلام رخساء
بشفائه فاذا هى العنقاء
بلمى شفاء دونه الصهباء
اذ مسها من ضعفها الاعياء
بحمولهم تتزل الضعفاء
اذ لا يدوم مع الزمان لقاء
وله ذلك عذوة ومساء
اعراضه منها يد يبضاء
يعطى ويمنع من يرى ويشاء
سمعت بعز مكانها العظماء
سفكت بها قبلى اللقاء دماء
وسقوفها بين السقوف هواء
شملا تفتقه يد عسراء
يبض لها وجواهر ونساء
بعد الكئين وللأمور مضاء

ما النار شأن النار اعجب ما أرى
عنها استفد خيرا وكن متبصرا
عبر تجل عن القلوب ذوى الذكا
اتظن تلك كرامة مأنوسة
وهدى لدين محمد من يهتدى
هم والذى برأ الورى هم لاسوى
وفدى النفوس انا فاني دونهم
هم كالنجوم هدى وفى الجلودى
ماذا الذى تفتاس من افعالهم
ما دونهم مرمى مريد صادق

تجرى بهم وجسومهم سوداء
فى امرها وليعمل منك بكاء
اية وتكسف بينهن ذكاء
لاوالذى خيلت به الاراء
وبه تخصص فى الهدى الخلفاء
كل النفوس لهم سواى فداء
بي والذى برأ الورى أدواء
بلى العدى ما بعدهم اظماء
فقياسهم بسواهم اغواء
هل بعد عرش الاسواء بناء

فسوى حلائف جند مهدي الوري
 الا الذين غدوا على آثارهم
 ذاك الرفيق الزمه واترك غيره
 واعصم سقاءك بالوكاء من الظما
 واصحب خبيرك في الترى خوف
 واحلل اسيرك ها هنا ان تستطع
 حنص عنه فمحضوب ترسل
 وعلى انسى وآه صلي ندى
 وكذلك سلم ذو العلا ما انشدت

وقد رفع هذا الشعر قصيدة ثانية لمهدي قال فيها .

الامر جد والخطوب جداد
 نزلوا بحر عاء الحمى من حاجر
 مهج تققعق في شنات جسامها
 قضب يحرك معهد اوتارها
 دقت ورتقها الصغار وعادها
 وكأنها يوم الوغى في كربها
 وعيونها مغموضة بعيونها
 نادى بها ذو الصور يطغى نورها
 بين الرقاق البيض والسمر القنا
 طربا يفوق على الشمول لمامة
 ومحاسن العلياء بين مطارف
 ما بعد طيف خيال ظل خيالها
 حرب بمحراب الهدى من يأسه
 لم لا واملاك السموات العلا
 والجن والانس الذين عهدتهم
 فاخبر بنفسك خل اخبار الوري

وجند مهدي الوري اجماد
 فبدت لهم من حاجر ازواد
 فكأنها بنشيد أعواد
 يزهي بها الانشاء والانشاد
 بعد الرقاد من الخطوب سهاد
 بخطوبه تخطو به الاسناد
 والحق ابلج والوري اشهاد
 فرنت له الارواح والاجساد
 حلومها تراقص نعد
 لا وكيف وهي اعيون سعاد
 حصر بها جمع الجبال حبود
 يوما ويوما يرد سهاد
 بشنائها تنزل الاطواد
 في جيش مهدي الوري اجناد
 سوى الذين وما لهم اعداد
 والزاد خل ولا يعقل بعداد

كذب أنى منه له وعناد
انقى تقى ما عليه سواد
وعلى الفعال من المقال مزاد
فى جنبه يستصغر الانشاد
جمل الصلاة كذا السلام يزداد
فتحت بأسياف الرشاد بلاد
وعلا له فى الخافقين عماد

وأحذر تقول ذى اعتداء جائر
أفضى المقالة فيه حق كله
للحق جائر وللمناكر قاتل
يكفى الذى مليته فى حق من
وعلى النبى محمد خير الورى
ولآله والقائم المهدي ما
وسمت له رتب الولاة على السما

ورفع قصيدة ثالثة للمهدي قال فيها :-

لها فيه ما شاء السراب الملمع
فهاجك يا هذا العقيق ولعلم
عنه بها طير المنية وقسع
به هو فى البيداء واه مولع
وكل بكل ذى عموم موجه
وتكبيرها كالعبد فيها مسجع
باشراق بدر الكواكب شرع
حياء فوالاها لثام وبرقع
بدا واليه الناس فى الارض يجمع
المعد لها الحصن الحصين الممنع
بهامته التاج النفيس المرصع
صحاح رواها هيرزى موضع
سعر الهوى فى القلب والجند تبع
ولكنه منه اليه مشيع
ولكنه بالمجد منه موضع
ولم يلق للتطريب الا مسجع
سخاء بنوم العين والناس هجع
ذهاب عن الاغيار والناس طمع

أهاجك وصل بالاباطح يلمع
أم للبرق فى شعار العقيق لعلم
أم الواقع المبتول بين اجادع
دعاك ومل النفس لولاك من ولا
فسامرته والليل يلهو بنفسه
واسنى صلاة حان وقت ادائها
وطلعة شمس من سنى الغيب عزز
- انبهرت شمس السن من سنائها
عاد الهدى اس الجدى معلم العدا
ملاك اساطين الخلافة كفوها
امام المهدي الهادي لكل مرشد
به اخبرت من قبل وقت ظهوره
به انفجرت من قدح زند خواطرى
فاهديت در القول غير مثقب
واوليت ما اوليت عقدا منظما
ولرسلت دمع العين فيه مفقرا
سجدة ذى وجد عليك مؤبد
سجدة من لا غير وجهك قصده

خلتهم هي مانيس فيهن طائر
 قصور وحور والخبور ونعمة
 وهاك وخذ مني ودونك واغبط
 بنا انت مالا حت بروق لغيرنا
 وما اعنت في الشجو ساجعة الحمام
 أدرت سراج الفكر في افق خاطري
 وما لذ في عيني وقلبي وقالبي
 ولا سامرت نفسي من الليل سمرا
 ولا رد في وجهي السلام تحية
 فسرت به روحى مسرة بهجة
 سواك فانيت الجمع والفرق دائما
 لمن تزجر الحاجات زجرا مبرحا
 فهل دون مأمول الخصب فناؤه
 انادى فلم يذهب ندائي لمذهب
 واثني لعل الصوت يبلغ احدا
 توجه ومنه السير سر فيه تنتهى
 وقل عنه وأسمع لطف كل مقالة
 وعاین وما فى العين الا اشعة
 وجمال يريق العين من فرط حسنه
 تغر له زهر الدرارى كواسفا
 عليه صلاة دون كيف وعدة

ومن شعر الشيخ الحسين هذه القصيدة :

نفس فتى بالشمس رآه نضحى زرى
 تبدى لنا من ذيل آفاق غيبه
 وما كان ذاك الغيب من فرط صوته

وعلقها في كل طبع منقوع
 ومال وآمال وخير ممنوع
 بما تبتغى عفوا فانت مشفع
 وما اطربت آلات هو تقفع
 على فنن غص وطلبت ترجع
 فلم ألق من فيه الكمال مجمع
 ولا هاج اهوائى خباء مضلع
 ولا ضمني فى الدهر بين مصرع
 من الناس شخص حاسر أو مقنع
 لحسن واحسان له اتضع
 كذلك وانيت الاروع المتسرع
 ومن فى حمى احسانه تتمر
 لحاح ذوى الحاجات باعش مربع
 شقائى ولم يجمع شتائى جمع
 فيعلم ما بي او يعيه فيسمع
 اليه فلولا اله البسيطة بلقمع
 يمر بها فى أفق اذنك اصمع
 يمر بها فى افق اذنك اصمع
 فيبهرها اذ بالجلال مقنع
 وتنزل من اوج العلا وهى خضع
 واسنى سلام ما تلالأ يلمع

ونورا يفوق النور من كان والبدرا
 إلى ان تراءى فى العلا بيننا جهرا
 لذلك السنا من قلبه يظهر السرا

وكن فيض الفضل من نفحة الرض
وهيهات كم الغيب اشراق ضوئه
ولما تبدى لى وفاض شعاعه
وسامرت منه خير نفس ابيّة
ومعنى متى احرزت من غير علة
اظل بذات الضال فى جرع رامة
ارى مغرب الاغيار اعتم ظلمة
اراعب نور الشمس من كوة الحمى
اردد فى تلك الطلول على الربى
وان هى لم تفتح مغلق بابها
وامكث ان لم الق من جانب الحمى
اراقب من فيض الرحيم مراحما
وارضى بكوني ناسكا غير عارف
وان كان علم العقل غير موصل الى
نهاية اعقال العقول معاقل
قدما ارتنا من وراء خباياها
سبرنا بها بحرا المعاني فلم نجد
الا ليت ذلك المبر ما كان حاصله
فعض هكذا اما هكذا غير ما ترى
به واحد فيه له وهو صاحب
قرأت كتاب الكائنات مسطرا
وعانيت فيه كل صعب وساهل
وسبرت نهج السير مع كل شاحب
تحيلته وهما فوافيت غيره فالقيت
ونمت فخال النوم انى ناظر
ببنى وبين الناعمات مجاهل يفضل

حدير بعطاء المنى العبد واخر
واسفار وحي فى الدجى يشرح الصدر
تذكرت من نور الهداية لى ذكره
وقدرا تعالى ان احاذى به قدرا
وفوزا بخير لم اخل بعده خيرا
اصلى بظل الضال لى الظهر وللعمرا
فهيهات هيهات انتقالى ولا بدرا
طوال الليالى علنى ان ارى الفجرا
تردد ذى حاج ليدركها شهرا
عكفت بذاك الباب اطلبها عشرا
رفيق بروق عند ذاك الحمى دهره
ونعماء من ضراء لا تنتهى حصرا
على حد علم العقل استعمل الفكره
شرح علم السر اذ لم يزل قسرا
عن الحق فى كنى قصرت قصرا
ستور رسوم لم تزل للعلا سورا
لنا بعد ذاك السبر من احد خيرا
لقد ضيع الايام والفاضل الفجرا
من الامر لا ترفع بأمر ترى امرا
وليس به فيه فلا ترتكب جورا
فلم استفد منه سوى واحد سطورا
فما شرحت تلك المعاناة لى صدرا
فما رضيت امرا قط لى يسر الامرا
فى اخطار سبرى له خطورا
اليه وادنى داره دونها بصرى
لها الحريت عن ساحة الزهرا

ودوني ودون الملتقى كل شاهر
فيا املي دوني توقف فانني
ونادي صريخ بالرحيل واسمعت
اقى الحشر بعد النشر أفت منازل
سلاما متما من والى مجدد
مجيد القوافي الحاسرات وجوهها
خذوا من التبريح ذاب مفارقا
لكم فضل اصحاب النبي محمد
على احمد متى صلاة تأيدت

على ان يرى نسر السماء بها وكرا
رجوتك لي تعرضت الاخرى
خطوب الليالي ذا الندى لبني الغبرا
مقامي لأنني اليوم انتظر الحشرا
ايادي عرف لا يرى بعدها نكرا
من الذل يا ابن العز يعزى لى زهرا
وليس من الدنيا يعد ولا الاخرى
بخاتم اقطاب الورى الآية الكبرى
وخير سلام قد ابني العد والحصرا

همدوب تعرف صبرنا
 وهشيم تشهد عزمنا
 ي طمد صدد بها
 حيش برن سلاحه
 وسواكن تدري بما
 بلشرف كئنه
 زمنا رصدا نخوها
 وشر في رجاءها
 وظالما بررت لنا
 من كل فج يمة
 فتحاذتهم حيننا
 ليضر تلعب ميمهم
 حتى أتت اخبارنا
 وأقر ويك نفضنا
 وتحققوا أن لا نبنا
 نحى ليدى لله بر
 متوسلين ليه بالمهدى
 وخليفة لمهدى
 ما ان رحمتنا عنهموا
 بل طاعة لوليننا

كيف ارتكبتنا للمصاعب
 كيف أدرعنا للمصائب
 صيد القضفر للثعالب
 كالرعد اذ ما المزن صائب
 أنا لدى الهيجا تضارب
 وقع الصوافع فى المضارب
 نبدى العجائب والغرائب
 كالليث اذ نشب المخالب
 منها العسكاو الكنائس
 بل بسرة من كل جانب
 ترمى بهم رمى الثواقب
 فوق العمائم والعصائب
 من مصر تكتبها الجوائب
 الاعداء فى كل المكاتب
 لى بالمشقة والمتاعب
 فى شأنه نلقى المعاطب
 وجهة كل راغب
 عبد الله مفتاح المطالب
 جزعا زلا خوف التواب
 فليدر ذا كل الاجانب

في رثاء المهدي

دهتنا دواة يضرس القلب نابها
غداة نعى الناعون مهدينا الذي
امام المهدي المهدي افضل من دعا
ألا قد اصابنا اذ عدنا حبيينا
ليبك له الدين الخفيف وملمة
فقدناك يا هديا يتمنا بفقده
إلى الله انا راجعون هو الذي
هو الفاعل المختار باق وانما
وكننا نرى انا تفوز بوصله
فلم يبق فيها الآن ما يبتغي له
سقى الله ارضا ضمته بقاعها
عزاء إلى الصديق نائبه الذي
عزاء إلى الفاروق من كان دأبه
عزاء إلى الكرار ذى الناصر الذي
عزاء إلى آل الكرام اولى التقى
والحقنا المهدي في جنة العلى
الا ابلغوا عنا ضريح المهدي

ويوقد في الاحشاء نارا منابها
به ملة الاسلام جل مصابها
إلى الله مفتاح النجاة وبابها
وضاقت بنا الارض الوسع رحابها
ابان هداها حين تم خرابها
فقدناك يا شمس دهانا غياها
إليه نفوس العالمين اياها
نفوس الورى جمعا اليه انقلاها
بذى الدار حتى صاح فينا غرابها
بقاها فقد اضحى سرايا شراها
به فاقت العرش العظيم قباها
به الملة الغراء شد انتصابها
لدى نعم الدنيا الغرور اجتنابها
لديه يهاب البائرات ذباها
على الله هاتيك الرزايا احتسابها
ليذهب عن هذى القلوب اكتئابها
تحايا إلى الله الكريم انتباها

راق الصبوح ورقى الصهباء
ريبة نبوية ملكية
شمسية قمرية ما فض عنها
تشدو بأعلى صوتها طربا بها
معصومة عما يحرم كأسها
أن كنت من أنصار مهديها لنا
ما هديه غير الكتاب وستة
أجلى الصدا وأزاح أنواع الردى
أضحى به روض المعالي يانعا
أمت به آثار طه نورها
فالمجد فيه مؤئل والفضل منه
آياته نسجت بمحكم ناسج
أن فاه يوما فى الذى خلق العلى
ما قيس ما سبحان ما أحزابهم
الله اكبر لا ارتباب لهديه
والآخذون به لقد اعلاهم
مست هيه حيف ود لا رو
من أين تبدو ونختام ختامه
والعقل قلا فيه يشهد أنه
ونا عليه نتائج بانمكر تم
ذ نصره من ربه مشهود كل
وقتيلا يوم الطعان معجل
هذا وما قصدى بنظمي ان أض

مد كان فيها لعليل سند
مهديّة روحية وسحاء
ختمها فى ذهاب ورقاء
فغدت تناوب شدوها الشعراء
فأشربه ثم أدر هناك هباء
مهدي الورى من فاض عنه هباء
والثار كون لذاك هم كفراء
وسمت به فوق السما علياء
وعلا لرواد الضلال رداء
يعلو ولا يعلو عليه سناء
مؤمل والناس فيه سواء
ولواؤه بالنصر نعم لسواء
أبدت عجائب نطقه صدحاء
فى بحره أبدا لهم ادلاء
والجاحدون له اذن اعداء
أوج العلا فخرت بهم علياء
م به بديلا لو بدت بدلاء
والروم شاهدة وفيه كفاء
بعث الهدي أو ليس فيه خفاء
لأ عين النظر سرا له أضواء
العالمين وليس فيه وراء
أحراقه وبذاك لى أنباء
م إلى الاولى مدحوا وهم بلغاء

لكننى عبد متيم حبه
وكذلك لا الدنيا بمقصودى وان
بل مقصدى نظر بعين رضائه
نظر به يمحي شقائى وكلما
يا سيد السادات يا مهدي الورى
أن الزمان هو المحاول صرعتى
لى ذمة ارجوك نجح عهودها
أن قمت يا بن الطيبين بنا فما

استخدمتنى مدحه الآلاء
انا ذو احتياج لى اليه شكاء
عنى وان لى فى الهواء اعواء
كسبته حقا منى الاعضاء
منى النداء ومنك لى الارضاء
ويدى لدفع اذاه لى شلاء
وكذلك الآباء والابناء
هول له نخشى ولا حوباء

وصف قبة المهدي

سمت قبة المهدي مجدا وسوددا
 وصيغ من الاكليل تاج لها مها
 وقد نظمت زهر النجوم قلاتدا
 ولاحت بانوار الهداية شمسها
 بنية مجد شادها العلم والتقى
 فله معناها ومحكم صنعها
 ولم لا وقد ضمت لأفضل وارث
 خلاصة صفو المجد عن آل هاشم
 إمام له فى كل مجد وسودد
 محمد المهدي بشرى محمد شفيع
 يبشراه غنى بليل السعد مطربا
 به الله احيانا واظهر دينه
 وقد احرز الدين الحنيفى بالظبا
 وجاهد من قد حاد عن شرح أحمد
 ولما دعاه الحق جل جلاله
 اجاب النداء فالقلب بعد فراقه
 وقد جبر الله الوجود بأسره
 بهدى الذى قام فينا مقامه
 فقام بأمر الدين حق قيامه
 قلوب الورى تعنو جميعا طديه
 امام اجل الله فى الكون قدره
 مآثره فى الدين يعسر حصرها
 وقد اصدر الامر الكريم مخاطبا
 ونيطت بها الجوزاء عقدا منضدا
 وسال بها نهر المجسرة مزبدا
 بلحيد علاها جائر السبق مفردا
 فأشرق منها الكون وانقشع الردى
 يطوف بها الزوار مثني وموحدا
 وروضتها الزهراء بالفضل والندى
 خير الورى طه المشفع احمدا
 وأفضل من فى الخبير راح أو غتدى
 مآثر فضل ما اجل وامجدا
 الورى فى الحشر من طاب محتدا
 وقام على غصن المسرات منشدا
 وأولاه افضالا ونصرا مؤيدا
 ودمر جبارا طغى وترددا
 وقد فل جيش المعتدين وشردا
 لدار بها القوز العظيم مخلدا
 يذوب أسى والصبر عز وابعدا
 وأعلى منار الدين حقا وشيدا
 خليفته هادى الورى قانع العدى
 واعمل فى أهل الضلال المهندا
 فلا تنثنى الا وعنها انجلى الصدا
 وتوجه تاج القلوب وأيدا
 فغاية ما عندى القصور وقد بدا
 لانصار دين الله حالا ومبتدا

وقال لهم قوموا بكامل جهدكم
وبادر أبقاه الاله مسارعاً
ومن بعده الانصار تحت اشارة
فجاءت بحمد الله اعظم قبة
فيا زائراً تلك البنية لائذا
توسل ببشرى المصطفى متأدبا
وقف خاضعاً وأرخ القبول مؤرخاً

لنحرز اجرا فى البنية سرمداً
يباشر اعمال البنية مرشداً
له وهو بدر فى سماء العلا بدا
حوت كل مجد لا يعد وسوددا
بقبر حوى الفضل الجسيم المؤيدا
لتظفر بالحسنى وتبلغ مقصدا
بقبة مهدي الانام ترى هدى

رثاء المهدي

كيف التثام فؤادى المفطور
أم كيف الضنا عن مهجة
أسف على المهدي من سهد الصبا
لازال فى كنف العناية يغتدى
حتى انتهى لمقامه الاعلى الذى
واقامه المختار عنه خليفة
ورقى إلى كرسيه متسما
فدعا إلى الدين الحنيف مجاهدا
فتح الكفار ودمر الكفار فى
ومن اهتدى بهداه أصبح داخلا
ومن انتهى لسراه أمسى حائرا
ما شئت فيه من الثناء فقل ولا
ما أظنبت مداحه الا وهم
هو مجمع البحرين بحر شريعة
سر الوجود وترجمان الحضرة
والله اكرمه بطيب تحية
قد كان قوام الدجى متبلا
طلق المحيا خاشعا متواضعا
وتفيض بالجوهر الكثير يمينه
ويبيت طاو والكشف جوعا وهو قد
لا يبتغى جاها ولا مالا ولا
ما همة الا اجتذاب الخلق من
لما ابان لنا السبيل ولم يدع

ورقؤ دمع محاجرى المفجور
أحشاؤها تصلى على تنور
قد كان معصوما عن المحظور
بدقائق التبصير والتنوير
عنه النهى فى حيرة وقصور
خلعت عليه ملابس من نور
فى مشهد بالاوليا معمور
بالسيف والانذار والتبشير
كل البلاد يجيشه المنصور
سور الرضى اعظم به من سور
ضل الطريق بليلة ديجور
تأخذك لومة لائم مدحور
عن وصف بعض حلاه فى تقصير
طام وبحر حقيقة مسحور
العليا ومظهر عليها المستور
يحبو بها موسى كليم الطيور
متواصل الاحسان غير فخور
كهف الفقير وجابر المكسور
أبدا بلا من ولا تكدير
اعطى الكنوز بجمعها الموفور
عز الملوك ولا ارتفاع الدور
درك الشقاوة عميم والعور
ايضاح منهى ولا مأمور

والدين عز وأهله بلغوا المنى
ناقت إلى الذات العلية روحه
فمضى وأودع كل قلب حسرة
تبكى المساجد والمحارب فقهه
يا طيب أرض ضم جسمك تربها
يا آل بيت المصطفى صبرا وإن
فلکم تجمع في مصيبة جدكم
واذا توارت في الثرى شمس الهدى
أبقاه مهدي الاله وراءه
ويسوق للنهج القويم بحاله
هو ذاك عبد الله نجل محمد
وخليفة الفاروق نجم ثاقب
وخليفة الكرار سيف متضى
بطل اذا اقتحم الكتيبة غادر الا
فيهم قوام الدين بعد امامه
صلى الاله على ضريح ضمه

وتقبلوا في نعمة وجبور
وسعت لمقصد صدقها المزخور
وحشا الحشا ببلابل وسعير
ومواطن الازكار والتذكير
تررى بعرف المسك والكافور
جل المصاب وعز عن تبصير
خير الانام الحى والمقبور
فهنالك بدر هدى عظيم النور
خلفا يسير بسيره المشكور
ومقاله وحسامه المشهور
وسع الورى بالحلم والتدبير
بضياته يجلو ظلام الزور
بالحق يقطع هام كل كفور
نطال بين مخرج واسير
ويهم تمام ظهوره المأثور
أزكى صلاة في المسا وبكسور

أوميص رش أم سسى مصباح
 أم دم فى سدحى ناسر
 أم دى نمره تردى دشمه
 أم تلك عارفة الزبير اخى الندى
 ضخم الدسيعة ما خلت أبوابه
 من دوحه العباس عم المصطفى

إلى أن قال :-

هو فخر سنار الذى عظمت به
 وتواضعت عظامها لعلاه اذ
 من فطنة ونزاهة وشهامة
 يحنو على مسكنهم بتعطف
 فلذا تراهم يلهجون بذكره
 يا من يباريه بلا فضل أفق
 والله يقيه ويجعل سعيه
 ويمتتع الاوطان منه بعودة

وجسده عم بها جميع نواحي
 علموا بما أوتي من الفتاح
 وشجاعة فى الغارة الملحاح
 ويسد خلقهم بخفض جناح
 لا يطربون بغير هذا الراح
 أيسابق الباز بغير جناح
 فى كل ما يهوى قرين نجاح
 تهب الدواء بها لكل جراح

(٢)

شعراء الحكم الثاني

فى تحية العام الهجرى ١٣٥٥هـ

يا ذا الهلال عن الدنيا او الدين
طلعت كالتون لا تفلك فى صغر
سايرت نوحا ولم تتركب سفينة
خبر عن الاعصر الأولى لتضحكنى
خبر ملوكا ذوى عز واهبة
وارمق بطرفك من بغداد دائرها
سلها تخبرك كم ضمت مقابرها
سل دار عاتكة عن شأن عاتكة
وسل زيدة عن قصر تسواه
سلها عن الجيش جيش الله اين مضى
أخلى متابرها من فى مقابرها
وقبلها ابك دمشق انها فجعت
وسل معاوية عن شاتميه فكسم
بأسو جروح مقال ليس تؤلمه
هى السياسة تأليف وبذل وفدى
هى التى حكمها بين القلوب له
وعهد طيبة فاذكر فيه كل فتى
واذكر ليلالى لل فاروق أرقصة
وكم تفجر فيها المصطفى كرما
انى بكيت على ماض تكفل
احبتي ودعاء الحب مرحمة
فرب قول غليظ اللفظ باطنه
ترضون باللون والعلواء تقسم لا

حدث فان حديثا منك يشفىنى
طفلا وانك قد شاهدت ذا التون
وانت انت فتى فى عصر زبلين
فان اخبار هذا العصر تبكىنى
ان الملوك وان عزوا إلى هون
واندب بها كل ماضى العزم ميمون
من ذى حفاظ وبذل غير ممنون
فيها وعن سائل فيها لهارون
بعد الامين حسام الشهم مأمون
وكيف جرد من ماضى ومسنون
من كل متضح الآثار مدفون
بسادة عمروا الدنيا اساطين
عفا واعطى برأى منه مرصون
بالمال والمال من أجدى القرابين
واللين والصفح كل المجد فى اللين
على رقاب الورى امضى القوازين
جم الأياد من الشم العرائين
فيها التقى وحنان للمساكين
عطفا ورقفا لبادى الفقر محزون
للمجد الاثيل بفخر غير ممنون
لا يحزنكم بالنصح تلقينى
رحمى ولين بفظ الروح مقرون
تدين يوما لراضى النفس بالدون

والمجد ينأى فلا تدنو مراكبه
تفرق وتوان واتباع هوى
والحادثات تريككم كل آونة
فلا اعتبار ولا رقى لنازلة
بليتم وبلايا الدهر ان نزلت
نامة جهلت طرق العلاء فلم
فللمدارس هجران وسخرية
وللفاسد اسراع وتلبية
والناس فى القطر اشياء ملفقة
فمن غنى فقير فى مروءته
ومن طليق حبيس الراى متقبض
وأختر هو طوع البطن يبرز فى
وهيكل تبعته الناس عن شرف
يحتال بالدين للدنيا ليجمعها
أحبتى هى نفس هاج هائجها
هزرت فكيم سيوفا فى مضاربها
ان الحياة لمضمار اذا ازدحمت
لها وسائل ان شدت أواصرها
تواضع وتوان واتباع هوى
فاحسنوا انما الاحسان واسطة
ثم انشروا من شريف العلم أنفعه
العلم زين وبالاخلاق رفعته
ان الخلائق ان طابت منابتها

من الجبان ولا ينقاد بالهون
إن الهوى لهوان غير مأمون
ان التقاطع من شأن المجانين
ولا احتياط ولا رحى لمغبون
فالصبر يكشف منها كل مدفون
تسبق لغاية معقول ونخزون .
وللمتاجر ضعف غير موزون
ولا الثقات لمقروض ومسنون
فان تكشف فعن ضعف وتوهين
ومن قوى بضعف النفس مرهون
فاعجب لمنطلق فى الأرض مسجون
زى الملوك واخلاق البرازين
كالسامرى بلا عقل ولا دين
سحتا وتورده فى قاع سجين
من الشجون فلم تبخل بمكنون
عون الطريح وارهاب المطاعين
به الرجال تردى كل مفتون
تبين المجد فيها أى تبيين
والصبر والحزم ازكى فى الموازين
للعالمين به فى كل تمكين
فانما هو معنى كل تمكين
و منه يد فى حـ
كانت لكسب المعالى كالبراهين

استقبال لورد النبي

وصبقلها التثبيت والثبيت
لنا في كل حادثة عظات
اصيب به الاطبة والرقاة
وقد خارت كهولهم فماتوا
ولا أدري أهم فيه نعمة
يلذ لها من الخبز الفتات
وهم في يوم أزمته الحماة
وهم في يوم شدتها الكماة
وهم في نحر حامدها الرماة
وارجفت المعاهد والجهات
تضم بها المنافع والشكات
تطمأت الامور الجانحات
نفوس للمعالى جائعات
رفيقات الامور لك انصلات
بها حجج النبوة مشرقات
وان قامست هناك المعجزات
رجال للهدى احيوا وماتوا
وخير الواعظين بها رفات
بواد ارض ساكنة مسوات
وبعض من ملابسهم عراة
تعود به على الشعب الحياة
فتحموه البقاع الناهضات
تسير به الامور الصاعداات

هي الاخبار آفتها الرواة
وفي الحدثنان آلام . ولكن
تعلغل بيننا للعجين داء
فلا شبابنا جدوا فنالوا
ولا أدري أهم للقطر يشرى
فما لنفوسهم ذلت فطلبت
وما للناهضين بها استراحوا
وهم في يوم زينتها رجاء
وهم في يوم ظلمتها بسبور
تراعت مشكلات الدهر فينا
وجاء اللورد يرقل في ثياب
اذا ما قيل قد اوفى النبي
ألا يا حامل السيفين انا
دخلت (القدس) يوم دخلت برا
وسرت على جلالك فوق أرض
ولم يعجزك ان حيت فينا
وسرت بها يروقل في ثراها
فهل احرزت من عظة نصيبا
مررت على الديار وجزت فيها
فبعض من تكاثفهم عراة
فهل للساكنين بها نصيب
وهل اوليت هذا القطر خيرا
وهل قررت ان يبقى وبرقى

وعهدى ان ايديكم جميعا
وانك ان اعطفت فينا
لنا بالطب جهل اى جهل
وكيف يجوز نصب السبق قطر
شباب القطر فى هف وشوق
هم القوم الذين على هداهم
ومنهم (كاتبون) وهم كرام
بأيديهم ، وان كانوا قليلا
وفينا اذ نسام الهون عزم
وفينا فطنة كملت وطابت
فضع مجد البلاد على وداد
على حكم التسامع والتفاني
على حسن التفاهم من رجال
روض بالحدود جامحهم وايمن

عوامل فى الحوادث ناصبات
ايادى تستقل بها الهبات
وان الجهل من شعب ممات
جفاء مع المجامين الاساة^(١)
إلى سبب تزال به الاذاة
يهدب ناشئ وتربى فتاة
ومنهم وحاكمون وهم قضاة
مفاتيح القلوب الحاكمات
منيع لا ثقل له سبات^(١)
وفينا حين تبصرنا أناة
تقاد به القلوب التافرات
تدين لك النفوس الجامحات
كهول قرح وهم لمدات
بأن الامر تصلحه العادات

نأت بك عن ذات الحجاب الرواسم
 مدامع تفريها من البين مثلما
 جراح بأعماق النفوس تغرنها
 وائين ولا كالثاكلات ومهجة
 عيون ولا كالمهفات تألبت
 ترفق فما يجدى البكاء ولا ارى
 أرانا هجرنا الدين والدين معقل
 أرى البدعة الحمقاء ارخت سدولها
 أرى شرعة الاسلام رثت حبالها
 أرى زهرة الدنيا وشرح شبابها
 ارى ما ارى مذ ساد في الناس واهن
 سلام على الدين الحنيف وفتية
 تبدل ماضينا ولم تبق سنة
 اذا شئت يا ذات النايا تشاهدى
 اغاروا ، وقد انجذت ، لما تحولوا
 فبيناهم للامر والعرض سالم
 يقال رجال ، لا وربك انهم
 نفوس ابت فعل الجميل لاهلها
 فما روع العلياء الا عمائم
 أجل نظرا في من مضى من رعيننا
 تخلى لهم عن امره الدهر خاسئا
 رحن الحرب في ايديهم وزمانهم
 اذا نال من في الغرب سوء تراكضت

فقلبك مقسوم وبينك قاسم
 همت من حصار المرسلات غمام
 وهبهات منها ما تفيد المراهم
 براها حنين قلده الحماهم
 عليها جيوش الهم لازم
 من الخير ما يلقاه في الناس قائم
 فما خير سيف لم يؤيده قائم
 على السنة الغراء لين الصوارم ؟
 وراحت بامواج الخطوب تلاطم
 تبدل بؤسا ، بنس تلك المقارم
 وخارت عن الاقدام منا العزائم
 على عهدهم ترعى النهى والمحارم
 وصار لنا نعد المواسم
 بينك غسل مر الليالى فهاهم
 عن العهد واستولى القياد سواهم
 اذا بهم يفضون والانف راغم
 جديرون حقا ان يقال القواطم
 وايد الى الاعداد نعم الممازم
 تساوم فينا وهي فينا سواهم
 فهم عند ناب الثابتات ضراغم
 وتسلم دولاب الحياة الأعاجم
 حليف وان هم سالموا فمسالم
 سواجبه واهتز في انشرق عالم

يدرو عبد كؤس ذكرهم عسى
 كأن لم تكن تعنى معانيهم ولم
 بما نعم عيش دأشاه و مرة
 وكش ترى دليل من منعت
 وقد نبغت يوما بأندلس لب
 وحسب العلا أنا عقدنا لواءها
 طلى صروح من آل هاشم
 وكيف يداني الناس محمد احمد
 من الناس ، لكن مع صنائع برة
 ملائكة الرحمن أحراسه ومر

نريكم اخا البأساء في البؤس ناعم
 يبوأ سرير الملك منهم خضارم
 بعداد حيتها يعود يوسف
 وبالسند مندوب الخلافة حاكم
 شئون أبانت للفرجة .. ما هم ؟
 فصار لها بعد الخفاء معالم
 فقد ساد قدما في الخلائق هاشم
 واحمد نودى حيث جبريل واجه
 ومن ملكوت الله ، لكن سماهم
 مقاتلة الانصار جند مقاوم

في استقبال الورد أللنبى

وأحسن الرحمن من كل حسن
سدت به دهبى وطرسى
بروح من المهيمن قدسى
مشرق فى الزمان اشراق شمس
لا لحرب بمدفع أو بترس
فوق عين من البلاد ورأس
مثل مصر ومثل روم وفرس
عكست نجم سعدا شر عكس
بين غير من الجياح وشعر
وكذا الجهل والنصب ينسى
مطبق كالدجى وفقر وبؤس ..
ليد تعمر البلاد ورأس
فى الهوى والضلال عالم رجس
اقدر للعالمين من غير لبس
ينمر حكمه بين عين وأمن
مه معب فحمة كرسى
ولود وهو أصيب عرس
ألف شتات بين يومى وأفسى

أنا أهوى الكمال فى كل نفس
وإذا جاشت العواطف فى نفسى
فاتح القدس قد تغمدك الله
لك عزم من القضاء وذكر
جئت تستعرض الصفوف احتفاء
يا أجل القواد فى الحرب شرف
كان تاريخها القديم جليلا
ثم دار الزمان دورة نحس
فدرجنا على الصعيد حفاة
قل من يذكر الحقائق من
فاسعدونا فقد شقينا بجهل
وافتحوا فنحن أحوج منكم
واسندوا الحكم للكرام فمنا
وادفعونا إلى الامام فانتم
وخذنونا برأفة وبيأس
عشت بالورد للبلاد وعاشت
وليدم بيننا التعاون والاخلاص
ثم لو تنطق البلاد لقالت

فی استقبال «لورد ألبی»

ایها القوم لا تجروا الذیولا
سمتمونا العذاب . ضیقم الأ
ن أردتم اصلاحنا . قد فعله
نبا . رحیم اودی بنا الفقیر
فتبجح ن برتضی بن دهر
کی يوم تبوءت حب
عبد لا یلهی و قد جهل
تک عشر من حجه و حسی
و نذیر من حقه و دهر
و کسب لا شفاء کسب
و یج و یس و دهر و نسی
جمع جمع . أربف فقه حتی
نرد یرب . یقصم حلا
و دهر نرد نسی حبه
حل من مکت . حین فحر

یأنف الحر أن یعیش ذلیلا
رض علینا حتی هوینا الرحیلا
فاعذورنا اذا ظللنا الدخیلا
فعطفا فقد صبرنا طویلا
ونری مالنا لکم مبذولا
من دهر و حسیکم تبیلا
فست صبی من ثقیلا
و تفص و شفاء و حسی
و و اشف و یرل جهولا
سلا ناب و حسی حسیلا
یوم وافی یحمر سیفا صقیلا
أصبح السید النبیل ذلیلا
بن مصر ویننا موصولا
ونراه مدونا ما قبیلا ؟
الذیل واستمطر العذاب الویلا

وحدة وادى النيل

فى قصيدة يهنيء بها صديقًا دخل الوزارة :-

ومن طلب الموت نال الحياة
وزيرهم اليوم نعم الوزير
فخرت به لكريم الخصال
ويعجبني فيه حسن الجميل
نرد مضاعفة دون من
وما كان عرفانه للصنيع
فان هب قوم يعينونها
فليس جزاؤهم أن تتول
فما عتق العبد أن صار
وأما تقاضى اخي أجره
وقاسمى بعد خوض الوغى
فما كان للرحم ما قدمت
ولو كان مغنما من متاع
ولكن حرية ان تشارك
وهل يشرك المرء فى اهله
امن عنده فرصة الانطلاق
هبوا أنها ضبعة ضخمة
يشار ككم ملكها بالشيوخ
انتهون فى تلك أو تأمرون
ستغدون مصالحكم طوعه
فلسنا على أرضنا سادة

وكلل بالنصر والعافية
فتى الحرب والظن البادية
واني فخور بآبائيه
فكل يد عنده عاريه
ودون انتظار يد ثانيه
لينسبه أتمه العانيه
لأرجاع حرية غالبيه
إلى من أعان على الطاغية
عبدا لكف مدلة حافية
على نجدة ضد أعدائيه
غنائمها وهى أسلابة ..
يسداه . وما فضل اخوانه ؟
هانت به القسمة الراضيه
بها لم تعد أبدا ماهيه
وتؤبى الشراكة فى غانيه
يفضل قيدا بلا داعيه ؟
مساحتها مثل افرقيبه ..
شريك بعصته الواهيه
بغير شريككم الداهيه ؟
وطوع مطامحه الناييه
إذا لم تك السلطة العاليه

وقولنا . في صر حدود
 ترى العاد في بيته سيدا
 ليس بمرادك نحن يعني
 وليس لاحد كونه تعـ
 وخرجه . نقول له
 وخرجه يدفع الساقية
 انصاه عرى القرية له
 وليس له في وري دتبه

الشرق جنة الله

بالامس ، عاودها شع وتقتير ؟
 ما بالها لا تواتيها المقادير ؟
 فحدثت عن اباديه البواكير
 شعرا على مسمع الدنيا الشحارير
 وأينعت في روايتها الأزامير
 بها من الاثم والعدوان تطهير
 كما تلالاً في (اقداسها) (الطور)
 رسالة الله فانجابت دياجير
 ومن فلاسفة الاسلام تفكير
 والغرب في جهله المضروب مغرور
 أليس يرقى بأى الله مسحور ؟
 حظ له في ضمير الغيب مسطور
 كما تحط على الزرع العصافير
 ولا لحكمتها فيض وتفجير

يا صاحبي مال دنيانا التي بسمت
 وجنة الله ، حيا الله جنته
 في الفجر من عمر هذا الدهر نسفها
 وأنزل الحكمة العليا ترجمها
 تدفق النور من شماء قبتها
 وفجر الله فيها كل دافقة
 فأشرق (البيت) في بطحاء (مكتها)
 وأبلغ الدهر (عيساها) (وأحمدها)
 منارة الحق من (فرقانها) سور
 قد أرسلت نحو أهل الغرب ومضتها
 رفته بالنور حتى شد واهنه
 واليوم اقبل هذا الغرب يكلؤه
 سطا على جنة الرحمن ينهبها
 فما بها لترانيم الطيور صدى

ما بالها لا تواتيها المقادير ؟
 على هشيم روايتها الاعاصير
 وما سها الله بل نام النواطير
 لعاد للشرق مجد منه مقصور

اني لأسأل هذا الدهر في ألم
 فلا محيب سوى (صوت) توقعه
 خيلة الله لا زالت بها رموق
 لو أصلح الشرق نقصا في زعامته

وطنى

وطنى شقيت بشييه وشبابه
قد اسلموك إلى الخراب ضحية
وطنى تنازعه التحزب والهوى
ولقد يعاني من جفا ابنائه
بالامس كانوا وحدة ففرقت
واليوم هم شيع تنافس بعضها
حتى الذى ثرف الدماء مسخرا
كم أوهم الدهماء فيه فأمثلوا
ومث ذرافات الحجيج لبابه
وطنى بيعث به العدو ولا ترى
واذا انبرى ليزود عن سودانه
لم يعدم الشر الدخيل جماعة
وطنى أصيب بمعشر آواهمو
لو طهر السودان من دخلائه
لطفى على السودان من دخلائه

زمن سقاك السم من اكوابه
واليوم هل طربوا لصوت غرابه ؟
هذا يكيد له وذاك طنى به
فوق الذى عاناه من اغرابه
فسطا المغير بظفره وبنابه
فرع برقها لمسود أو نابيه
كالطير حضوا خشعا بركابيه
فى العالم الثانى جزيل ثوابه
فكأنما البيت الحرام يبابه
من دافع عن حوضه ورحابه
البارع المقدام من كتابه
لترتل الامداح فى محرابه
وأظلمهم فسعوا ليوم خرابه
لتطهر السودان من أوشابه
لطفى على السودان من أحزابه

ثورة شاعر

عز ما قد (تريد) أو (لا تريد)	أيها المفلق الحكيم الرشيد
واهمن العزم والشعور بليد	عز ما تبغيه فالشعب غاف
وعن المجد والكمال تحيد	أمة للخراب تسعى حيثما
وله الجبن والوار نشيد ؟	أيفيد النشيد شعبا قنوعا
وكم اخفق الدعاة وصيدوا	كم دعا قبلنا الدعاة إلى الحق
والجثث والنقود ، النقود	صادهم صائد الانانية الحمقاء
ولكم كاد للأبي عبيد	أمة تضيع بينها
وبنو القطر في الضياء هجود	يعمل القوم في الظلام خفافا
عبد النفس سعدا وسعيد	فشلت أمة يقوم بنوها
وارتضى الذل والهوان وليد	هام بالجاه والثراء كبير
وممات الشعوب هذا الركود	قنع الشعب بالكفاف ركودا
لا نزوع إلى النجاة حميد	لاطمساح إلى العلاء أكيد
وعداها النهوض والتجديد	أمة خيم الحمود عليها
يومها والغد الغد المنكود	أمسها قائم وأقم منه
لا جليل من الفخار جديد	لا قديم من المحامد يوحى

من دموع اذا الدموع تفيد	آه يا موطني العزيز عزاءا
ان يكن احسن العزاء قصيد	آه يا موطني عزائك شعري

بين السخط والرضا

لم تجلب سوى الضر	سئمت عبادة الارواح
في علني وفي سرى	وعدت أهيم بالاشباح
محالا واضح العسر؟	أليس (المثل الاعلى)
اذا همت به عمرى	اذا فاتهموا عقلى
منال الكوكب الدرى	كما اتهم الذى يبغى

لم تجلب سوى الضر	سئمت عبادة الاشباح
في علني وفي سرى	وعدت أهيم بالأرواح
منى نفس الفتى الحر	أليس (المثل الاعلى)
في أحلامنا يسرى	كفاني طيفه الذهبى
أحسوه على الأثر	كفاني الظمأ الروحى

كاد يضلنى فكرى	الهى عفوك السابق
وهذا السخط كالكفر	ألست (المثل الاعلى)

ما للمساجد لا تؤم حزينه
وديار فسق فتحت أبوابها
الله اكبر كم سعت ابتاؤنا
يا معشر الاسلام عفوا لم تكن
أهل الشريعة ما الذى نرجوه قد
هذى شريعتكم تنن لضعفها
الدين دين الله . هذا قولكم
يا رحمة الله العلى تنزلى
يا صاحب الشرف الرفيع ومن له
ماذا أقول وفيك كل فضيلة
نور بدا للعالمين به الهدى
يا معجز الحكماء والبلغاء
بالحق قلت وأنت اصدق قائل
نطقك بك التوراة وهى قديمة
وبك الحواريون قديما بشروا
بلغت ما أوحى اليك وما اثبتت
ما خفت جارا وكنت مؤيدا
أعلنت دين الحق بالترغيب
صلى عليك الله ما ليل دجا

تبكى عليها السنة السمحاء
علنا ويات يؤمها الانباء
نحو النساء وكلنا شهداء
ترضى بهذا همه شماء
عظم المصاب. بكم يطول رجاء
وجميعكم بدواها خبراء
لكن نسيتم انكم نصراء
فالمسلمون جميعهم ضعفاء
انتسب العلا والعزة القعاء
لهجت بها الكتاب والشعراء
فتفتنت فى وصفه البلغاء
والقصحاء عفوا هكذا العلياء
استشهدت بحديثك الحكماء
واستشرت بظهورك القدماء
وتواترت بمجيشك الانباء
عن الهدى اذ كذب السفهاء
حتى علوت بالحضارة باعوا
والترهيب فانقادت لك الآراء
او ما بدا فجبر ولاح ضياء

يا من رأى طوق الهلال وقد بدا
 اكرم بطلعته وبهجة نوره
 شبهته لما بدا متجليا
 وغدت تحف به النجوم كأنها
 يمشى على هام القرون مجددا
 أنت الذى تهيب الخيل لشاعر
 ولانت احدى بينات الهنا
 أدركت اسرار الوجود فحزنتها
 هل انت تخبرنا عن القوم الى
 القوا الى الروح ، ها انا ناقت
 كانوا اولى تناجى رفقنى
 هم انهجوا سنن الفضيلة واضحا
 اخلوا بأعتاق المكارم أخذه
 يترفعون عن الدنيا او يرى
 لا يرتضون الضيم شرعة مورد
 شادوا لكم رفيعا سماكه
 ذهبوا وقد أدوا الامانة حقها
 انا غبرنا بعدهم فى هجعة
 يا عام انا آملوك لخيرنا

يهدى لنا عاما اغر مشهرا
 اذ بشرتنا ان سنحمد مخبرا
 فى افقه ملكا نبوا منبرا
 حفل لتسمع فى الخطابة اسطرا
 عصر الشبية لا يعمل من السرى
 حتى يرى فوق المجرة طائرا
 من ذا يراك ولا يسبح من برا
 ورايت من آياته ما لا نرى
 فلعلنا ان نستفيد تذكرا ؟
 بعض الحديث فهامس ذكر الورى
 قد ادركوا ما أملوا بل اكثرا
 هم اخرجوا علما غدا متفجرا
 وتربعوا من عزهم فوق الذرى
 سبل الدماء على الاباطح انهرا
 شأن الابى ، ولا للوان معشرا
 وبنوا لكم مجدا اثيلا اكبرا
 ونما اليكم ذكرهم متعطرا
 شتان ما بين الثريا والثرى
 املا ينيل الحظ فيك موفرا

ندعى من سلاف الخمر هات
أترضى ان أضام وانت حر
فحدث عن بنى النيلين قوما
بأننا نسمى حسبا ومجدا
يعز عليهم نجبا ولسنا
وان لا يبصروا فى النيل قرنا
يجود بنفسه للموت حبا
فليس الجود بذل دريهمات
بل الجود الممات على بلاد
سلام الله يا عهد المواضى
وعهدا فيه جبريل نبى
ويدلى حجة من بعد أخرى
يقول لهم اتيتكم رحبما
هلموا آمنوا بالله حقا
فلاقى منهم كيدا وظلما
ولما أن رأوا منه اضطبار
بكل مدجج فى زى ليث
صليب الرأى قاسى القلب
قتال دائم غزو وسبى
وقد عبدوا الحجارة وهو كفر
وساقوا للقتال الجيش لجبا
وكل مقسم منهم يميننا
فلاقى جيشهم جيش كريم

وشنفتى بذكرى الماضيات
وتسمع ان تلين لهم قتاني ؟
بأدنى النيل او أعلى القرات
إلى ما بالجزيرة من رفات
مثالا للشجاعة والثبات
ولا بطلا يعد من الكمات
بنيل الباقيات الصالحات
لمسكين على قيد الحياة
ليحبا أهلها بعد المات
وايام الظبا المرففات
يجىء محمدا بالبينات
تنزل لها جميع الراسيات
لاجمع شملكم بعد الشتات
تعالوا للسلامة والنجاة
وعدوانا . فأف للطفاة
رموه بكل جبار وعات
صؤول مغرم السيئات
عنيد لا يعمل من الأداة
وأزلام وواد للينيات
وقد سجدوا إلى عزى ولات
يزمجر كالبحار الزافرات
برأس محمد للقوم آتى
به الروح الامين من الغزات

ومن يك جنده جبريل منهم
وما زال النسي بكل فج
وينهى القوم عن وثن وثار
إلى أن آمن الكفار منهم
وأصبح كل جبار عنيد
رفيقا لب شهيد حليما
فدين محمد دين الائتلاف
هو الدين قد عم نفعنا
كفى فخرا به اثلفت قلوب
فأصبح من بمصر اخا كريما
نقد حسنت به الدنيا وراث
فهلل يا زمان به وكبر
وأبلغ أمة بالشرق كانت
وكانت للعلا فيه منارا
بان يتمسكوا بالدين حفا
وأن لا يياسوا ما دام فيهم
فمولد أحمد في كل عام

بلا سيف يفوز ولا قناة
ييث الدين يدعو للصلوات
ويبهزم بتلك المعجزات
مسلمات القبائل واسلمت
أخا رفيق وكان من القناة
كريم النفس من خير الهداة
دين مسروعة والمكرمات
وقام على الثورة والاناة
وكانت قبلة متفرقات
لمن بالشام أو من بالفرات
كما ازدان السماء بالنيرات
وحدث وافتخر بالباقيات
تظل الشرق من كيد العداة
محطبا للعلوم وللغات
وأن لا يعأوا بالترهات
دم يسرى من الشم الأبيات
يحدد للعهود الماضيات

عيد اغر محجل
والناس في شكر الاله
ارض بها البيت
وبها ثوى خير الانا
فالروض يسلم عن اقا
وملائك الرحمن تصعد
يا خير من عند الشدا
اشمل بلطفك جمعنا
وافض على نادى المدارس
واجهل بفضلك اهلك
(شوقى) أجدت فليت
أتغزل ؟ أفديك من
ما النأى يضرب والمغنى
بالذ من سجع سجعت
قل لى أهذا ما ابتكر
أم ما يبيح البحر
ان كان ظييسك يسيح
أو كان يسبى العاشقين
أو كان يسحرهم بلحظه
فاعلم - بأن ييسانك
هاروت يلثم لحظه
لما انتضيت سلاحه

والخير فيه أجزل
ارض الحجاز تهرول
العتيق الزاهر المتهلل
م الهاشمى المرسل
ح والرئى تهلل
بالدعاء وتنزل
ند والنواب يسأل
يا رب فى من تشمل
صالحات تهلل
فى نعمة لا ترحل
شعري ما تقول وتفعل
مترنم يتغزل
فوق ذاك ير تل
مرددا يا بلبل
ت أم الرحيق السلسل
ى له السجود وجسرول
حمى العقول ويخجل
أغن أغيد أكحل
رشا متدل
السحر الحلال وافعل
متواضعا ويقبل
فالكل بعدك اعزل

حى عيد الجهاد

هو عيد يخلد الاعياد	حى عيد الجهاد توف الجهاد
التأم شمل البلاد والوفد قادا	واستعد فرحة البلاد غداة
الشعب قد قرر الجلاء فننادى	واستبى خيبة الدخيل غداة
دان لا نبتغي سواء مرادا	يوم ثبنا وكان رائدنا السو
قويا ولم يزل يتهادى	كسر القيد يومها فمشى الركب
طل بأسا وعدة وعنادا	صرخة الحق لن يقاومها البا
ب نذير لمن طغى أو كسادا	وقد سمعنا دويها هو فى الغر
جهادا ولم يك استنجادا	ورأينا مضاءها بات فى الشرق
يفرق الانجليز منه سدادا	وحدة التاج والدفاع سلاح

ضالكي يلبس البياض السوادا	قل لمن يرفض السيادة اغرا
سوف نحيا اخوة أندادا	ان معنى سيادة التاج أنا

يهدى مجاهدا فأجهادا	أيها الوفد لا عدمتاك من وفد
ولا كنت واهيا متفادا	لم تكن مغرضا يساومك الخصم
طالما السيف فارق الاغمادا	ليس للصبر والأناة مكان
لك بل كان غاربا ونجادا	أنت سيف الجهاد والشعب عمد
بلغتة حيننا المزدادا	أنت وفد البلاد للملك الصالح
دام للنيل كعبة وعمادا	ناد واهتف به مليكا مقدى
لرجالات مصر منه الزادا	قم واصل جهاد شعبك واحمل

لم نخن عهدكم ولا عنه حادا	قل لهم اننى امثل شعبا
التحرير نخال سادة امجادا	قد ربطنا كفاحنا نبتغى

فوجدناكم اهلا وصحبا	ولقينا حجة وودادا
ايها الضاربون تيها على بيدا	اغراضهم هوى وعنادا
قلتم الانجليز قد وعدونا	وركبت رؤسكم آحادا
وانخذتم من الحرير فراشا	وافترشنا من الاديم مهادا
حبذا ذا العذاب لا بد يحلو	عندما تصبح البلاد بسلادا

لا نريد العدا معكم ومعهم	انما لا نريد الاستعبادا
ابن منى ضميركم فأتاجيه	فقد يقدح الزناد الزنادا
قد رسمنا طريقنا ومضينا	وبلغنا من المراد مرادا
نخبرونا بما رسمتم لتستجلى	طريقا سلكنموه فرادى
حكموا الشرق ايناه وبالله	سيلا ومنطقا ورشادا
وسلوا الانجليز أى البلاد	واعمدوها فانجزوا الميعادا
أى قطر سلوهم خرجوا منه	وبقوا أسياد أسيادا

فيم تنساب كوثرنا وبلخينا	وعلى من تتيه أو تنهادى
أيا النيل ؟ قف ولا تجر فى	الوادى إلى ان تحطم الاصفادا
وإلى ان يعود واديك حرا	يتغنى فيحن الانشادا
خدع الظالمون شعبك حتى	جندوا منه من يخون الضادا
بيننا عاث ذا الدخيل فيها	كما عاث فى البلاد فسادا
فرق الشمل واستغل من الاهواء	ما شاء بأسه استبدادا
سم هذا الخلاف ان شئت اشرا	كا وان شئت سمه إلحادا

وحدوا الشعب ان اردتم جهادا	وانزعوا من صدره الاحقادا
وانما الخلف والعدو مقبم	حجة للعدو كى يتمادا

اين دار العزيز

اين دار العزيز للمدايح السا
كم اناجي بها الحياة كما ناجي
جنة النيل قد حباها الله
رى اناخت له المصائب ركبا
حبيب في وهدة الليل حبا
من فيضه حدائق قلب

اجري يا قطار واطو القيافي
ذبح شوقا إلى الشمال من الوا
وحدا بي إلى الكنانة ما يحدو
أين مني منابع كن للسودان
ادب رائع وفن طليق
وطامح إلى العلا ونهوض
وكفاح موحد وجهاد
اوفطري وانهب الارض نهبها
دى فمن لى بهم اهيلا وصحبا
بمن هام في الكنانة حبا
وردا يعب منهن عبا
وسع العلم والمعارف رحبا
عالج الشرق من أساة وطبعا
أيقظ الشرق السبات فهبها

ان قيثاري اذا ذكر الوادي
لم أخاطب بها الذوات بمصر
واناجي بها (البشارى) فكم ذاد
رجل كان في المواقف كالغولاذ
كان كالطود شامخا وكاسد
كان والله للخيل قذا العين
لأقول الوداع مادمت قد خلقت
لا أقول الوداع ما دام فينا
نغنى فتبعث اللحن عذبا
لا ولكنتي أخاطب شعبا
غبورا وعن حمى النيل ذبا
صلبا وكالمهند غربا
الغاب ثبنا وكالمقادير ضربا
وللاهل والعشيرة هدبا
(م) (جاد) وجاد مثلك قلبا
قائدا كالبشارى عقلا ولبا

حتى مصر وهنها يرجال قد
انت يا مصر كعبة الشرق مذكا
اشرق النور من ربك علينا
ثم اصفى على المشارق فاهترت
قد دعوا الشرق للجهاد فلسي
ن وما زلت للمشارق قطبا
فمشينا اليك نخشع عجا
وقامت تناهض الغرب حربا

ايها الغرب هل علمت بأن
ان يك الشرق قبل ذلك يحبو
واعلموا انه افاق فالفاكم

الشرق ما عاد في حذائك كعبا
فاعلموا انه عن الطوق شبا
وحوشا تعيش نها وغصبا

من رسولى إلى الطغاة فكم ذا
أفسدوا جادة الطريق ولو لا
ها هم الغاضبون قد تركوا النيل
غرسوا بذرة الشقاق بواديه
قل لهم خاب سعيكم فلنرونا

ضاق صدرى بهم وقد كان رحبا
هم قطعنا الطريق جريا ووثبا
جديا ولم يك النيل جدبا
ليجنسو من اللسائس ابا
نحن بعد الجلاء اهل وقربى

وقد خبرنا طريقكم فغويننا
وصحبناكم طويلا فما نلنا
قد نزلتم على البلاد شقاءا
أى عقل يميز للذئب دعوا
سائلوا وفدنا الامين يهيككم
كل صوت عداه كان نشازا
وقف الشعب خلفه وقفة الآ
إن يك الموت دون مطلبه الاسمى
فتية اوقفوا دماءهم لله

ووجدناه كالثنية صعبا
سوى الفقر والجهالة صعبا
وحللم بها عناءا وكربا
على من فرى فأرداه قضبا
عن امانى البلاد عجماء وعربا
لم يمثل سوى الخوارج حزبا
ساد يستجمع القوى ليلذبا
(م) ير العيش دون ذلك عيبا
نذرا ووحدته النيل قربى

إن سوداننا هو العين للنيل (م)،
غضب النيل فى متابعه العليا
وحد النيل بيننا فسقاها
هو جل الوريد بينا متى تبره
هو سر الحياة بحده التاريخ

وكانت له الكنانة قلبا
فثارت له الكنانة غضبي
وسقانا من المحبة نجبا
نقضى الغداة والله نجبا
حتى غدا اليها وربا

وحدة النيل مبدأ كان للسو
ليس فى منطق السياسة الاها

دان جدى وكان أطيب عفى
طريق يرى وصوت يلبنى

سفر الجهاد

فى تأبين على عبد اللطيف

لأن بكى عبرى على فقده كى على عيش من بعده
نقد كادح صعب فى عهده وبعد كاد رديه فى مهده
(على) وحشد من صعبه عيش من على حبيده
ومن صعب صوت فى أرمه عيش رمان على محبه

فما الموت ان تذهب الروح عنا وان يغير المرء فى لحده
ولكنه أن تعيش طليقا ونيلك يرسف فى قيده

لقد سطر الخلد نارا تطفى فأورى له الخلد من زنده
وخاض إلى المجد بحر الدماء فشق الطريق على بعده
وزلزل ركن الطفلة بعزم تحول المنية فى حسده
وقارع تحت (الواء) الخصوم فلم تلق بأسا إلى صده
ونادى بوحدة نيل البلاد مناداة شيخ إلى ولده
وقال الجلاء فكان القداء جوابا تلقاه من (سعه)

ألا ليتنى كنت فى قيده وباليمنى كنت من جنده
وباليمنى بين من شردوا ليشفع إلى النيل فى سده
وليت الردى اذ طواهم فرادى طواني جذلان فر برده
(على) وصحب (على) تساموا فأواهم الله فى خلده

تميت لا راغبا فى حياتي ولكنتى غرت من زهده
على ، وهل مثله من شجاع لبيب المدافع لم يحده
وهل كان من قبله فارس وهل جاء مغوار من بعده

يضحي فكان من مثال البطولة
ولم يرتعد لوعيد الدخيل
لذلك فليعمل العاملون
لم يشنه الهول عن قصده
ولم يلق بالا إلى وعده
والا فليسوا على عهده

فيا شعب دونك سفر الجهاد
ويا شعب ان مات ذاك الزعيم
سينصرك (الازهرى) الرئيس
ويدفع عنك افتراء الدخيل
فيا شعب كن خلفه صامدا
ويا شعب دونك حق سليب
بعيد ولكن اذا لم تكافح

لقد اوشك النيل يجري حمماً
تماسكه غاصب مستبد
وسخر من بين ابنائه
وأحببه بباط الضرائب
ففى مصر أعوانه ساخرين
وهاهم هنا يدراون الدخيل

لقد أوشك النيل يجري دماء
فيا شعب دونك عيش مرير
ودونك يا شعب هذا العدو
ويا شعب دون العدو الرصاص
ودونك ان تستكين والا

فيزداد وجدا على وجده
لقد وضع الشوك فى ورده
وناهيك منه ومن كيده
وكان الدليل على حقده
فاحشد قواك إلى طرده

الاسلام

وقد عبت طريق الخلود
في امساب المجد المحمود
الأرض بالنور فازدهت من جديد
في سماء الخلود دنيا الوجود
ابتغاء المهيم المعبود
كم ابادنه آية التوحيد
يعلو ويعلو بغير ما تقيد
دياجي مذاهب التعديد
ترقب الخلق من زمان بعيد
في مراقى الحجاو كل تليد
فتهادت مع الكليم و (هود)
نعمى ورحمة للعييد
ب لآلاء دينه المنشود
اليوم اكملت للوجود وجودى

شعلة بددت دياجي الأباطيل
هبطت في الربيع مكة روحا
غمرت كل بقعة من فجاج
واشاحت عن الفناء فأحنت
واشارت لنا على المثل
واماطت عن الجنان حجابا
وأناحت للجامح الفكر ان
فانجلي الحق للبصائر وانجابت
تلکم الشعلة الخيفة ظلت
مهدت للورى بكل طريف
سايرت (عاد) حقبة (فتمودا)
انزلت من سمائها لهم الآيات
فاذا ما اعدت الفكر لاستبعا
صاغها الله في الكتاب وقل

يتيماً من القرار البعيد
وطب ففى الكتاب المجيد
من العلم مالها من حلود
اثرنا الغرب فى الركاب الرشيد
ويغزو السلام كل صعيد
ته شر سائد ومسود
تحت ظل من الرضى الممدود
بعزم من الالباء اكيد

من يغص فى الخضم يستخرج اللبر
كل ما ادهش الخلاق من فن
تحت اشعاعه ستخلق اكوان
وعلى ضوئه سنخطو ويخطو
وعلى آيه سيلثم الشمل
واذن يأمن الضعيف على علا
واذن تسعد الخلاق جمعا
تحت ملك من الضمائر محروس

تلكم الشعلة الخفيفة لا يزهر
بعثت للكمال وللعلم والنور
بعثت تصرع الرذيلة في كل
وإذا سادت الفضيلة فالناس

سناها بغير خلق حميد
وللعدل والنهوض المشيد
بعدم كل نفس
بعدم كل نفس

ذلكم دينكم فهبوا مسرعا
واستمدوا قواكم منه بالتو
يا له مبدأ يوحده هذا
مبدأ خالد وروح قوى

والبسوا منه زاهيات البرود
حيد في كل ركعة وسجود
الكون رغم السلاح والتجنيد
يا نعمما السلاح للتشيد

مأساة جهنم في شرف روح
هو اشرف معقل في شرف روح
سحبته في شرف روح
وسنخطوبه إلى ذروة العلياء

وعلى كل نفس
في شرف كل نفس
وعتاد وعدة وعديد
او سنفج مجده المنشود

حسبنا ذلك الركود ألاهبوا
وقياما إلى الفلاح تحرر
هذي يمانى في يمينك يا هذا
لا نبلى تفاقم الخطيب يوما
حقق (المهرجان) أمنية شهفو
لا تقل لى (عكاظ) قد يزها في
قد علا صوته بنهضتنا الفكرية
وزها نوره بحرية الفكر
سأغنى اذن باغية النيل
مزهرى حكمة الخفيفة فى النادى
فاسمعوني مع الزمان اغنى
واسمعوني مع الحداثة اغنى

سراعا ، فلات حين ركود
شعبنا من سلاسل وقيود
وما كنت حائشا بعهدى
ان يحل دوننا وبذل الجهود
فما عذر الاديب القعيد
العلم والفن وابتكار الجديد
اليوم ، بالعصر الرشيد
وحسم النزاع والتأييد
لدى المهرجان فى كل عيد
وللوحدة الجليدة عودى
يالباى البشر بالنصر عودى
يا سماء الفخار بالعز جودى

سافر نسكو

هذي دموعي حيرى فى محارها
سيان منهزم عندى ومنتصر ..
كلاهما لم يضع حدا لغايته
كلاهما خان بالامس اليهود ولم
هذا جزاء وفاق للذى كسبت
قد انكرت ما اعانى اى انكار
هذا طريق وهذا جائع عارى
ولم يراع حقوق الجار للجبار
يرع المواثيق . لكن تحت استار
يد السياسة آثارا بأبصار

ليت الألى وقعوا (فرساي) رائدهم
لا فرق بين قوى صال مغتصبا
نسوا العدالة حتى هاج هائجها
ظنوا السياسة صنوا للعدالة فى
وللسياسة لحن مطرب أبدا
فأشعلتها ضروسا ملؤها حمم
رد الحقوق وليس الاخذ بالشار
حق الضعيف وبين الكاسر الضارى
وللعدالة جيش جد جرار
نيل السلام وحسم الظلم والعار
كالغانيات وقلب جد غدار
شعواء تقذف طيارا بطيار

قد هالنى شرر كالتقصير تقذفه
تساقط النجم شها كلها رصد
يا غارة الله فار الحشر الطف بي
كم من دماء اريقت وهى آمنة
وكم صريع قضى نجبا بلا جدث
هذا يتيم وهذا ثاكل جزع
طير أبابيل مخلوق من النار
فاندكت الأرض لم تحفل بديار
نزاعة للشوى ، لكن بمقدار
فى غارة فاجأتنا دون انذار
وجثة تحت انقاض من الدار
وتلك تبكى بقانى الدمع مدرار

حتى اذا شاخ وجه الارض كالحة
لقى السلاح هزيل ما به رمق
وعاد يشلو بتوقيع السلام على
لم يبق للناس فيها غير آثار
من الحياة سوى تاج من غار
عود السياسة . هذا محض تكرار

يا عصابة الأمم الكبرى التي طلعت
ردت بضاعتكم ان كان خالطها

في سافرنسك نجما يرشد السارى
من الأراجيف ما قد يغبن الشارى

هل جئتم يجيد في حديثكم
وهل شحذتم ضميرا قد يوفى من
وهل علمتم بأن الحرب قائمة
وهل سمعتم بأن الناس غايتهم
لا تجلسوا. وقفوا في البهو خاشعة
واستلهموا الله في محراب قاعتكم
ثم استجيبوا إلى صوت الضمير ولا
ولتعجبوا كل شعب شد ساعده

وهل حفظتم بدرس من (ستمار) ؟
شحذ الحديد ورد النار بالنار
مالم يك العدل فيكم زنده وار
اوطانهم ليعيشوا عيش أحرار ،
قلوبكم قبل ان تدلوا بأفكار
بقلب مسترحم لا قلب جزار
يلهيكم كيد انصار لأنصار
كى تنقذوه من المستعمر الزارى

فرب حاسمة للشر تغفل فى
ورب بادرة للخير قد غرست
قضية العالم المنهوك فاشلة
اليوم فى اسرها كالكليث رابضة
لانت ملامسها فاقضوا بالانها
ورروضوها لتحيا حرة أبدا

هذا الندى فلا يأتى بأثمار
أنبت نباتا واضحت ذات نوار
ما شساب ساحتها اغراض جبار
خلف المطامع لامن خلف اسوار
فانها ذات أنياب وأظفار
فالليث، مهما انزوى فى أسره ضار

يا عصابة الامم الكبرى هنا غرد
بيم بالمثل العليا التي هرعت
انى مهيض فما اقوى على سفر
ان تغفل سير غورى غير حافلة
هل تسمعين إلى جواى انشدها
هى الأمانى غدت سرا يضيق بها
هى الحقوق التي غنى الزمان بها
هى الجلاء وفك القيد عن وطن

يطارح النيل اشعارا باشعار
من أجلها الناس لو يحظى بمقدار
اليك قد حال قيدي دون اسفارى
فربما تسير الأيام اغوارى
ام تطربين إلى ألحان اوتارى
صدرى ولولاك ما افشيت اسرارى
من عهد آدم عهد الكهف والغار
قد ناصر الحلف لم يبخل بمفوار

حرية ما حيلاه عدت وضر
حرية هي نحرى كل مؤتمر
من دونه نحرى حل أضرى
بينه لأصل سودية دار

يا أمة ابل تحرير المقصير ما
حل شاموش و مستعدى الجهود عن
حي بيت في متصدى في كل و
قد شمر الحد عن ساقه وأتصرى
طوي من ثقت وراءه سلف
وكل مؤتمر نسود و اعلم
حي نصبره تصريف محض
تنبده فهو تحقوف بأحصار
حدة وفي لأفليم أريف ومض
هذى الحبة عداها الموت وحترى
وكان دلامس حماد غير مهتر
ربما ولكن وعد شر

دونك الوفاء سلته عن أمل
خلفه الشعب رابض يرقب المو
لم يكن للدخيل من بين عون
السودان أو رغبة البلاد يعبر
قف بالموت في غد يستهتر
سوى ثلة بها قد غـرر

خدمت للدخيل اعراضه ما
ولدخيل الدخيل ما زال يبدي
تدعى حجره وفي القلب منها
فتة ضلت الطريق فما فيها
ارادت على البلاد تسيطر
ناجذيه وما يزال يكشـر
مثلما بين (عزة) و (كثير)
لنا غير مقرض ومسخر

رغم المغرصور أنا انقسمت
أخذوا نالقصور في حومة الجدد
قل لهم لا انقسام دامت الاحزاب
ان هداقت تجل عن لاغراض
وأخذت مع الغواية تدبر
ولم يفتنوا لما في حوهمـر
طراً بوحدة النيل تزار
والويل للذي يتنكـر

من وحي الهجرة

حسبي من التاريخ ان اذكرا
حقبا على رأس الزمان كأنها
المجد شيد لنا بها والعز قد
حتى فشي فينا التنافر

حقبا تمر بنا كاحلام الكرى
تاج الفخار معززا وموقرا
أورى لنا أفياءه فتبلىورا
والقلى فاندك على مجدنا وتدهورا

يا عالم والدنيا تنوء بأهلها
حربا يظن المشعلون ان

حربا ضروسا لا تقوم منكرا
اوطان الورى سلع تباع وتشتري

يا عام ذكرنا بهجرة احمد
ذكر فديتك بالجهاد فلم تكن
حي الصحابة يوم ساموا انفسا
قد جاهلوا والدين يعمر قلبهم
صالوا ليحيوا شرعة قدسية
الله اكبر « دعوة هتفوا بها
دانت لبأسهم الملوك فغالبا
الحق غايتهم فما من باطل
ان سالموا كانوا ملائكة رحمة
يا عيد هجرة احمد احيينا

فاملنا منها تصوغ الجوهر را
كجهاد وقفنا على طلب القرى
احيا بها الدين الخفيف النيرا
فالله عززهم بجند
الله أنزلها على خير الورى
كم ذا اذلت من طغى وتكبرا
كسرى وما تركوا هنالك قيصر را
الا محوه وعن حماهم ادبرا
او خاصموا كانوا كآساد الشرى
بترائك الباقي فكنت مبشرا

ما زال عرق العرب فينا نابضاً
من مبلغ اسلافنا وهم الألى
عبث الزمان اذا أراد بأهلنا
حتى نرسف فى القيود وحولنا

حيأ يعز على النهى ان يصبرا
قهروا الزمان بأننا لن نقهرا
سواء وأبدى ناجذيه وكشرا
ضم عليه الحر لن يتصبرا

يا قوم والاقوام كانت خلفنا
دين الخليفة سيفنا نبتغي
وهذا الكتاب دليلنا لا نبتغي
قد لاذ مؤتمر البلاد بنوره
يخطو بشعب قد صحا متوثبا
بالدين بالوطن الحبيب وبالعلا
قامت حداة للشعب تحت لوائه
فتفجر الوادى عيونا ثسرة
وانساب وادى النيل كترا خالدا
يا نيل بارك جنة المآوى لنا
يا نيل واهتف بالحياة وقل لهم
سدنا فسودنا الفضيلة والنهى

نقتادها فيلام نمشى القهقري
من دونه سيفا صقيلا مشهرا
من دونه حكما نزيها مبصرا
يخطو بأمتنا إلى اعلى الذرا
ومحرما دمه الذى قد اهدرا
بالعلم والعرفان صاح مشمرا
صفا إلى ان تجلى المستعمرا
الخير يفعم نبعها المتفجرا
يجرى لجينا او نميرا احمر
نرتادها ما انت الا كوثر
اليوم حق لشاعري ان يفخرا
وسدى يحاولنا العدى ان نغبرا

يوم التعليم

العيد اقبل من ذا لا يحيبه والعلم نادى فمن ذا لا يلبسه
هيا اذن واهتفوا بالعلم مفخرة فليحي عيد النهى طابت ليليه
البشر يعلو وجوه الخيرين به حتى كأنهم البسمات فى فيه

ياعيد ذكر بنى السودان كان لنا ماض مجيد هبطنا من أعاليه
مذ هاجر المصطفى شيدت قواده على النهى وعلى التقوى خوافيه
وكررّ صاحب رسول الله سيفهم إيمانهم ان فى الايمان ما فيه
لم يثنتهم عرض الدنيا وزخرفها عن الجهاد وعن شتى عواده
قد وحدوا الله فاشتدت سواعدهم وطهروا الكون فانجابت دياجيه
تلکم عظات لو أن الشرق قدرها ما أصبح الشرق فى ايدى اعاده
ما أصبح الشرق منبتا سيادته مغصوبة وهو ما ينفك فى تبه

طف بالعراق تجد خلفا وتفرقه وفى فلسطين ارهابا تعانیه
وبالشام ووادی النيل اجمعه سل من تلاقيه عما ذا يلاقیه؟
اذن أصبحوا فهذا الداء مصدره كان للدخيل ويبقى ما نبقىه
الانجليز هم قوم لبانتهم ان يسحقوا الشرق او تحنى نواصيه
قالوا رفاهية السودان غايتنا حسب البلاد عناءا ما تعانیه
لو نبعث الصيحة الكبرى لكان لنا شأن وكان لنا مما فرجيه
فيم الخلاف ودون النيل أمانة كبرى كفلت هانت مساعيه
هى الإجلاء عن الوادى وثم لنا مع دولة النيل أمر قد نسويه
حرية النيل ما ان قد هتفت بها تراقصت شجنا منها او اذيه

احببتى كلما ارجوه من سند تأييد وفد أمانينا امانيه

قد عاهد الشعب يوم الشعب عاهده لا يثنى أو يكون الحق ثانيه
فان تمسّدق غير الوفاء مدعيها انا نواليه ، لنا من مواليه
عزم عقدنا لا ننفك نعبده نقديه بالمال والأرواح نقديه

يا عيد أدعوك باسم العلم مبتهلا دعاء مؤتمر تهفو أمانيه
الله اكبر هذا القطر كعبتنا الجهل يقتله والعلم يحييه
فكيف نرضى موات الجهل فى وطن الشعب يكلؤه والنيل يرويه
حاشا لعمرى دين الحق مرشدنا فما الجهالة الا من نواهيه
ان جرد الجهل جيشا فاستعن ابدا بالعلم فهو الذى بالمال يرديه

اليوم قد وثب السودان متحدا تحذوه المثل العليا وتهديه
اليوم عيد النهى والبر فالتمسوا من فيضه حلة حسناء ترضيه
غدا سيكتبه تاريخ امتنا صفرا اياديكم البيضاء تمليه

هاتوا من المالك للتعليم ما كسبت يد الكريم بلا منّ وتمسويه
يروا بلادا بها شدت تماثلكم فالبر عاجله اجدى لمعطيه

كفاح الشعب

نعيمك منهوب وشعبك جائع
صبرت على الاملاق خمسين حجة
فحتى متى يا فيل تنساب آملا
وحتى متى تشكو من الظلم ساسة
وما كان للباغي ضمير ولم يكن
اليس عجيبا ان ترى الظلم شافعا
قضية وادى النيل اكبر شاهد
فما مجلس الامن المهيض بنافع
وكيف يكون العدل فى الأرض سائدا
أجل ليس فى الدنيا عدالة منصف
وليس لمن يستملك الضعف قلبه
ولو كان انصاف الضعيف مؤملا
صبرنا على الحكم الثنائى وكله
لئن يشك من ظلم الحكومة عامل
وان ضج من دفع الضريبة تاجر
ولو يتصدى للحكومة ناقد
لنا طابع يدعى القلوب كآبة
فلا صرخات البائسين نهزها
اذا كان كل الشعب يقضى من الطوى

ودمعك مسكوب وحنك ضائع
فلا الرزق ميسور ولا الصبر نافع
وقد يثت ترجى المنابع
وليس لدى قلب السياسى وازع
له غير ضرب الهام بالسيف رادع
وليس لنا رغم العدالة شافع ؟
بأن مجال الظلم لا العدل واسع
ولا الدول الكبرى لديها مسامع
اذا وصمت سوح القضاء المطامع
اذا لم يكن دون العدالة
حياة وان ظل الحياة
لما احتكمت بين الانام المدافع
مأس حواشيها الحنا والفظائع
فقد ضاق بالرزق المقر صانع
فقد أن من دفع الخراج المزارع
فليس له عند الحكومة سامع
وليس لها غير القساوة طابع
لتعطف او تجدى لديها المدامع
لماذا يطالب بالضريبة دافع

صبرنا على الحكم الثنائى وكله
صبرنا فكان الصبر منا جريمة
وكان جديرا ان نعاضه مذاتى

مأس حواشيها الحنا والفظائع
نداهنه طورا وطورا نصانع
نحاربه طورا وطورا نقاطع

على الضعف صفا واحدا لا يقارع
أساليب أغوت بعضنا فتراجعوا
ويكشفها الامر الذى هو واقع
لما ناصر الحكام زيذا وشايعوا

ولو كان هذا دأبنا لوجدتنا
ولكن للمستعمرين وحكمهم
أساليب فالتاريخ يفضح مكرها
إذا كان تقرير المصير منزها

أما كان عن هذى البلاد يدافع ؟
فدان له الانصار جمعا وبايعوا ؟
مطالب حق ليس فيه منازع
فهن من يكن باسم الخليفة جامع ؟
يوادونه والارض قمر بلاقع ؟
معالم للتاريخ فيها مراجع ؟
ولم تنج مما دبروه المخادع

سلوهم اما كان (الخليفة) حاكما
أما اختاره المهدي بالامس واليا
لماذا اذن يستكرون على ابنه
وهبهم يعادون الخليفة وابنه
وهل ضاق وجه الارض ان يفسحوا له
وهل بلغ استهتارهم ان يشوهوا
فقد دبروا تشيت شمل صفوفنا

تيقن بأن الشر لا بد واقع
وقالوا لهم قودوا الصفوف ودافعوا
يدافع عنها فى الصفوف الصنائع
مقاعده للغاصيين اصابع
ولم يرضها الا الخثون المخادع
بها كل من فى منصب الحكم طامع

إذا الفتنة الحمقاء أبدت نيوبها
لقد خلق المستعمرون صنائعا
وما كان للاوطان شأن اذا انبرى
سلوهم لماذا باركوا المجلس الذى
مقاعد لم يجلس بها غير مغرض
وظائف قد صيغت شرا كاليوقعوا

فان جبين الحق ابيض ناصع
فساروا اليها قاعين وسارعوا
وقالوا لوادى النيل انا نخادر
بخير الذى يرضى البلاد نمانع
ذلول مع الحكم الثنائى ظالع
تشرع ما قد انكرته الشرائع
هم انجليز سودتها البراقع

إذا الباطل الواهى اكفهر جبينه
لقد زعموا ان المجالس خطوة
ولو ادركو قالوا المجالس خدعة
ولو انصفوا قالوا لجنوبول اتنا
فما مجلس التشريع الا مطية
وما مجلس التشريع الاحكومة
أرادتها مسلوبة ورجالها

نراهم حبال الانجليز . فساجد	إلى ربه حمدا والا فراكم
جواسيس للأعداء عون وساعد	ولكن علينا عين وطلّاع
سماسرة هذا يساوم شاريا	وهذا في سوق السياسة بائع
وهذا يعنى بالأرائك نفسه	وهذا في ظل الارائك قابع
فما كل من ضحى إلى المجد طامع	وما كل من صلى إلى الله ضارع
كفاحهم فعل مضى فهو ناقص	وأما كفاح الشعب فعل مضارع

فيا ويلهم ان يحكم الشعب نفسه	وان كشفت يوم الحساب المراجع
سيلقون عند الكادحين جزاءهم	متى ازدحمت بالكادحين الشوارع

عجبت لحكم لا يمثل اهله	فيرهقهم قسرا اذا لم يطاوعوا
اذا الحكم لم يأخذ بتمثيل شعبه	فذلك في ثدى الاجانب راضع
وان لم يكن حكم البلاد مؤيدا	من الشعب اطلاقا فما هو نافع
وان لم يكن للشعب حق يناله	فلا هو محكوم ولا هو خاضع

الأشد ما نلقى اذا لم تقف لهم	صناديد دون الحق لا تراجع
يريدون تكميم الاسود بغاها	لتتنعق في غاب الاسود الضفادع
اعدوا لنا شتى السلاح وفاتهم	بأن سلاح الحق لا يتقارع

لنا في ظلام السجن تسبيح ناسك	وما السجن الا الكفاح صوامع
دعوههم يعدون السجن فأننا	على الحق ان الحق كالسيف قاطع
متى آمن الشعب المجد بحقه	فكل جحيم النعيم مراتع
اذا هبت الثورة يوما فكلنا	سلاح وكل الثائرين مقاطع

فيا شعب وادى النيل حقلك ضائع	اذا لم تقف دون الحقوق تصارع
صراعا يرى المستعمرون مضاه	عليهم جحيما تصطليه المضاجع
تحرك مليا ايها الشعب نحوها	فليس الأماني دونها البون شاسع

تحرر من الحرمان والجهل والضنى
تحرك فقد لاح الصباح بنوره
تحرك ففى ركب التقدم منقذ
تحرك وأكسرهما القيود فأثما
وحسبك غنا انك اليوم جائع
وها نوره فى (جبهة الشعب) ساطع
وفيه لاعداء الشعوب مصارع
سلاسل رق حضمت وذرائع

فليس الكفاح الحق تأليف خطبة
ولكنه سجن ونفى وشدة
فما كل ذى درع من الطعن سالم
وليست حياة المرء الا وديعة
وما هو نظم فى الحماسة رائع
وضرب وحرب تصطلى ومواقع
وما كل من ينجو من الطعن دارع
ولا بد يوما ان ترد الودائع

يا زعيم البلاد

وضع الصبح جهرة للعيان ..
واختفى من صفوفنا كل رعديد
وقف المؤمنون بالله حقاً
كافحوا الغاصبين لما أهابت
بخافوا الرصاص دون أمانيتهم
واحدا اثر واحد أودعوا السجن
والطفأة الطفاة ارهبهم حتى
عذبوهم ، جوعوهم ، فويل
وضعوا فوق رأس كل سجين

فرأينا الرجال في الميدان
ضعيف ، وغر كل جبان
وانزوى المؤمنون بالاوئان
بقواهم ضريبة الاوطان
ولم يرهبوا قوى السجن
فما زادهم سوى إيمان
زئير الاسود في القضبان
لهم من تمرد الجوعان
تاج فخر سماء على التجان

العذاب المرير شنته الظالم
كلما اشتط في العذاب رأينا
واذا ضمت السجون بريننا

لما يسوء بالخسران
هزيلا معذب الوجدان
فالذى يحكم البلاد الجاني

وضع الصبح جهرة للعيان
المواثيق لم تعد تتمشى
والاباطيل لم تعد تتنافى

ورأت « مصر » محنة السودان
مع باغ يشتط في العدوان
مع ما يدعيه من بهتان

من رسولى إلى الكنانة أنبيها
لورآنا نقول مصر تأذى
لم يحمى حجة سوى البطش
كلما قالت الوشائج شعب

بكيد الدخيل للأوطان ؟
وتحدى القلوب بالسلطان
بالاحرار او منطقا سوى الطغيان
واحد ، قال : اننا شعبان

يا شعب

أين الطغاة الكاذبون
واين اذئاب الطغاة
والكافرون بشعبهم
قولوا لهم ان كنتم
قد انزل الله السكينة
ليصبروا الحق المبين
لعلهم يتراجعونا
الخارجون المارقون
عند الجهاد منافقين
في قلوب المؤمنين

الشعب ها هو رابض
والشعب ها هو هاتف
قد قاطع الجمعية
آلى واقسم ان يحطمها
مستبسل يحمى العربنا
بحقوقه ان تسمعونا
العرجاء بل خلف اليمين
ولو يلقى المسجون

يا ايها المستعمرون
تالله هذا الشعب
لن تفلحوا ان تحذعونا
شردونا عذبونا
بل حاربونا كيفما
انا نسير نحققا !
الجائرون الغاصبون
مظلوم وانتم ظالمونا
لا املئوا ولما ترهبونا
واملئوا منا السجون
شئتم والا فاقتلونا
افليس هذا الحق ديننا ؟

يا شعب كن حربا على
يا شعب خذ حقك لا
يا شعب كن صعبا على
لا تطلبن معيّنهم
يا شعب واهتف غاضبا
الباطل حتى لا يكوننا
تطلبه حتى لا تهونا
الأعداء حتى لا تلبنا
واطلب من الله المعينا
فليسقط المستعمرون

يا شعب بل كانت قرونا	خمسون عاما قد خلت
كالطير اذ هجر الوكونا	قد كنت فيها هائما
ظل القصور منعينا	وتفيا الغسرباء في
لم تبكن فيه قطينا	فكأئما السودان ربع
استترفو منك الشئونا	الفقر والجهل الوخيم
استنفدا منك المعينا	والعري والمرض العضال
كي يعيشوا أمينا	غدروك فامتصوا دماءك
بين ايديهم رهينا	هائى منى يا شعب تحيا

نثر بالشكوى انينا	خمسون عاما خلفتك
وابقت الداء الدفينا	سنتك نعاء خيابة
لتذرف الدمع السخينا	حرمته تقرير المصير

للألى يستردونا	يا شعب لا تترك زممك
فلا تكن فرسا حرونا	ان القيادة في يديك
تنظر شمالا او يمينا	سرنحو اهدافك لا
يعشى عيون الشائنا	حتى ترى النور الذى

فى السلاح مدججونا	يا شعب جلاذك هاهم
للفداء مصفدنا	لم يكفهما انا نكافح
فى الدماء مضسرجينا	جاءوا الينا كى يرونا
كما يشاء الحاكمونا	فليسفكوا دمننا الزكى
كفاحنا لن نستعينا	سنظل احراراً بغير

وان تعيش مع الدينا	يا شعب دونك ان تموت
أنفسهم فكانوا خالدينا	سلموا لوادى النيل

يا شعب ن لم تطلب الأوضاع كنت بها قمينا
من يطلب الحرية الحمراء يفتحون الحصونا
فامهر بلادك بالدم القماني ولا تحشى المنون

باقعة الوادى

انظم سرى المعانى من امانينا
واسبح مع الشعر فى علياء جنته
وصح لنا باقة منه يقدمها
قلت اسمعوا فما يجديكم كلمى
قد صار ذكرهما يدوى بكل فم
انشودة الحب غنتها حواضرنا
يابن الخليفة، يابن الملك، آن لنا
هذا هو الشعب يمشى فى ركابكم
قد ودعوكم فما عادت قلوبهم
وعاهدوكم فما خنتم عهدهم
اسمعنا صوتنا للعالمين كما
من اين يدري (جروميكو) وشيعته
شددت ما عضد اسماعيل بل لقد
القمتمنا حجرا وفد العدى فغدوا
(مهلا بنى عمنا مهلا موالينا
سرنا مع الشرق شرقا غير انكم
هل طرتم لتقولوا ان راىكم
ام رحمت تدعون الملك يسندكم
قد فر شيطانكم لما بدا (عمر)
لو كان للملك ارثا كنت صاحبه

واطرب لها اليوم تغريدا وتلحيننا
واقطف لنا من رياض الشعر نسرنا
للوافدين وباسم الشعب واديننا
وان اتيتكم بالنجم موزونا
أنشودة هى أسمى من معانينا
فرجعتها باخلاص بواديننا
اليوم نفدى وفاء من مفديننا
جيشا تقودانه يغزو المياديننا
حتى رجعت لهم امنا وتحصينا
حتى طلعت لهم كالسعد ميمونا
باركتما وفدنا معنا وتضمننا
لولاكم اننا نحيا مساجينا
قويتما صاحبه الغسر الميامينا
بكما يلقنهم (جونبول) تلقينا
لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا
سرتم مع الغرب غربا كي نخونونا
كان السد يدور اى الشرق مأفونا
وفد الدخيل واطماع المفضلينا
كالجهم يرجم بالحق الشياطينا
وكنت يا عمر الفاروق مأمونا

مندوب روسيا فى مجلس الامن يشير إلى الانفصالينا

صدفت من اجل شعب النيل عن عرض الدنيا ولو رمته اصبحت «قارونا»
لا خير في ملك تسرى ارادته فينا و كان عليه التاج مرهونا
لم نسمع الدهر بالتيجان تصنع من احجار تاج يحلى رأس «نيرونا»
التاج ما لم يضعه الشعب منقصة والحكم كان برغم الشعب أتونا

قل للأئي حسبوا انا نسام متى حل الرقيق لكم حتى تسومونا
انتم ضحايا امانى الانكليز فلا تقدمونا لعزائكم قرايينا
الانكليز عرفناهم ونعرفكم كالذئب غدرا وكالحرباء تلويينا
لئن شكونا لهل فصل الجنوب راوا ان ينشبو رها اظفارهم فينا
وان رأونا نصلى فى الجنوب على مرأى من الناس ، ويل للمصلينا
او قلدونا وساما كان قصدهم ان نستكين وان نحنى نواصينا
وان افاءوا علينا من مناصبهم قد سخرونا على ويلات اهلينا
فلا يكفون اغلالا بارجلنا الا اذا احكموا تقييد ايدينا
حرية عن السكسون نعرفها فقد سمعنا صداها فى فلسطينا
قد قسمونا كما شئت ارادتهم وفرقونا فلم تعمر مغانينا

يابن الخليفة شعب النيل قاطبة قد عاهد الله الا يرتضى الهوانا
وعاهد النيل واسماعيل قائده ألا يمالء دون الحق (سكسونا)
فلتحي وحدة وادى النيل تخرجهم عنا فيحيا مع الاحياء واديننا
تلكم مبادؤنا ان مسها عطب متنا اذن قبل ان تفنى مبادينا
الشعب افضل ميزان لدعوتنا ياليتهم حكموا هذى الموازيننا
ارادة الشعب فوق الحاكمين أجل بل انها السيف ذو الحدين مسنونا
سل عن أذاها بنى التاييمز ان غضبت وعن قواها فصل موسكو وبرليننا
فهى السلاح اذا صلنا بقوته نلنا الامانى واخضعنا السلاطينا
يا وحدة اثبت التاريخ نشأتها مدعهد خوف ووذ توت عنخ آمونا
ماذا يضير الاعادى منك ويحهم ان لم تكونى لهم صابا وغسلينا

مصر هي الرأس للسودان قل لهم
هيا اقنعونا بهذا الفصل — انكم
إننا لنا هدف دون الجلاء سدى
الله اكبر قال الشعب قولته
يا أيها الشعب سر نحو الحياة ونخض
ان كان نلحق دون الموت من أثر

كلاهما وحدة جسما وتكوين
او نحن . ان تفلحوا . كننا محانينا
فسعى اليه فما تجدى مانينا
لما أراد فقال الحق آمين
بحر الدماء فليس العمر مضمون
نحيا . والا فان الموت يدعونا

سجنوك

سجنوك ما سجنوا المروءة والشهامة والإباء
سجنوك هل أعشوا عيون الحق أم حجبوا الضياء
سجنوك ما ظفروا بقلبك فهو حر كيف شاء
قلب له فوق الكواكب من أمانيه سماء
قلب يدين بوحدة الوادى ويكفر بالخفاء

× × ×

(عبدون) لا تحفل فكم فى السجن غيرك أبرياء
بالامس نالوا من ابيك وكان قطبا (للواء)
واليوم نالوا منك انت وانت داعية الجلاء

× × ×

يا أحمد قم بالرسالة أدها خير الاداء
واحمل إلى (الفاروق) من سودانه تاج الولاء

× × ×

انى سألت الانكليز متى الجلاء بلا دماء
قالوا سنقى ما جرى فى حوض وادى النيل ماء
ربحت تجارتهم وكان نفاقهم ثمن الشراء

× × ×

قف بى لدى عابدين لو اشفى غليلي باللقاء
وأبت لها الشوق المبرح قبلة فيها الشفاء
قدم لدى اعتابها شعبا ثوئيب للنداء
شعبا يرجى للضراب وللنزال وللقداء
تشجيه جلجلة الحديد هوى وتسكره الدماء
شعب يدين بوحدة الوادى يؤمن بالجلاء

ما راى كمن سمع

يا قطب ما راى بعينه كمن سمع النداء
خطفوك ليلا هكذا اعمالهم رهن الخفاء
أرأيت كيف الحكم فى السودان ينكره القضاء
ورأيت كيف العدل فى أرجائه عمدا يساء ؟
كيف الأسى والذل يفرضه علينا الاوصياء
قالو نهىء نشأكم للحكم : قولكم هراء

× × ×

انى لنهضتنا وهم قد اقمعدونا القرفصاء
سلبوا الحياة رواءها عنا وما سلبوا الشقاء
تلك السياسة طيها مكر وظاهرها رياء

× × ×

أيان حل ركايبهم فعلى المسرات العفاء
تؤذيبهم ضحككتنا ويسرهم منا البكاء
قالوا البلاد فقيرة وجيوبهم ملئت ثراء

× × ×

قد كمموا الأفواه كيلا تملأ الدنيا استياء
وتنفنوا فى القيد كيلا نذرع الارض الفضاء
وأبو علينا أنه الشاكي وصيحات الرجاء
قد أبأستنا رحمة الارض فما شأن السماء

قال في معارضى وحدة وادى النيل :

جل وادى النيل

ايها النيل المفلدى أجزر غسيلنا وصـابا
أو فقوض عذبك الشافى وابدله شرابا
أو فقصف يا نيل لا طبت اظامهم شرابا
كلما قلنا لهم ثوبوا يزيدونا ارتيابا
أتراهم يوم عقوا النيل قد فقدوا الصوابا

× × ×

حسبهم يا نيل نعمى منها العيابا
كلما أرويتهم زادوك هما واكتئابا
كيف يوفونك بال عهد الألى خانوا الكتابا
ان يكن فيهن مصيب لم يعيش الا مصابا

× × ×

لو يقل فيهم مصيب قلل خطبه لا حطابا
واذا ساءلتهم فى أمرهم حاروا جوابا
جل وادى النيل أدب مع الاسد الذئابا .

عاش وادى النيل

ها هو الشعب بالأمس قد ودع وفده
ثابت الإيمان بالسودان لن يتقض عهده
رابط الجأش غداة الروح لا تنبيه شده
قد أذاك اليوم يا عيد ليستوحيك مجده

× × ×

أنه يا عيد جاء اليوم يستعرض جنده
يوم خف الوفد كالسيف الذى فارق غمده
يوم هب الشعب لاستقلاله شيا ومرده
يوم قلنا لن يعود الوفد الا أن يبرده
كم به قد سجل التاريخ للسودان بجلده

× × ×

قد مضى عام به قد كان يستجمع رشده
لم يكن فى غفلة بل كانوا يبلو فيه جنده
قد أنا اليوم يا عيد لكى ينجز وعده
ويعد العدة الكبرى لكى يكسر قيده

× × ×

كل من فى القطر مغبون يعانى اليوم سده
طاويا الا اذا مرغ مثل الكلب خده
فأذا ما صاح فى وجه الطغاة المستبده
جائع مترفع يشكو إلى الحاكم وجده
قال حذوه فكان السجن والتشريد حده

× × ×

هاهو الكاتب فى مكتبه يندب جده

قد رأى الغاصب يستترقه جهدا وجهده
ولديه من نعيم العيش ما يعيبك سرده
فاذا ما قال انصفنى غدا التنكيل رده
غضبوا منه وقالوا انه جاوز حـده

× × ×

ها هو الزارع لا يجنى برغم الكسـ كده
حظه الاشواق م الشهد فلا يطعم شـده
حسبة البؤس الذى اضناه عدوانا وهـده
يحصد العمر اجيرا انما يجهل حصـده
فاذا قلنا لهم اعطوه كى ينقذ ولـده
غالطوا فى اجره قالوا لنا لا شـء عنده

× × ×

ها هو العامل منهوك تخال الشن جـده
يتفانى كلما أغروه كى يبذل جهـده
فاذا ما طلب القوت الذى يكفل زـنده
أعرضوا عنه وخلصوه يعانى الموت وحـده

× × ×

أن يك الغاصب قبل اليوم ظن الشعب عبـده
فاستغل الجهل عونا واستباح الفقر عبـده
وأذاق الشعب صلبا وهو يستجديه رفـده
وأذل النيل بالقوة كى يحتل ورـده
قل له قد هب وادى النيل لا يألوك جهـده
ثم آلى ان يرد اليوم للغاصب كيـده.
ها هو النيل المفدى ظل يستتجد أسـده
ها هى القوة تغلى فى دم السودان وحـده
ها هى النيران تجتاح الألى ييغون وأـده

ها هي الثورة كالبركان تسدوى بل أشده

× × ×

خاب سعي الغاصب الزاري عرفنا اليوم قصده
فليشرد من يشاء هيئات نبدي اليوم رعه
وعالا ان يضل الشعب او يفرط عقده

× × ×

انه الغاصب كالخرباء قد غير برده
يظهر اليوم المحبة اما يبطن حقده
قد رأنا عصبه في وجهه كالصخر صلده
فانبرى يطلب من أسناده عوننا ونجده
واختفى من خلفهم كالذئب اذ يطلب صيده
فاتى بالمجلس الزائف يستجدي الموده

× × ×

انه سخريه الاجيال اما شئت نقده
ليس هذا مجلس بل انه بوق (الاجنده)
فاذا قلنا ضعيف لن يحل الدهر عقده
يدعى الحاكم ان الشعب لم يبلغ أشده

× × ×

خاب سعي الغاصب عرفنا اليوم قصده
لن يقوم المجلس الزائف فلنخط لحده
قسما بالله لا حرية للشعب بعده
يسقط المجلس ترياق الطغاة المستبده
وليعيش سوداننا حرا وعاش النيل وحده

لبيك مؤتمر السودان

الشرق يا عيد أدناه واقصاه
انظر اليه اسيرا في مراتبه
الغرب كان له ينقاد ممتثلا
فله يا عيد عن سلطان دولته
اين التقى والنهى منا واين هدى
اين الخلائف المسلمون واين
اين الكماة الا اين الحماة فقد
عهد به سطر التاريخ صفحته
بنو أمية قد شادوا دعائمهم
عهد غبرناه لا ننك نذكره

عيد الفداء الأ لولا الفداء لما
سجية أدرك (ابراهيم) قيمتها
وكبر الله لم يحفل بفلذته
ويح الخليل وقد دان الذبيح له؟
درس بليغ اذا ما شئت تضحية
التضحيات عماد الشرق قاطبة
لو كان واصلها ما اندك تالده

تنزل الشرق من عليائه فكبا
وهادن الغرب لم يدرك مطامعه
فاعجبت الليث فلاة بان يصحبه
وصار يحرسه خوفا ليطعمه

مذيع اخراء تضليلا بدياه
والغرب قد لمعت بالغدر عيناه
ذئبا يراوغه فاحتل مغناه
من الفتات اذا ما قال أواه

الليث من حوله القضبان مائله
 وارحمتاه سلو الشرق المهيض ترى
 عن النهوض قتات العيش أغناه؟
 واليوم يرهقه (ترومن) بمسعا
 لاموطن العرب واستعدى رعاياه
 بناصر الشرق أن الغرب آذاه
 صفاً وإلا غسدونا من ضحاياه
 هيا بنى العرب فلنجمع كتائبنا

ها قد صحا الشرق مأخوذاً بعزته
 وجرّد السيف واستعدى الكماة على
 صهيون حتى يقولوا اليوم ويلاه
 بالركب الجليل الا فالشرق ناداه
 إلى كفاح بنو السودان تهواه
 ومن عدائك سواد الشعب لباه
 على البلاد وهذا ما تمناه
 او ما تنفس عما بات يلقاه
 وارغمونا على وضع أبنياه
 وناب عنا دعى ما أنبياه
 حقاً يمزق للماجور دعواه
 الا اذا غير السكسون مجراه
 فمّن سواك أصغى الشعب الكريم له
 البرلمان رفعت اليوم رايته
 لولاك ما نهض السودان متحدنا
 لولا جهادك كان اليأس اقمدا
 وساو متنا ذئاب لا ضمير لها
 قضية النيل قد فصلتها فغدت
 فلن ترى النيل اشلاء ممزقة

ليك مؤتمر السودان امض بنا
 من خلفك الشعب ان شئت القدا
 إلى الكفاح بنو السودان تهواه
 وان شئت الدماء فانت اليوم ترعاه
 السيف الوحيد الذى لم يبق إلاه
 ما انت الا لسان الحال انت له

الليث من حوله القضيان مائله
 وارحمتاه سلو الشرق المهيض ترى
 بالأمس عاني ضنى جونيول منفردا
 أغرى اليهود فقال القدس موطنهم
 (صهيون) ضرب من استعمار فخذوا
 هيا بنى العرب فلنجمع كتابنا
 ما كان للذئب رغم الضعف يخشاه
 عن النهوض فئات العيش أغناه؟
 واليوم يرهقه (ترومن) بمسعا
 لاموطن العرب واستعدى رعاياه
 بناصر الشرق أن الغرب آذاه
 صفاً وإلا غمدونا من ضحاياها

ها قد صحا الشرق مأخوذا بعزته
 وجرّد السيف واستعدى الكماة على
 وسار مؤتمر السودان سيلحق
 لييك مؤتمر السودان امض بنا
 فمن سواك أصغى الشعب الكريم له
 البرلمان رفعت اليوم رايته
 لولاك ما نهض السودان متحدا
 لولا جهادك كان اليأس اقعدنا
 وساو متنا ذئاب لا ضمير لها
 قضية النيل قد فصلتها فغدت
 فلن ترى النيل اشلاء ممزقة
 وخاصمت نومها في النيل عيناه
 صهيون حتى يقولوا اليوم ويلاه
 بالركب الجليل الا فالشرق ناداه
 إلى كفاح بنو السودان تهواه
 ومن عدالك سواد الشعب لباه
 على البلاد وهذا ما تمناه
 او ما تنفس عما بات يلقاه
 وارغمونا على وضع أبنياه
 وناب عنا دعى ما أنبياه
 حقاً يمزق للماجور دعواه
 الا اذا غير السكسون مجراه

لييك مؤتمر السودان امض بنا
 من خلفك الشعب ان شئت القدا
 ما انت الا لسان الحال انت له
 إلى الكفاح بنو السودان تهواه
 وان شئت الدماء فانت اليوم ترعاه
 السيف الوحيد الذى لم يبق إلاه